



الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

يهود مصر ما بين [١٩١٧-١٩٤٨]
دراسة
سياسية، اجتماعية، اقتصادية وثقافية

بحث أعد لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

بإشراف
الأستاذة الدكتورة كاميليا أبو جبل

إعداد الطالبة
سيرين محسن ستيته

العام الدراسي ٢٠١٧

الفهرس

الصفحة	العنوان
١	المقدمة: حول أهمية الموضوع وسبب اختياره واشكاليته ومنهجيته والتعريف بأبرز مصادره ومراجعته
٧	تمهيد: دراسة الأوضاع العامة لليهود في مصر، وظهور الحركة الصهيونية ما بين ١٨٨٠-١٩١٧م
٧	١- الدور السياسي لليهود مصر خلال القرن التاسع عشر في القصر الملكي.
٨	٢- الوضع الاقتصادي لليهود مصر خلال القرن التاسع عشر.
١٢	٣- أوضاع اليهود الثقافية والاجتماعية خلال القرن التاسع عشر.
١٣	٤- بؤادر النشاط الصهيوني في مصر.
٢٥	الفصل الأول- الأوضاع السياسية لليهود مصر بين ١٩١٧-١٩٤٨
٢٧	أولاً- النشاط الصهيوني لليهود مصر:
٢٧	١- دور يهود فلسطين المهاجرين إلى مصر في الحرب العالمية الأولى.
٢٩	٢- تكوين الاتحاد الصهيوني في مصر عام ١٩١٧.
٣٣	٣- النشاط الصهيوني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية.
٣٦	ثانياً- دور يهود مصر في دعم وعد بلفور وتأثير زيارات حاييم وايزمان في الأنشطة الصهيونية:
٣٨	ثالثاً- أبرز السياسيين اليهود في مصر وعلاقتهم بالقصر الملكي:
٤٣	رابعاً- المنظمات والنوادي الصهيونية وعلاقتها بالأحزاب المصرية:
٤٣	١- علاقة اليهود مع حزب الوفد.
٤٣	٢- علاقة اليهود مع حزب الأحرار الدستوريين.
٤٤	٣- موقف اليهود من حركة الإخوان المسلمين وحركة مصر الفتاة.
٤٧	٤- نشاط الحركات الشبابية في مصر.
٤٩	٥- موقف حركة "هشومير هتسعير" من تقسيم فلسطين.
٥٠	٦- تأسيس كيبوتس "تحشونيم" بفلسطين.
٥١	خامساً- موقف الحكومة المصرية من اليهود رداً على أحداث فلسطين ما بين ١٩٣٦ - ١٩٤٨:
٥١	١- ردود فعل الشارع المصري ضد اليهود رداً على أحداث ١٩٣٦ بفلسطين.

٥٣	٢- موقف الحكومة المصرية من أعمال الشغب الشعبي ضد اليهود رداً على أحداث الصراع الفلسطيني -الصهيوني في ١٩٣٦.
٥٤	٣- حركات الاعتقالات التي نفذتها الحكومة المصرية بحق اليهود المرتبطين بالصهيونية.
٥٧	سادساً- النشاطات الدعائية للاتحاد الصهيوني في مصر:
٥٧	١- موقف يهود مصر من تقرير "لجنة شو" عن أحداث ١٩٢٩ في فلسطين.
٥٨	٢- زيارات الزعماء الصهيونيين إلى مصر في فترة الثلاثينيات وتأثيرهم على تطور الأنشطة الصهيونية.
٦١	٣- ردود الفعل العامة على قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٣٧.
٦٢	٤- انعكاسات ثورة ١٩٣٦ الفلسطينية على مصر وتأثير بوادر الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ ودورها في تنبيه المصريين للخطر اليهودي.
٦٤	سابعاً- المنظمة الصهيونية الجديدة (التعديلون) في مصر:
٦٤	١- تشكيل حزب التعديلين داخل المنظمة الصهيونية العالمية.
٦٧	٢- انفصال حزب التعديلين عن المنظمة الصهيونية العالمية وتشكيلهم لمنظمتهم الجديدة.
٦٨	٣- تأثير ظروف الحرب العالمية الثانية في المنظمة الصهيونية الجديدة في مصر.
٧١	ثامناً- النشاطات الإرهابية لليهود في مصر ومحاولات مكافحتها:
٧١	١- تأسيس عصابة شتيرن ١٩٤٠ ودورها في اغتيال شخصيات بريطانية.
٧٢	٢- حادثة اغتيال وزير الدولة البريطاني اللورد موين.
٧٤	٣- الرابطة الإسرائيلية لمكافة الصهيونية ودورها ضدها.
٧٦	تاسعاً- هجرة اليهود من روسيا إلى مصر ودورهم في نشر الفكر الاشتراكي:
٧٦	١- موقف الحكومة المصرية وبريطانيا من الحزب الاشتراكي.
٧٨	٢- تأثير الفاشية والنازية على الشارع المصري.
٧٨	٣- إنشاء الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدثو).
٨٠	٤- تأسيس الحزب الشيوعي المصري.
٨٢	- نتائج الفصل.

٨٤	الفصل الثاني- اليهود في مصر ودورهم في الحياة الاقتصادية بين ١٩١٧-١٩٤٨.
٨٥	تمهيد
٨٦	أولاً- النفوذ الاقتصادي لليهود مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ودوره في النهوض الاقتصادي لمصر:
٨٧	١- تأثير التوزيع المهني لليهود مصر على الأنشطة الاقتصادية.
٨٨	٢- الفروق الطبقية بين أبناء الطائفة اليهودية في مصر.
٩٠	ثانياً- الهيمنة اليهودية على المجال الزراعي في مصر:
٩٠	١- الشركات التي أسهمت بالاستغلال الزراعي.
٩١	٢- الشركات التي عملت على استغلال أراضي البناء.
٩٢	٣- سيطرة اليهود على الصناعات الزراعية.
٩٥	ثالثاً- إسهام الشركات اليهودية المصرية في الصناعات الخفيفة:
٩٧	رابعاً- دور يهود مصر في النقل البري والبحري.
٩٨	خامساً- نشاط يهود مصر في تأسيس البنوك والشركات المالية.
١٠١	سادساً- نشاط يهود مصر في التجارة الداخلية والخارجية.
١٠٣	سابعاً- قانون تنظيم الشركات المساهمة وتمصيرها، وأثره في يهود مصر:
١٠٧	ثامناً- أهم العائلات اليهودية وارتباطها بالنشاط الاقتصادي في مصر:
١٠٨	١- عائلة قطاوي باشا (١٨٦١-١٩٤٢).
١١٠	٢- عائلة شيكوريل.
١١٢	٣- عائلة موصيري.
١١٣	٤- عائلة سوارس.
١١٤	٥- عائلة رولو.
١١٥	٦- عائلة منشيه.
١١٦	- نتائج الفصل...
١١٨	الفصل الثالث- اليهود في مصر ودورهم في الحياة الاجتماعية ما بين ١٩١٧-١٩٤٨
١٢٠	- تمهيد
١٢١	أولاً- السكان (أعدادهم وتوزيعهم):
١٢١	١- الزيادة السكانية لليهود مصر من ١٨٨٩-١٩٤٨
١٢٢	٢- مؤشرات توزيع اليهود في مدن مصر.

١٢٣	٣- تباين الظروف بين يهود القاهرة ويهود الإسكندرية.
١٢٧	ثانياً - تصنيف يهود مصر.
١٢٧	١- التصنيف العقائدي ليهود مصر (قراؤون وريانيون)
١٣٣	٢- التصنيف الطائفي (اليهود السفارديم والأشكنازيم).
١٣٥	ثالثاً - يهود مصر والرعاية الأجنبية وموقفهم من الجنسية المصرية.
١٣٩	رابعاً - بنية الطائفة اليهودية في مصر.
١٤٠	١- المؤسسة الحاخامية.
١٤١	٢- مسميات الحاخامات (انتخابهم وصلاحياتهم).
١٤٥	٣- تعيين كبير الحاخامات وصلاحياته.
١٤٥	٤- المحاكم.
١٤٩	٥- القيادة المدنية (البرناسيم)
١٥٠	٦- العاملون في خدمة الطائفة ومناصبهم.
١٥٣	٧- إقامة لجان لتنظيم الطوائف في القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين.
١٥٤	٨- التوزيع الطبقي للطائفة.
١٥٤	٩- الأنشطة والمؤسسات المعاونة للطائفة.
١٥٥	خامساً - الضرائب والأمور المالية الصادرة عن المؤسسة الدينية.
١٥٦	سادساً - المعابد اليهودية في مصر.
١٥٦	١- المعابد اليهودية في القاهرة.
١٦٠	٢- المعابد اليهودية في الإسكندرية.
١٦٠	٣- المحافل اليهودية التي أقيمت في مصر.
١٦٢	٤- الجمعيات والمؤسسات الصحية والاجتماعية للطائفة اليهودية في مصر.
١٦٤	٥- الجمعيات والمؤسسات الخيرية للطائفة القرائية.
١٦٥	سابعاً - الزواج ومؤسسة العائلة.
١٦٥	١- الجنس والعمر.
١٦٦	٢- معدلات سن الزواج في الطائفة اليهودية في مصر.
١٦٧	٣- الزواج ومراحله عند اليهود في مصر.
١٦٨	٤- عقد الزواج.
١٦٨	٥- الطلاق.
١٦٩	٦- تعدد الزوجات والزواج المختلط.

١٧٠	ثامناً - العادات والتقاليد ليهود مصر.
١٧٠	١- الاحتفال ببلوغ سن الرشد (البارمتسفا)
١٧٠	٢- الختان.
١٧٠	٣- أيام الصيام.
١٧١	٤- عادات الدفن والحداد.
١٧١	٥- الأمراض والوفيات.
١٧٢	٦- المظهر الخارجي للرجال اليهود في مصر.
١٧٣	٧- الملبس والمظهر الخارجي للنساء.
١٧٤	- نتائج الفصل.
١٧٥	الفصل الرابع - دور اليهود في الحياة الثقافية في مصر بين ١٩١٧-١٩٤٨
١٧٦	أولاً- المستوى التعليمي ليهود مصر ومدارسهم خلال النصف الأول من القرن العشرين.
١٧٩	ثانياً- ظهور الصحف اليهودية في مصر في أوائل القرن العشرين.
١٨٠	١- الفترة الأولى منذ بداية القرن العشرين حتى إصدار تصريح بلفور عام ١٩١٧.
١٨٠	٢- الفترة الثانية من عام ١٩١٧ وحتى عام ١٩٤٨.
١٨٩	ثالثاً- النتاج الفكري الأدبي ليهود مصر منذ أوائل القرن العشرين.
١٨٩	١- مؤلفات في التفسير والفتوى والشرعية من التلمود.
١٩٠	٢- مؤلفات في المواعظ والأخلاق والشعر.
١٩٠	٣- مؤلفات في مجال الأدب.
١٩٤	رابعاً- النشاطات الثقافية لليهود في مصر ودورهم في التأثير على الرأي العام.
١٩٥	١- جمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية.
١٩٦	٢- جمعية الشبان اليهود المصريين.
١٩٦	٣- جمعية الشبان الإسرائيليين القرائين.
١٩٧	٤- الجماعة الفنية اليهودية.
١٩٧	٥- مراكز الخدمات الاجتماعية في القاهرة والإسكندرية.
١٩٨	٦- نوادي المكابي الرياضية في القاهرة والإسكندرية.
١٩٨	خامساً- أثر الثقافة الفرنسية والسياسة اليسارية في الطائفة اليهودية في مصر.
٢٠٠	سادساً- النشاط الفني اليهودي، ومدى تأثيره في الرأي العام المصري.

٢٠٢	سابعاً - سيرة حياة بعض الفنانين اليهود في مصر.
٢٠٢	١- توجو مزراحي.
٢٠٢	٢- (دافيد) داود حسني (١٨٧٠-١٩٣٧)
٢٠٣	٣- ليلى مراد (١٩١٨-١٩٩٥)
٢٠٤	٤- راقية ابراهيم (ليفي راشيل).
٢٠٥	٥- نجمة ابراهيم (١٩١٤-١٩٧٦)
٢٠٧	نتائج الفصل.
٢٠٨	- خاتمة البحث.
٢١١	- الملاحق.
٢٤٠	- الوثائق المنشورة.
٢٤٥	-المصادر
٢٤٦	- المراجع العربية والمعرية.
٢٤٩	- المراجع الأجنبية.
٢٥٠	- Abstract

المقدمة: حول أهمية الموضوع وسبب اختياره واشكاليته ومنهجيته والتعريف بأبرز مصادره ومراجعته

عاش اليهود في العالم العربي والإسلامي في مناخ اتسم عموماً بالتسامح الديني؛ أدى إلى ازدهار حياتهم على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، باعتبارهم أساساً شرقيون وتعود نشأتهم إلى الأرض العربية، حيث شكلوا علاقات مفتوحة، كمواطنين يتمتعون بغالبية حقوق المواطنة، فاستغلت أعداد كبيرة منهم فرص مزاوله أنشطة اقتصادية جديدة، واندماجهم في الأجهزة الحكومية في بلادهم، في سياق تحسين أوضاعهم العامة. كما أسهمت امتيازات الحماية القنصلية التي منحتها القوى الأوروبية لرعاياها من الأجانب في أنحاء الدولة العثمانية في حصول أعداد كبيرة من اليهود- سواء بين الذين قدموا من أوروبا إلى البلدان الإسلامية أم بين الذين استقروا منذ أجيال بعيدة في منطقة الشرق الأوسط- على جنسية الدول الأوروبية وحمايتهم؛ الأمر الذي تسبب في تضائل قيمة ارتباط اليهود بقسوة الحكام المحليين، وتحررهم من الأوضاع المذلة التي عاشوها على مدى مئات السنين.

كما شهدت طائفة اليهود المصريين نوعاً من الازدهار والرخاء بسقوط مصر فريسة للديون الأجنبية، حيث وجدت الرأسمالية اليهودية فرصتها في التمتع بالامتيازات وحماية القناصل الأوروبيين، وهياً الاحتلال البريطاني ظروفاً أنسب لازدهار الطائفة، وأدت المؤسسات اليهودية الغربية دوراً بارزاً في ربط الأقلية اليهودية المصرية بالقوى الأوروبية الحامية، إلى أن انتزعتهم المؤامرة الصهيونية من جذورهم لتستكمل بهم محاولة تحقيق الحلم الصهيوني في أرض الميعاد حسب زعمهم.

وقد أسهم الشبان اليهود من خلال انضمامهم إلى المنظمات الشيوعية أو الصهيونية في مجتمعاتهم والذي ساعد في زيادة إحساس مجتمع الأغلبية بالاغتراب عن اليهود. وعلى هذا النحو فإن الصراع العربي- الصهيوني الناجم عن الأنشطة التي مارستها الحركة الصهيونية السياسية التي اعتمدت على تأييد بريطانيا والقوى الأوروبية أسهم في إبراز هذا الإحساس الذي ترجع أصوله إلى العهد السابق لظهور الصهيونية السياسية، قبل أن تتكشف مطامعها للرأي العام العربي والإسلامي.

وبالمقارنة مع القدر الذي تمتع به اليهود في العالم العربي والإسلامي من التسامح بلغت حملات اضطهاد اليهود في أوروبا ذروتها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، ورغم ذلك فإن البلدان العربية الإسلامية هي التي دفعت ثمن الاضطهاد الغربي لليهود، عندما شكل هذا الاضطهاد مسوغاً معنوياً للغرب لتجميع اليهود في دولة واحدة أصبحت فيما بعد "إسرائيل". أما المجتمع الغربي الذي تسبب في هذا كله فقد تنصل من مسؤولياته؛ بل ساعد في إلقاء الجريمة على أكتاف المجتمع العربي. وأدى ذلك في النهاية إلى تغيير جذري في مستقبل هذه

الجماعات في بلادها الأصلية، حيث تمت عمليات تهجيرها إلى فلسطين أو هجرتها إلى الخارج وتصفية الوجود اليهودي في العالم العربي على يد الصهيونية، بعد قرون من التعايش والاندماج في حياة العالم العربي والإسلامي.

وقد دفعت للقيام بمشروع البحث مسوغات عدة منها :

- التعرف إلى أوضاع الطائفة اليهودية في ظل الحكم الملكي في مصر وإلى ممارسات الانتداب البريطاني تجاه هذه الطائفة، مع تغطية للجوانب المختلفة من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية للطائفة اليهودية كونهم جزءاً أساسياً من نسيج المجتمع المصري، ومدى تأثيرهم وتأثيرهم في طوائف المجتمع المختلفة. وإلقاء الضوء على التفاوت الطبقي بين أتباع الطائفة اليهودية بين يهود حارة القاهرة ويهود الاسكندرية. مع محاولة لتوضيح أوضاع اليهود الاقتصادية ودورهم بتأسيس "إسرائيل"، وكيف استطاعت "إسرائيل" فيما بعد جذب غالبية يهود البلدان العربية التي غرّرت بهم الدعاية الصهيونية إلى فلسطين.

- كما عمدت إلى كشف النقاب عن حقيقة النشاط الصهيوني في مصر قبل قيام "إسرائيل". وإذا كانت الحركة الصهيونية قد نشأت في الغرب داخل إطار النهوض الاقتصادي الرأسمالي الإمبريالي ولعلاج المشكلة اليهودية، فإن يهود الشرق أسهموا إسهاماً فاعلاً في الوصول بالحركة الصهيونية إلى تحقيق أهدافها، على الرغم من أنهم لم يعانون ما عاناه اليهود في أوروبا، ولم يصادفوا مشكلة الأقليات التي أدت في الغرب إلى ظهور الحركة الصهيونية، كما أنهم لم يمثلوا "مشكلة يهودية" للبلاد التي عاشوا فيها. وبذلك تم إلقاء الضوء على الجانب السياسي ليهود مصر ودورهم في الحركة الصهيونية، من خلال انخراطهم في صفوف الداعين والمؤسسين لها، حيث كان معظم اليهود اللاجئين إلى مصر من العناصر الفاعلة في العمل الصهيوني في فلسطين. وبسبب خطورة هذا العمل على الدولة العثمانية انتقل هذا النشاط إلى مصر التي أصبحت أحد أهم مراكز النشاط الصهيوني السري غالباً والمعلن في بعض الأحيان. ويمكن ملاحظة نشاطهم الاقتصادي والحرية شبه التامة التي تمتعوا بها بحكم الهيمنة الانجليزية وغيرها من الجاليات الأوربية، من خلال ممارسة جميع الأنشطة الاقتصادية، بدءاً بتأسيس البنوك مروراً بجوانب الاقتصاد جميعاً.

- كما أشير إلى الجانب الاجتماعي ليهود مصر، ومدى الاندماج اليهودي في حياة المجتمع المصري، وإبراز علاقة هذه الطائفة بالسلطة والأحزاب المصرية، وإبراز شيء من عاداتها وطابع التقاليد الدينية وتفاصيل الحياة اليومية ليهود مصر لكي ندرك ماهية الشخصية اليهودية وتناقضاتها. وشرح أصولهم ومذاهبهم المختلفة، وعلاقتهم مع المصريين والتطور المثير في تلك العلاقة من الشراكة في المواطنة إلى العداء، واستغلال هذه العلاقات في التأثير على الرأي العام المصري، من خلال النشاط

الملحوظ في مجال الصحافة والإعلام، حيث امتلك اليهود عدداً من الصحف اليومية، والمجلات الثقافية العامة.

وأوضح البحث الانتماءات الصهيونية لهذه الصحف والأنشطة ذات الطابع الصهيوني التي قامت بها، وما حملته هذه الأنشطة من تأثير على الطائفة اليهودية من الناحية القومية، والمؤثرة في الرأي العام؛ مشيرة إلى بعض الجمعيات والاتحادات الثقافية اليهودية، مثل: جمعية "الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية" التي وظفت جهودها لإحياء الوعي القومي اليهودي بما يخدم الأهداف الصهيونية، بتركيزها على فكرة عدم الاندماج اليهودي في مصر. كما تطرقت إلى النشاط الفني السينمائي اليهودي في مصر، وكيف وظف هذا النشاط للتأثير في الرأي العام المصري؛ موضحة الميول الصهيونية التي سيطرت على القائمين على هذا النشاط.

وسوف يسلط البحث الضوء على المسائل الآتية ويحاول الإجابة عن هذه التساؤلات:

- هل أسهم نفوذ يهود مصر الاقتصادي وضلوعهم في الصحافة بالدعوة إلى الالتفاف حول الجمعيات اليهودية ذات التوجه الصهيوني؛ وبالتالي أسهمت في نشر الحركة الصهيونية وتأييدها من قبل الرأي العام اليهودي في مصر؟

- هل الصهيونية وحدها هي التي أسهمت في اقتلاع يهود مصر وتهجيرهم إلى فلسطين؟

- ما مدى تقبل اليهود للحركة الصهيونية؛ وموقفهم منها؟

- ما مدى تأثير الطائفة اليهودية في المجتمع المصري بفعالياته جميعها، وهل مورست ضغوط على يهود مصر أو أنهم كانوا جزءاً من النسيج المصري؟

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي والتحليلي والمقارنة في قراءة المعلومات وتحليلها، ومحاولة المقارنة بينها؛ للوصول إلى المعلومة الأدق والأكثر موضوعية بالاعتماد على المؤلف الأقرب إلى تاريخ الحدث، والاعتماد على مقاطعة الأحداث فيما بينها للوصول إلى الصورة الكلية للخبر من مصادر أو مراجع متعددة. ومحاكمة المعلومات من المصادر العبرية والأجنبية محاكمة عقلية؛ نظراً لاحتمالية تحيز مؤلفيها للجانب اليهودي واحتمالية عدم موضوعية أخبارهم.

وكان هناك بعض الصعوبات خلال إعداد البحث، أبرزها: عدم توفر الوثائق والمخطوطات التي تخدم موضوع دراستي في مكتباتنا؛ فضلاً عن صعوبة الحصول عليها من بلد الدراسة مصر، بشكل خاص في ظل الأوضاع الراهنة، لكن إدارة مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية بدمشق أمدتني بوثائق مهمة (وهي صفحات من جريدتي الدفاع وفلسطين) التي تم تصويرها من داخل الأرض المحتلة فلسطين

والمحتفظة في وزارة الدفاع "الإسرائيلية" في فلسطين حيث وردت في صفحاتها معلومات مهمة، أهمها عن موقف الطائفة اليهودية في مصر من الأوضاع العامة في فلسطين تحت الانتداب البريطاني في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين؛ فضلاً عن معلومات مهمة عن تسرب بعض من يهود مصر إلى فلسطين؛ بغية الإسهام في الأعمال القتالية والأنشطة الصهيونية. ولجوء بعض من يهود فلسطين والدول المجاورة إلى مصر للقيام بالأعمال الإرهابية وغيرها من المعلومات المهمة.

كما أمدتني إدارة مؤسسة الأرض بجدول توضح فيها المستعمرات الصهيونية التي تم تأسيسها في فلسطين قبل ١٩٤٨ وقد عرضتها في قسم الملاحق ضمن ترقيم (ملحق ١-٢-٣) في ثلاثة جداول جدول يوضح المستعمرات الصهيونية في المنطقة الشمالية، وآخر يوضح المستعمرات في المنطقة الوسطى والأخير يوضح المستعمرات في المنطق الجنوبية، وقد تم ذكر بعض هذه المستعمرات في الفصل السياسي والتي أسهم في تأسيسها بعض اليهود المصريين المتصهينين.

كما اعتمدت على معلومات مهمة من بعض المصادر، منها: كتاب تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية ليعقوب لاندو وكانت معلوماته شاملة لدراسة جميع جوانب الطائفة اليهودية في مصر؛ فضلاً عن كتاب اليهود في مصر بين قيام "إسرائيل" والعنوان الثلاثي ١٩٤٨-١٩٥٦ لنبيل عبد الحميد سيد أحمد حيث كانت معظم معلوماته تخص الجانب السياسي، وكتاب تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام لإسرائيل ولفنستون، وكتاب شتات اليهود المصريين لجوئل بينين. كما اعتمدت على كتاب تعليم اليهود المصريين في القرنين التاسع عشر والعشرين المنشور على شبكة الإنترنت في عرض جدول في الفصل الثقافي يوضح مستوى التعليم للطائفة اليهودية في مصر لتسفي زوهر والمترجم من قبل الباحث إبراهيم عبد الكريم عن اللغة العبرية.

كما استند البحث إلى مجموعة كبيرة من المراجع التي بُحثت في هذه الدراسة، حيث اعتمدت على تقاطع المعلومات بين المراجع؛ للوصول إلى أصدقها وأكثرها موضوعية، فكان بعض المؤلفات التي قارب مؤلفوها فترة أحداث الدراسة الأكثر صدقاً في الاعتماد على المعلومة، ومن أهمها كتاب: "يهود مصر من الازدهار إلى الشتات" لمحمد أبو الغار، وكتاب: "اليهود في البلدان الإسلامية" لصموئيل اتينجر، و"اليهود المصريون في الفكر والواقع المصري" لأحمد أبو الكف، وكتاب: "يهود ولكن مصريون" لسليمان الحكيم؛ فضلاً عن مؤلفات الدكتورة سهام نصار التي كانت رديفاً مهمة لجميع جوانب الرسالة. وغيرهم من المؤلفات التي أسهمت في رفد الدراسة بمعلومات مهمة. فضلاً عن بعض المؤلفات الأجنبية التي تمت الاستفادة منها بعد محاكمة معلوماتها، وترجمتها إلى اللغة العربية.

وقد تألف البحث من تمهيد وأربعة فصول:

يشمل التمهيد الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأوضاع يهود مصر ما بين ١٨٨٠-١٩١٧، كما يتناول مشاريع الاستيطان الصهيوني المبكرة في المنطقة العربية. وتمت في التمهيد معالجة موضوعات تعود إلى القرن التاسع عشر، أي ما قبل الفترة التي يتناولها البحث؛ بهدف تجنب اقتطاع هذه الفترة من سياقها العام.

وجاء الفصل الأول تحت عنوان "الأوضاع السياسية ليهود مصر من عام ١٩١٧ حتى ١٩٤٨" ويتناول النشاط الصهيوني المبكر ليهود مصر وموقفهم من صدور وعد بلفور في ١٩١٧، كما أوضح الفصل انخراط يهود مصر في السلطة وعلاقتهم بالأحزاب المصرية، وتأسيس اليهود للمنظمات والنوادي الصهيونية، كما يبين الفصل موقف الحكومة المصرية من الأنشطة الصهيونية واليهودية عشية الحرب العالمية الثانية، ونشاط اليهود "التصحيحيين" (التعديليين) والشيوعيين في مصر ... مع بعض النتائج التي أوضحها الفصل...

أما الفصل الثاني وعنوانه "اليهود في مصر ودورهم في الحياة الاقتصادية بين ١٩١٧-١٩٤٨" فيتناول أداء يهود مصر في مجال الزراعة والنقل البري والبحري؛ فضلاً عن نشاطهم في تأسيس البنوك والشركات المالية والتجارة الداخلية والخارجية، وأوضح الفصل قانون تنظيم الشركات المساهمة وتمصيرها، وأثره في يهود مصر، وأشار الفصل إلى أهم العائلات اليهودية الرأسمالية وكيف كان لنشاطهم الاقتصادي تأثير على مجرى الأحداث السياسية.

والفصل الثالث عنوانه "اليهود في مصر ودورهم في الحياة الاجتماعية ما بين ١٩١٧-١٩٤٨"، تناول عدد السكان وتصنيفهم ضمن جماعات "سفارديم أشكنازيم قرائين وريانيين" وأعدادهم وتوزيعهم وبنيتهم؛ فضلاً عن ذكر معابدهم ونظام المؤسسة الحاخامية، كما تطرق إلى الزواج، وبعض العادات والتقاليد التي سادت الطائفة اليهودية عامة والمصرية بشكل خاص.

وأما الفصل الرابع والأخير وعنوانه "الوضع التعليمي ليهود مصر ودورهم في الحياة الثقافية بين ١٩١٧-١٩٤٨"، يتناول المستوى التعليمي ليهود مصر، ويبين مراحل ظهور الصحف اليهودية، وبعض النشاطات الثقافية، فضلاً عن النتاج الفكري والأدبي لليهود، حيث كان لهذا النشاط أثر كبير في الدعوة إلى الحركة الصهيونية؛ إذ كانت هذه الصحف صهيونية في باطنها، فضلاً عن النشاط الفني لليهود، وسيرة حياة بعض الفنانين اليهود، ومدى تأثير نشاطهم في الرأي العام المصري.

وانتهى البحث بخاتمة لأهم النتائج التي توصل إليها الباحث....

وفي الختام أشكر الأستاذة الدكتورة كاميليا أبو جبل التي أشرفت على الدراسة في كل خطوة لإتمامها حيث كان لسعة صبرها في تنقيح أخطائي للسير على الطريق السليم ما لا يقدر بكلمة شكر. وآمل أن يسهم هذا العمل المتواضع في إلقاء مزيد من الضوء على تاريخ الطائفة اليهودية في مصر، التي كانت جزءاً لا يتجزأ من نسيج المجتمع المصري والتي رحل معظم أبنائها عن مصر في عقد الخمسينيات من القرن العشرين تحت الضغوط الصهيونية.

تمهيد: دراسة الأوضاع العامة لليهود في مصر وظهور الحركة الصهيونية ما

بين ١٨٨٠-١٩١٧:

١- الثقل السياسي ليهود مصر خلال القرن التاسع عشر:

شهد القرن التاسع عشر تحولاً واضحاً من حيث حركة الهجرة اليهودية إلى مصر التي تزايدت بتأثير عدد من الأسباب السياسية والاقتصادية، كان أهمها الهجرة من العراق وإيطاليا واليونان، التي نتج عنها تسلسل مظاهر الثقافة الغربية العلمانية. كما تزايد عدد اليهود في مصر خلال عام ١٨٤٠، على أثر تشجيع محمد علي اليهود للهجرة إلى مصر، وكان من دوافع حركة الهجرة تبني السلطة البريطانية لموقف ليبرالي؛ فضلاً عن حالة الازدهار الاقتصادي التي شهدتها مصر. وقد استمرت الزيادة في تعداد اليهود حتى عام ١٩١٧، حيث بلغ مقدار الزيادة خلال المدة الواقعة بين ١٨٩٧ و ١٩٠٧ ب ١٣٥٠٠؛ أي إن تعدادهم زاد بنسبة ٥٣%. وفي المقابل كانت الزيادة في أوساط باقي المصريين عن المدة ذاتها ١٥% فقط، كما قدرت الزيادة في تعداد اليهود خلال السنوات بين ١٩٠٧ و ١٩١٧ بنحو ٢١ ألفاً؛ أي إن نسبة الزيادة في تعدادهم كانت ٥٤%، في حين أن نسبة الزيادة في تعداد باقي سكان مصر عن المدة ذاتها كان ١٤% فقط.^(١)

وقد سادت في هذه السنوات حالة من التوتر سيطرت على العلاقات بين الطوائف اليهودية، ومن المرجح أن السبب الأول لهذا التوتر كان سياسة الامتيازات التي كانت شائعة في مصر خاصة، وفي أنحاء الإمبراطورية العثمانية عامة، حيث تمتعت رعايا بعض الدول الأجنبية بحقوق خاصة، كان أهمها عجز السلطات عن معاقبة المتمتعين بهذه الرعاية، أو اعتقالهم أو تجنيدهم في الجيش أو مصادرة ممتلكاتهم.

وقد حاول اليهود وغير اليهود التمتع بهذه المكانة. ومن هنا فقد حصل نصف يهود مصر خلال عقد العشرينيات من القرن العشرين على هذه الامتيازات، وعلى هذا الوضع يعلق الحاخام رفائيل أهارون بن شمعون الذي عمل كبير حاخامات القاهرة خلال ١٨٩١-١٩٢١ على هذا الوضع بقوله: "لم يعد بوسع المحكمة فرض صلاحياتها على اليهود المتمتعين بحماية الحكومات الأوروبية. ولا نستطيع أن نجبرهم على الاستجابة لتعاليم الدين...إنهم لا يبالون بما يقوله معلموهم."^(٢) ومع الاحتلال البريطاني لمصر عام

(١) محمود سعيد عبد الظاهر، يهود مصر (دراسة في الموقف السياسي ١٨٩٧-١٩٤٨)، تقديم: محمد خليفة حسن، مركز الدراسات

الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢٠

(٢) نبيل عبد الحميد سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي (١٩٤٨-١٩٥٦)، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١، ص ١٥.

١٨٨٢، رحب اليهود بالحماية الأجنبية في ظل الفترة التي تزايدت فيها قوة المؤثرات الأوروبية والتي وفر فيها النظام الرأسمالي الحماية لهم، ولذلك سعى كثير من اليهود للحصول على جنسية الدول الأوروبية، وحرصوا على إقامة علاقات عديدة معهم لتعزيز مكانتهم وللتمتع بقدر كبير من الإحساس بالأمان، ومع استقرار السلطة البريطانية في مصر مع بداية القرن العشرين أصبحت الجنسية الأجنبية مصدر فخر واعتزاز لهم.^(١)

وبذلك نجد خلال القرن التاسع عشر أنه تكونت من الطائفة اليهودية في مصر طبقة أرستقراطية ضمت في صفوفها الزعماء الأثرياء المقربين من السلطات، حيث ذكر شاهين مكاريوس في كتابه "سيرة حياة هؤلاء الزعماء" وثبت بحملة الألقاب والنبلاء (بك وباشا)، وكانت هذه الظاهرة بالطبع مستحيلة الحدوث في القرون السابقة. وبالرغم من أن هذه الألقاب لم تكن تدل على درجة عسكرية أو على وضع سلطوي إلا أنها كانت بالنسبة لليهود الذين حصلوا عليها بمنزلة دليل شرف وتقدير من السلطان، ويعد هذا دليلاً على التطور الاجتماعي. وبذلك رقي بعض اليهود إلى مراتب بالغة الرفعة في الجهاز الحكومي، رغم بقاء تركيزهم على الأمور المالية. كما وصل اليهود إلى درجات قضائية في المحاكم المختلطة التي أقيمت في مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان أحد الأطباء اليهود طبيباً للأسرة الخديوية^(٢).

٢- الوضع الاقتصادي لليهود مصر خلال القرن التاسع عشر:

تشابهت أنشطة يهود مصر الاقتصادية في بداية القرن التاسع عشر مع تلك التي اشتغل بها سائر السكان، ولا يستثنى منها سوى الخدمة العسكرية التي كانت حكرًا على المسلمين، واقتصرت أنشطة يهود القاهرة في بداية هذه الفترة على حدود الحي الذي يقيمون فيه، حيث عاش كل حي على نحو شبه مستقل، بعد أن تم ضمان حصوله على الطعام والمواد الأولية، وكان هذا الأمر مرتبطاً بالتعاليم الدينية والعادات اليهودية، وقد اقتصرت حركة التجارة في حارة اليهود على اليهود الذين حرصوا على إرضاء أبناء ديانتهم أولاً.

ومن الأنشطة التي اشتهر اليهود في العمل بها ضمن حيهم في نهاية القرن التاسع عشر:

أ- التجارة والحرف: جذبت حركة التجارة خارج عالم الحارة اهتمام أصحاب الحرف من اليهود الذين يبيعون منتجاتهم أو يعرضون خدماتهم في الأسواق والمناطق التجارية القريبة من حارة اليهود، وكان

(١) فوزي جرجس، تاريخ مصر منذ العصر المملوكي، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص ٤٥

(٢) يعقوب لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية (١٥١٧-١٩١٤)، ت: جمال احمد الرفاعي، أحمد عبد اللطيف حماد،

المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠، ص ٣٠٣

هؤلاء من صانعي السروج والصنادل والنجارين وصانعي النحاس والخياطين والنساجين والصباغين وغيرهم، وأقام هؤلاء في داخل الأحياء التي عرف عن أصحابها الاشتغال في هذه المهن، وفي أوساط الجماعات الحرفية التي كان أبنائها ينتمون إلى طوائف شتى^(١).

وكان الحي اليهودي يقع بالقرب من القاهرة القديمة، وبالقرب من حي الصاغة حيث كان لليهود وجود قوي في هذا الحي، وقد حظي اليهود المنتمون إلى طائفة القرائين بتقدير السكان، لما عرف عنهم من كفاية ومهارة في الاشتغال بالذهب والفضة. ولارتباط العمل في هذا المجال بتقديم القروض الربوية فقد سيطر المسيحيون واليهود على العمل في هذين المجالين؛ نظراً لعدم عمل المسلمين فيهما لتحريم الإسلام الربا.

ب- الصرافة والجمارك: كان معظم المشتغلين بالصرافة في مصر من اليهود الذين عملوا في حي الصاغة و"وكالة الصواريخ" وفي "عطفة المقاصيص"^(٢). وكانت العملات المستخدمة خلال نهايات القرن الثامن عشر والرابع الأول من القرن التاسع عشر مقتصرة على الذهب والفضة. ومع تطور بنية مصر الاقتصادية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تغيرت الأوضاع، وكان لمنح الأجانب المزيد من الحقوق عقب احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢ دور في جذب رؤوس الأموال، وقد شارك اليهود آنذاك في تطوير شبكة السكك الحديدية، وفي تجارة السكر وفي إرساء أسس العمل في بورصة القطن، وإقامة البنوك وإدارتها، وازدادت في هذه الفترة أهمية التجارة في العملات الأجنبية. ودخل اليهود مجال التجارة الدولية الذي كان العمل فيه قبل تلك الفترة حكراً على المسيحيين تقريباً، وقد شهدت تلك الفترة زيادة ملحوظة في عدد الشباب اليهود المشتغلين في المهن الحرة، مثل؛ الطب والمحاماة والهندسة الزراعية والعديد من المجالات الأخرى^(٣) وفي المقابل استمر صغار الباعة من اليهود في ممارسة أنشطتهم، فعمل هؤلاء في مهن عديدة، مثل: الجزارة وبيع السجائر، حيث أسسوا بعض المصانع والمشروعات الأخرى التي نجحت، مثل: مصنع السجائر الذي أسسه مندلباوم وهورفيتس.

ومن هنا نجد إحدى الجرائد اليهودية المصرية^(٤) تشيد بموقف محمد علي عندما أقرت بأنه لم يمارس التعصب، ودلت على ذلك في أمره عام ١٨٢٨ بإبقاء صراف المواشي اليهودي؛ لأنه في المقام الأول مصري، وأن قرار العزل الذي أصدره يخص الأرمن والروم غير المصريين، أما المسلمون والأقباط واليهود فهم مصريون. كما ذكر كلود بيك الذي كان يعمل كبيراً لأطباء مصر خلال عهد محمد علي، إن

(١) جاك حاسون، تاريخ يهود النيل، ت: يوسف درويش، دار الشروق، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٣٢

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥٢٤

(٣) سامي عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنكليزي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٣

(٤) حاسون، تاريخ يهود النيل، ص ٣٣

محمد علي حرر اليهود من الاضطهادات التي كانوا يعانون منها خلال فترة الحكم العثماني، وإنهم تمتعوا في عهده بالحرية، وقد اختار اليهود آنذاك العمل في أنشطة اقتصادية متنوعة، ومن هنا فقد كان بعضهم ثرياً للغاية في حين أن بعضهم الآخر اعتمد على التبرعات. كما أشار إلى أن الأحياء التي كان يقطنها الأوروبيون والأقباط واليونان واليهود لم تكن بحاجة إلى أسوار لحمايتها، وأن كل طائفة كانت تمارس شعائرها من دون إزعاج.^(١)

وقد شهدت مصر خلال هذه الحقبة حالة من عدم الاستقرار في قيمة العملات؛ الأمر الذي أسفر عن تزايد ثراء أعداد كبيرة من الصرافين، وكانت السياسة النقدية تتسم بالازدواجية، فقد كان يتم استخدام العملات الأوروبية في حركة التجارة الدولية، والتي كان يتم سكها من مواد منتقاة ذات قيمة بالغة، في مقابل العملات المحلية أو العثمانية في التجارة المحلية، وكانت قيمتها أقل من قيمة العملات الأخرى. ومن هنا فقد كانت أكثر عرضاً للتقلبات من غيرها، وقد اعتمدها معظم الشعب الذي لم يكن باستطاعته دائماً تقييم العملة على مظهرها الخارجي. في المقابل كان للصيارفة خبرة ضخمة تؤهلهم لتحديد قيمة العملة الفرنسية مقابل العملة البريطانية، وسائر عملات الذهب والفضة التي كانت قيد الاستخدام آنذاك في مصر، والتي كانت بينها العملات العثمانية وعملات الحجاز وإيران والهند وغيرها.^(٢)

وعلى هذا جنى الصيارفة مكاسب ضخمة من الفروق السائدة بين قيمة العملة الحقيقية وسعر بيعها وشرائها. وعلى مدى سنوات طوال احتكر اليهود هذه الوظيفة تقريباً، وعمل عدد منهم في خدمة بعض الأعيان والأثرياء خاصة الذين يقومون بتحصيل الضرائب، وكان الاشتغال بالصرافة وثيق الصلة بتقديم القروض والفوائد. ولم تعرف مصر حتى مطلع القرن التاسع عشر طريقة منظمة للقروض؛ نظراً لحذر المسلمين من الحصول على الربا الذي يحرمه القرآن الكريم؛ لذلك كان معظم المشتغلين في هذا المجال من اليهود والمسيحيين. وهو ما أسهم بعدم تطور البنوك في مصر وارتفاع أسعار الفضة.

وخلال القرن التاسع عشر كانت لليهود السيطرة شبه التامة على الجمارك في مصر؛ مما ساعد على تسهيل حركة التجارة الدولية بالنسبة لليهود، وسيطرتهم على تجارة القطن، فتأسست في الاسكندرية أول شركة يهودية للاستيراد والتصدير. فضلاً عن أنشطتهم التجارية المختلفة خاصة في مجال تجارة الذهب والسجائر وأعمال الفنادق وتجارة المنسوجات، كما أسسوا المحلات التجارية الكبرى، مثل: محلات شيكوريل وبنزيون وشملا وعمر أفندي التي لا تزال أصولها بالمسميات ذاتها موجودة في مصر إلى الآن.^(٣)

(١) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ٥٦

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥٢٤

(٣) حاسون، تاريخ يهود النيل، ص ٣٣

وتبلور نشاطهم الاقتصادي في منتصف القرن العشرين مع سيطرة شركاتهم التي أنشؤوها، وأدار أعمالها الكثير من الرأسماليين اليهود. ونذكر أهمها: شركة وادي كوم أمبو المساهمة لاستصلاح الأراضي وزراعة المحاصيل النقدية، مثل: الأرز والقمح والزيتون والقمح (أي التي تزرع من أجل الربح على عكس الزراعة المعيشية التي تستخدم لتغذية ماشية المنتج أو عائلته في حد ذاتها)، وشركة مساهمة البحيرة، وشركة الأراضي الغربية، وشركة التصديرات الشرقية، وشركة خليج الوجه القبلي، وشركة مكابس الإسكندرية، وشركة الأقطان المتحدة بالإسكندرية. وشركة محلات شمالا الكبرى لتجارة الملابس، وشركة المحلات الصناعية للحريز والأقطان، وشركة النسيج والحياسة المصرية، وشركة محلات الملكة الصغيرة، وشركة محلات شيكوريل، وشركة الملابس والمهمات المصرية. وتعد الصرافة والبنوك أهم المجالات التي استثمر فيها اليهود أموالهم، فقد أنشؤوا عدداً من البنوك والشركات المالية، منها: البنك العقاري المصري الذي سيطر على إدارته وتوجيهه رجال المال اليهود من داخل مصر وخارجها، والبنك الأهلي المصري الذي أسس في ١٨٩٨، والبنك التجاري المصري، وبنك موصيري، وبنك سوارس، والبنك البلجيكي الدولي، وبنك زلخة^(١) (سيتم التطرق لهم بشكل أوضح في الفصل الاقتصادي).

ج- التجارة الدولية والترجمة: أدى اليهود والمسيحيون بفضل معرفتهم باللغات الأجنبية دور الوطاء في التجارة الدولية بين الأوروبيين والتجار المسلمين. حيث تجنب مسلمو مصر خلال هذه الفترة مغادرة بلدانهم؛ خلافاً لليهود الذين حرصوا على استغلال علاقاتهم الوطيدة بالطوائف اليهودية في منطقة حوض المتوسط وخارجها، فاشتغل أصحاب رؤوس الأموال من اليهود في رحلات طويلة بتجارة التوابل والبن والسكر والمجوهرات والمعادن الثمينة؛ وكان بعضهم شركاء في إنتاج الحرير والكحول، وبعضهم من أصحاب الحانات. كما كانوا يقومون بجمع الضرائب لصالح السلطات.^(٢)

وقد حرص القناصل الأجانب على الاعتماد على المتعلمين من اليهود في مجال الترجمة، فأدى المترجمون اليهود دوراً مهماً، وكانوا يتحدثون نيابة عن القناصل الأجانب، وقد شاركت نساء اليهود في الحرف الاقتصادية، حيث اقتصررت أنشطة بعضهن على الحارة اليهودية في حين أن بعضهن الآخر تعدى ذلك للقيام بزيارة القصور لعرض ما لديهن من ملابس ومجوهرات على النساء^(٣).

وعن سر القوة الاقتصادية لليهود في مصر وغيرها من البلدان التي يعيشون فيها أن "الشخصية اليهودية حددت اتجاهاتها نحو مصادر القوة والنفوذ؛ ولذلك حقق اليهود في مصر مستوى عالياً من التقدم

(1)-Roumani, Maurice ; The case of the jews from Arab countries, A Neglected Issue, Tel Aviv, 1987, p 67

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٧٣

(٣) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ٥٦

الاقتصادي والمالي في مدة زمنية قليلة، تزامنت بدايتها مع افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩، ووصلت إلى الذروة في الفترة من بداية القرن العشرين حتى عام ١٩٤٨.

كل ما سبق أدى إلى ظهور سمات اقتصادية بارزة للمجتمع اليهودي في مصر خلال الفترة الواقعة بين نهايات القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث أدوا دوراً ضخماً - لاسيما اقتصادياً - يفوق حجمهم بكثير. وظهرت هوة شاسعة بين عدد كبير من اليهود الذين كانوا يعيشون حالة فقر شديد، وضمت الشريحة الفقيرة الباعة الجوالين والخباطين والعاملين في الحرف البسيطة الأخرى، الذين كان الاعتماد الأساسي في معيشتهم على التبرعات، وبين الأقلية التي كانت تعيش في المقابل في حالة لامثيل لها من الثراء. وقد ازداد اتساع الهوة الاقتصادية الفاصلة بين الطبقتين الفقيرة والثرية في المجتمع اليهودي، لما كانت تحظى به الشريحة فاحشة الثراء من مكانة خاصة لدى السلطة^(١). حيث كان لها دور مهم في حياة مصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وبذلك فإن المتتبع لشؤون المال والتجارة والاقتصاد في مصر خلال هذه الحقبة بصفة عامة، يجد أن لليهود تأثيراً كبيراً في تاريخ مصر الحديث، وهم وإن كانوا أقلية إلا أنهم اتسموا بالتنظيم والدقة فاكتسبوا السمعة التجارية الطيبة. وبالرغم من ضآلة تعداد الطائفة اليهودية مقارنة بتعداد المسلمين والمسيحيين، ورغم تحدث أعداد كبيرة من اليهود اللغة العربية واكتسابهم عادات جيرانهم، غير أنهم حافظوا على خصوصيتهم الاجتماعية والدينية والثقافية^(٢).

٣- أوضاع اليهود الثقافية والاجتماعية خلال القرن التاسع عشر:

أدت المؤسسات اليهودية دوراً بارزاً في تشكيل توجهات يهود مصر، وكان على رأسها "الاتحاد الإسرائيلي العالمي"^(٣) الذي اضطلع بمهمة إنشاء المدارس اليهودية في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي، والتي ضمت أبناء الطوائف اليهودية، وتركز اهتمام هذه المدارس على مناهج تخلق جذوراً ثقافية ودينية وتاريخية للأفكار الصهيونية، وإحياء اللغة العبرية، كأساس لخلق شخصية قومية مشتركة بين الطوائف اليهودية، بعد أن كانت العبرية مقتصرة على المعابد وبطون الكتب.

كما أسهمت هذه المدارس في عملية المسخ الحضاري "الاستلاب الثقافي"^(٤) من خلال تدريس تاريخ الاضطهادات الأوروبية للجماعات اليهودية في إطار صياغة "تاريخ موحد مزيف لجميع اليهود" جوهره الحقد النابع من المعاناة التاريخية الطويلة (الشتات) والحنين إلى الحياة في ظل مجتمع يهودي آمن في

(١) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي ١٨٩٧-١٩٤٨، ص ١٨

(٢) يعقوب خوري، اليهود في البلدان العربية، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص ٤٩

(٣) جونل بينين، شتات اليهود المصريين، دار الشروق، ط ٢، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٨٣

(٤) سهام نصار، الصحافة الإسرائيلية والدعاية الصهيونية في مصر، الزهراء للإعلام العربي، ط ١، د.م، ١٩٩١، ص ٣٧

"أرض الأجداد"، وقد نجحت تلك المدارس بتعميق هذه الأفكار وتطوير أهدافها في انتزاع يهود مصر والبلاد العربية من بيئاتها، ووضعهم أداة طيعة في يد الغرب، ليصوغ منهم مادة المشروع الاستيطاني في فلسطين، مع تزايد نشاط الحركة الصهيونية التي سعت إلى استئصال اليهود العرب من تقاليد مجتمعاتهم وتجريدتهم من انتمائهم، ليكون ولاؤهم فقط للشعب اليهودي والدولة الصهيونية^(١) ولا بد هنا من ذكر مساعي الدول الأوروبية في تجميع اليهود في الغيتو حيثما وجدت لتمييزهم وتذكرهم باضطهاد العالم لهم لتهيئهم وتجهزهم من أجل النتيجة النهائية بضرورة إقامة الوطن القومي كما يزعمون.

وإذا كانت الطائفة اليهودية في مصر قد حققت ازدهاراً على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، أتاح لزعمائها نفوذاً سياسياً ومالياً وعلاقات قوية بالقصر الملكي، فقد حققوا أيضاً ازدهاراً ثقافياً تمثل في حرية التعبير، من خلال الصحف والمجلات التي كانت أبرز الوسائل في التعريف بالفكر الصهيوني والترويج له، وقد امتد النشاط الثقافي إلى مجالات الأدب والمسرح والموسيقى والسينما^(٢). ويمكننا القول: إن النصف الأول من القرن التاسع عشر كان عصراً ذهبياً للطائفة اليهودية في مصر تألفت فيه على جميع المستويات جميعها، وبشكل خاص في أحوال الطبقة اليهودية الفقيرة التي كانت تقطن دروب وأزقة "حارة اليهود".

٤ - بؤادر النشاط الصهيوني في مصر:

حظيت مصر منذ وقت مبكر بأهمية خاصة بالنسبة للحركة الصهيونية، خصوصاً فيما يتعلق بإنجاز هدفها الرامي إلى إنشاء دولة يهودية على أرض فلسطين. فقبل ظهور الصهيونية كحركة سياسية في أواخر القرن التاسع عشر، أدرك بعض اليهود الذين أبدوا اهتماماً بالمسائل اليهودية، الدور الذي يمكن أن تؤديه مصر في حل مشكلاتهم، ومن ناحية أخرى كشف تيودور هرتزل (مؤسس الصهيونية السياسية) عن أهمية مصر وطائفها اليهودية بالنسبة لمشروعه خلال حوار دار بينه وبين ألبرت موصيري أحد أقطاب الحركة الصهيونية في مصر بقوله: "... ونظراً لأنك من بلد متاخم لفلسطين فإنك ويهود مصر وسورية ويهود الشرق بصفة عامة تستطيعون أن تسهلوا مهمتنا بأن تعملوا كوسطاء بيننا وبين أهل البلاد.... إنكم بذلك تخدمون القضية القومية"^(٣)

وقد كان اهتمام الحركة الصهيونية بمصر - كما كشفت الصحافة اليهودية - نابعاً من الاعتبارات الأتية، حسب تعبيراتها:

(١) عبده عرفة علي، يهود مصر بارونات وبؤساء، إيتراك للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٩٧، ص٦

(٢) نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص٣٦

(٣) نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص٣٦

١- إن الرأي العام المصري يتمتع بوزن كبير بين شعوب الشرق؛ ولذلك يجب بذل الجهود الممكنة لكسبه إلى جانب قضية الصهيونية.

٢- إن مصر أصبحت مركزاً للحياة الإسلامية، وهذا سيمكن الصهيونيين من أن يكونوا على علم تام بعادات المسلمين وأفكارهم، وبذلك سيستطيعون تجنب مصادمات واحتكاكات غير مجدية بجيرانهم في فلسطين ومعظمهم من المسلمين.

٣- "توجد في مصر طائفة يهودية قوية ستكون على علم تام بظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين، وسيتمكن أعضاء هذه الطائفة أن يقدموا للصهيونيين عوناً قيماً خلال المرحلة الأولى من إقامة الدولة، خصوصاً أنه يوجد بينهم أشخاص أدوا دوراً بارزاً في تطوير مصر اقتصادياً، وتعاونهم سيسمح لنا بتجنب خطوات خاطئة كثيرة على طريق التنمية الاقتصادية في فلسطين، بالإضافة إلى أنهم سيقومون باستثمار أموال كثيرة في "أرض إسرائيل"؛ نظراً لأنهم يديرون كل المؤسسات المالية في مصر تقريباً"^(١)

٤- وجود موظفين إنكليز كثيرين في مصر يقومون بأعمال عامة ذات طابع دولي؛ ولذلك فإن التعاون بيننا وبينهم سيكون قيماً، خصوصاً إن بريطانيا التي تحتل مصر هي الدولة المنتدبة على فلسطين، وبذلك إذا أقر الرأي العام البريطاني في مصر مهمته فبذلك ستصبح أيسر وأكثر قبولا.

٥- إن مصر المهيأة جيداً بالنسبة لنا، لن تكون عوناً حالياً ومحلياً فقط، ولكنها ستمثل سنداً ممتازاً في المستقبل.

٦- إن مصر بلد حر لا يعرف كلمة "معاداة السامية"^(٢)؛ ولذلك فإن مصر يمكن أن تكون على رأس "حركة السلام" فيما بعد.

ومن هذه المنطلقات يمتد الصهيونية العالمية وجهها شطر مصر، حيث أدت دوراً كبيراً بين اليهود في مصر، فأسس أول تنظيم صهيوني فرعي فيها عام ١٨٩٧، وكانت تدعى منظمة "باركوخفا"، ثم تأسست منظمة "مورياح" عام ١٩٠٥، وتعددت المنظمات الصهيونية الفرعية العاملة في مصر، وتوحدت عام ١٩١٧ تحت اسم "الاتحاد الصهيوني"، وكانت الجمعيات الخيرية والأندية اليهودية ساحات للدعوة للترويج للفكر الصهيوني. ودعت المنظمات الصهيونية إلى تغذية فكرة "الوطن القومي اليهودي" في

(١) أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، الإعلان للنشر والتوزيع، ط٢، دمشق، ١٩٧٥، ص ٦٩

(٢) أسعد عبد الرحمن، المنظمة الصهيونية العالمية - منظمة التحرير الفلسطينية- مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية-

سلسلة دراسات فلسطينية رقم ١٥- بيروت ١٩٦٧، ص ١١٢

نفوس أبناء الطائفة اليهودية في مصر، وتدعيم الإحساس بأنهم أجنب وأن إقامتهم في مصر مسألة مصادفة، وذلك تمهيداً لانتقالهم إلى الوطن القومي "إسرائيل". ويشير أبو الغار في كتابه^(١) إلى إن "الصهيونية العالمية استطاعت أن تجعل من مصر أخطر مراكز نشاطها في الفترة من عام ١٩١٧م إلى عام ١٩٤٨م، فقد كانت مصر دون أن تدري أو تريد معسكر الانتقال للصهيونية العالمية، والمحطة الرئيسة على الطريق إلى فلسطين، وقد أدت جهود زعماء الصهيونية وأعاونها في مصر إلى الإسهام بتأمين ظهر المستوطنين اليهود في فلسطين، وضمان حركة الهجرة إليها، وتخفيف حدة التوتر العربي داخل فلسطين وخارجها، ثم إعلان قيام دولة "إسرائيل".

أ- محاولات الاستيطان الصهيوني في أرض مدين عام ١٨٩١:

بدأ النشاط الصهيوني بمصر في فترة مبكرة تسبق المؤتمر الصهيوني في بال في ٢٩ آب عام ١٨٩٧، وقد جاء هذا الارتباط في تلك الفترة التي نشطت فيها الجهود الصهيونية لإقامة تجمع يهودي على أي أرض، وخاصة تلك القريبة من فلسطين، ومن هذه المحاولات، ما قام به بول فريدمان (يهودي الماني محب للمغامرة) عام ١٨٩١ متأثراً بما كتبه ريتشارد بورتون قنصل بريطانيا السابق في دمشق عن أرض مدين^(٢) في كتابه الذي نشره عام ١٨٧٩. خاصة فيما تضمه هذه الأرض من ثروات ومعادن.

مما أغرى فريدمان للقيام عام ١٨٩٠ برحلة إلى أرض مدين لدراساتها على الطبيعة، وقد حصل على عينات من تربتها وصخورها لإثبات أهميتها بعد تحليلها. وقد حصل فريدمان على موافقة اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر على مشروعه الذي نصحه بعرضه على المسؤولين في لندن، حيث اتجه إليها فور عودته من مصر عام ١٨٩٠، لمقابلة رئيس الوزراء البريطاني، وكانت خطة فريدمان تشير إلى أنه لحل المسألة اليهودية في أوروبا، ولضمان عدم انضمامهم إلى الحركات الثورية الناشئة هناك، يجب أن تقام مستوطنة يهودية في أرض مدين تتمتع بالاستقلال الذاتي تحت الإشراف البريطاني.^(٣)

ومع تشكيل قوة عسكرية يهودية لحماية المستوطنين من هجمات البدو، أهل هذه المنطقة، والتعهد بحماية مشروعات بريطانيا خاصة بالنسبة لإنشاء سكة حديد تربط مصر بالهند، عندها قام فريدمان بتجهيز وابور^(٤) وأبحر به إلى الإسكندرية حاملاً معه بعض المتطوعين من العسكريين اليهود السابقين، وبعض المهتمين من العلماء يقارب خمسين فرداً، علاوة على ثلاثين عائلة يهودية، وعند وصوله إلى

(١) محمد أبو الغار، يهود مصر من الازدهار إلى الشتات، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٤٦

(٢) أرض مدين: هي المنطقة الساحلية التي تقع في شمال غرب الجزيرة العربية وتتأخم حدودها الشمالية مدينة العقبة الأردنية، وتمتد جنوباً مسافة أربع مائة كيلو متراً حتى بلدة الوجه، وكانت إدارتها تابعة لمنطقة السويس المصرية.

(٣) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٨٠

(٤) وابور: وهو يخت أطلق عليه اسم "إسرائيل" وكان قد اشتراه من إنجلترا.

الإسكندرية تقابل مع المسؤولين المصريين، ومع اللورد كرومر مرة ثانية، وعند رحيله من الإسكندرية اصطحب معه ثلاثين يهودياً مصرياً ممن يتكلمون العربية ويجيدون الفرنسية واللغات الأخرى؛ للمشاركة في الاستيلاء على منطقة مدين، وللقيام بأعمال الترجمة والاتصال مع أهل البلاد الأصليين، وقام محافظ الإسكندرية بنفسه بوداع السفينة عند إبحارها من الميناء، ومعه جموع غفيرة من أفراد الطائفة اليهودية في الإسكندرية يتقدمها حاخام المدينة، ورئيس الطائفة هناك، وقد أبحرت السفينة إلى منطقة شرما (شرم الشيخ حالياً) حيث عسكر فريدمان ومن معه^(١)، ونجح في شراء بعض الأراضي من الأهالي الذين تشككوا في نواياه بعد ما رأوا قيامه ومن معه بتدريبات عسكرية وإطلاق النيران، فاتجه وفد منهم إلى السويس ثم إلى القاهرة لإخبار الحكومة المصرية وطلب عونها. ولكنهم لم يجدوا رداً شافياً فاتجهوا إلى الوالي العثماني في جدة "دولتلي باشا" وأعلموه بما تم.

فأرسل فصيلاً استطلاعياً أكد صحة المعلومات التي نقلها أهل المنطقة، فقام "دولتلي باشا" بإرسال حملة عسكرية إلى هناك بإيعاز من الصدر الأعظم العثماني، حيث كانت أرض مدين من الناحية الاسمية تابعة للسلطان العثماني، وكانت القوانين العثمانية لا تبيح تملك الأجانب للأراضي في شبه الجزيرة العربية. وتقابل فريدمان مع قائد الحملة العسكرية العثمانية في منطقة "ضبة"؛ رافضاً مطلب الأخير في ضرورة الانسحاب من المنطقة؛ مستنداً إلى حصوله على موافقة من الحكومة المصرية، وفي الوقت ذاته تسرب اليأس إلى نفوس الكثيرين من المشاركين في مغامرة فريدمان، على ضوء الظروف الصعبة التي لازمت إقامتهم في المنطقة، ورفض السكان المحليون من البدو لوجودهم، فضلاً عن المعاملة السيئة التي بدأ فريدمان في إظهارها تجاههم، حتى قيل إنه نصّب نفسه ملكاً عليهم، وبدأ يرتدي تاجاً كان قد أحضره معه، وسمى نفسه ملك مدين؛ فضلاً عن معارضة بعض كبار الرأسماليين اليهود، الذين بدؤوا يحجبون مساعدتهم عن فريدمان، وشعروا أنه يمكن أن يمثل خطراً على مصالحهم مع الدولة العثمانية، وكان على رأسهم الرأسمالي الصهيوني البارون دي هيرش.^(٢)

وإزاء إصرار الحكومة العثمانية على انسحاب "فريدمان" من المنطقة. أمرته الحكومة البريطانية بالانسحاب، حتى لايزيد التوتر مع الحكومة العثمانية، وخاصة في أعقاب وفاة الخديوي توفيق، وتولى ابنه عباس حلمي الثاني الحكم في مصر في السابع من كانون الثاني ١٨٩٢. ومن جانبها اتهمت الطائفة اليهودية في الإسكندرية فريدمان بخداعها، وأنه كان يعمل لصالح الحكومة الألمانية، وليس لإقامة مستوطنة يهودية في مدين، وذلك على ضوء ما نشر عن طرده لبعض اليهود المرافقين له والمعارضين لسياسته من معسكره، وتيهيمهم في الصحراء واحتمال موتهم نتيجة لذلك. ومن جانبه عدّ

(١) عواطف عبد الرحمن، مصر وفلسطين، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٠، ص ٢٤

(٢) عبد الرحمن، مصر وفلسطين، ص ٢٥

فريدمان أن الحكومة المصرية قد خدعته بموافقتها على حملته مع عدم تأييدها له، والصمود في وجه المعارضة التي لازمت حملته، ورفع قضية تعويض ضد الحكومة المصرية، محملاً إياها مسؤولية إخفاقه، وطالبها بدفع ألفين وخمسمائة جنيه تعويضاً له^(١).

ومن الواضح أنه كان للسلطات المصرية دور بارز في مغامرة فريدمان، سواء بموافقتها عليها أم بموافقتها على مشاركة بعض يهود مصر في تلك الحملة المخففة.

ب- مشروع الاستيطان الصهيوني في منطقة العريش وسيناء مصر ١٩٠٢:

لم تقتصر الجهود الصهيونية على إنشاء الجمعيات الصهيونية في مصر؛ بل امتدت لتشمل استمرار المحاولات الصهيونية الاستيطانية في مصر، فيما عرف باستيطان العريش وسيناء مصر. حيث كان قد بدأ الزعماء الصهاينة والداعون إليها باللجوء إلى حكام البلاد التي لها صلات مباشرة بفلسطين العربية، حيث لجؤوا إلى القيصر الألماني (غليوم الثاني).

فقابلته هرتزل في القسطنطينية عام ١٨٩٨ باعتبار أن للقيصر أحلاماً قدسية في الشرق. ولكن المقابلة لم تثمر عن شيء وبالرغم من اللقاء الثاني الذي تم بين القيصر وهرتزل في أوروبا، فإن القيصر أصر على رفضه؛ نظراً لأن الاشتراك مع الصهيونية في اتفاق بخصوص فلسطين، ستعده الإمبراطورية العثمانية اعتداء على سيادتها، والقيصر الألماني غير مستعد أن يدخل في صراع مع السلطان العثماني. وعلى أثر ذلك قررت الصهيونية أن تتجه إلى السلطان العثماني مباشرة، وتوصل هرتزل إلى مقابلته عام ١٩٠١، وحاول الزعيم الصهيوني في أثناء المقابلة أن يضرب للسلطان على وتر حساس، وهو أن يتولى إصلاح الميزانية التي كانت على وشك الانهيار في ذلك الوقت، ولكنه أخفق في مساعيه، وإزاء هذا الإخفاق نقلت الصهيونية نشاطها إلى بريطانيا^(٢).

وفي عام ١٩٠٢ دخلت الصهيونية العالمية في مباحثات مع الحكومة الإنكليزية، بقصد إقناعها بالموافقة على منحها جزءاً من شبه جزيرة سيناء، لتقيم عليها "الوطن القومي"، الذي أثير لأول مرة في ٢٢ تشرين الأول ١٩٠٢، وقد كان للحكومة الإنكليزية في ذلك الوقت تطلعات استعمارية واسعة في منطقة الشرق الأوسط، وكانت تحتل مصر، وتقبض على زمام الأمور فيها منذ عام ١٨٨٢^(٣).

(١) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١٩

(٢) بدايات الحركة الصهيونية في مصر العربية ومحاولة احتواء عروبة مصر بعد اتفاقية كامب ديفيد، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٧، ص ١٦

(٣) خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٧٣، ص ٤٥

وكان المسؤولون في بريطانيا مستعدين لسماع مطالب الصهيونية في ذلك الوقت، فعلى أثر الاضطهاد الذي ذهب ضحيته أعداد كبيرة من اليهود في أوروبا، هاجر عدد كبير منهم إلى بريطانيا، حيث أحست بريطانيا بضغط هذا العدد المتزايد من اليهود عليها، وما يجره ذلك من مشكلات أهمها اقتصادية. ولهذا وجهت اللجنة الملكية البريطانية الخاصة بهجرة الأجانب دعوة في ٢٢ تشرين الأول ١٩٠٢ إلى هرتزل؛ لأنه زعيم الصهيونيين، ليعرض عليها ما يراه كفيلاً بحل مسألة الهجرة اليهودية المتزايدة إلى بريطانيا. (١)

وقد وصل هرتزل إلى بريطانيا، وقابل عدداً كبيراً من المسؤولين البريطانيين، من بينهم بعض اليهود الإنكليز المتعاطفين مع الصهيونية والمتبعين مسيرتها، وقد أسفرت مقابلاته مع اللورد لانسدون وزير الخارجية و جوزيف تشمبرلن وزير المستعمرات البريطاني، الذي اقترح على هرتزل استعمار العريش وشبه جزيرة سيناء. ولعله اختار ذلك لأن سيناء هي جزء من مصر التي تحتلها إنجلترا، وأن سيناء بالنسبة للصهيونية تعد أقرب مكان إلى فلسطين يقع تحت النفوذ البريطاني، وأقرب نقطة للوثوب على فلسطين حين تنتهي الفرصة؛ فضلاً عن بعض الذكريات الدينية التي لها في هذا المكان كمسوغات واهية (٢).

وقد عرف هذا المشروع باسم "مشروع العريش"، وكان يقضي بمنح اليهود حق الامتياز على الأراضي الواقعة في شبه جزيرة سيناء التي تحيط بمنطقة العريش. في مساحة تبلغ ٦٣٠ ميلاً مربعاً، ويرجح نجاح هذا الاتفاق إلى النفوذ الواسع الذي كان يتمتع به صهيوني بريطاني هو ليوبولد جرينبرج عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية، وكانت بداية محاولة تنفيذ هذا المشروع رسالة توصية تسلمها جرينبرج من وزارة الخارجية البريطانية لتقديمها إلى اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني في مصر في ذلك الوقت، وللتفاهم معه بشأن مفاتحة الخديوي في أمر هذا المشروع. (٣)

وقد اتفق على اختيار المنطقة الساحلية ليقم اليهود نواة لدولة تتمتع بالحكم الذاتي، وقدم هرتزل إلى وزير الخارجية البريطاني اللورد لانسدون، موضحاً الفائدة التي تعود على بريطانيا، من جراء تجمع عشرة ملايين يهودي في العريش، يعملون لصالح بريطانيا وقد أيد اللورد لانسدون المشروع.

وفي تشرين الثاني عام ١٩٠٢، أرسل هرتزل ليوبولد جرينبرج إلى مصر، حيث قابل اللورد كرومر ومسؤولين حكوميين مصريين في أعقاب تفاؤله بموافقة البريطانيين والمصريين (٤)

(١) أمين عبدالله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والأدب، عالم المعرفة، ع ٧٤، الكويت، ١٩٨٤، ص ٣٥

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ١٩

(٣) عبد الرحمن، مصر وفلسطين، ص ٢٥

(٤) قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي، ص ١٩

ثم قرر هرتزل إرسال بعثة في منتصف كانون الثاني عام ١٩٠٣ برئاسة المهندس ليوبولد كسلر، وضمت ستة آخرين من المنظمة الصهيونية، فضلاً عن الكابتن جولد سميث الذي أنيطت به مهمة الاتصال باليهود المصريين، وكسب تأييدهم للمشروع، ولم يحفل هرتزل بمعارضة ممثل السلطان العثماني في مصر؛ اعتماداً على التأييد البريطاني للمشروع.^(١)

وقد أرسل اللورد كرومر مندوباً عنه للاشتراك مع اللجنة الصهيونية التي ذهبت إلى العريش؛ لدراسة المنطقة على الطبيعة والبحث في مدى إمكاناتها وملاءمتها للاستيطان الصهيوني الجماعي. وحدد هرتزل مهام اللجنة، في دراسة الاستيطان في شمال شبه جزيرة سيناء، مع بحث إمكانية التقدم للأرياف والمدن، والبحث في أفضل السبل لري الصحراء، وإمكانية ضخ مياه النيل عبر قناة السويس أو تحنها، وتقدير تكلفة المشروع، وقد أوضح لهم هرتزل أهمية عدم الإفصاح عن مهمتهم؛ خوفاً من أية ردود فعل مصرية أو عثمانية تعوق المشروع.^(٢)

وكان من المقرر إذا ما أسفرت نتيجة الدراسة الميدانية عن صلاحية المنطقة، أن يحصل الصهونيون على امتياز إدارتها إدارة ذاتية تحت السيادة البريطانية لمدة ٩٩ عاماً. وفي ربيع عام ١٩٠٣ عادت البعثة من منطقة العريش إلى القاهرة بنتائج مبشرة، وذهب هرتزل وهو ممتلئ بالأمل تشجعه وعود المساعدة التي أمّله بها عدد ليس بقليل من أغنياء اليهود المقيمين في مصر، وخاصة في الإسكندرية حسب ما يذكر في مذكراته. حيث كانت العائلات الرأسمالية اليهودية الشهيرة في مصر قد ابتهجت بوصول هرتزل، إذ كان وصوله تبشيراً بقيام حركة صهيونية سياسية، تهدف إلى احتلال فلسطين وتشريد أهلها من العرب وإزاحتهم عنها، بإقامة وطن للصهيونية فيها.

رغم أن كرومر لم يبخل بتقديم الإمكانيات اللازمة للجنة لتأدية عملها، إلا أنه لم يتقبل فكرة نقل مياه النيل عبر القناة لري الأرض في سيناء، على أساس أن المنطقة المقترحة استيطانها جرداء قاحلة ليس بها ماء، وهي قطعاً ستحتاج إلى مياه النيل في وقت تحتاج فيه البلاد أشد الحاجة إلى كل قطرة من مياهها.^(٣)

وفي الوقت ذاته بدأت القوى الوطنية التي وصلها خبر اللجنة ووجودها في مصر تهاجم الفكرة، وتعدّها احتلالاً ثانياً مع الاحتلال البريطاني، ورغم ما أشيع عن موافقة الخديوي المبدئية على المشروع، وجهود "مراد فرج ليشع" المستشار القانوني للخديوي عباس حلمي الثاني، فإن بطرس غالي باشا وزير الخارجية المصري في حكومة مصطفى فهمي باشا، أوضح في بيان رسمي رفض الحكومة المصرية

(١) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٨٥

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٢٩

(٣) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٨٥

للمشروع، وأن الخديوي لن يتخلى بأية حال من الأحوال عن أية قطعة من أرض مصر، وفي الوقت نفسه أبدى غالي عدم معارضة الحكومة المصرية في قدوم عدد من المهاجرين اليهود ومنحهم امتيازات خاصة، على أن يصبحوا من الرعايا المصريين^(١).

وتحدد الموعد لمقابلة اللورد كرومر، وذهب هرتزل إليه، ووقع النبأ على هرتزل كالصاعقة وتناثرت أمانيه في الفضاء، رغم العرض الذي قدمه اللورد كرومر عليه في منح اليهود قطعاً من الأراضي غير المتصلة الأمر الذي رفضه هرتزل. ونتيجة لهذا الموقف قرر هرتزل السفر إلى القاهرة، ووصل إليها في ٢٣ آذار عام ١٩٠٣. فاستقبله جاك موصيري رئيس جمعية "باركوخفا" استقبالاً حافلاً^(٢)، ونظم له مقابلات مع العديد من شخصيات الطائفة اليهودية في القاهرة، وعلى رأسهم موسى قطاوي رئيس الطائفة. كما قابل هرتزل بعض القيادات الوطنية المصرية في محاولة كسبهم إلى صف المشروع، ورغم محاولة هرتزل تذليل الصعاب في سبيل نقل مياه النيل، إلا أن مشكلة المياه وقفت عقبة في سبيل تحقيق المشروع؛ مما سبب ضيقاً لدى كل من المعتمد البريطاني كرومر والحكومة المصرية. وأخيراً ترك هرتزل مصر في ٤ نيسان، على أمل تغير الأوضاع لإعادة محاولة تنفيذ المشروع، بعد قضاء أسبوعين في مصر لم يستطع فيهما الحصول على الموافقة لتحقيق مشروعه^(٣).

لكن كرومر أوضح لتشمبرلن ولانسدون أنه لا يمكن تحقيق هذا المشروع؛ لأنه يحتاج إلى كمية كبيرة من مياه النيل، وأن العديد من الساسة المصريين يرفضونه. كما تعرض هرتزل لنقد من زعماء الصهيونية، لعدم قبوله ماعرضه كرومر من أراض غير متصلة، في مقابل إصرار هرتزل على الاستيطان المتصل وعلى نطاق واسع. وهنا يبرز دور سلطة الاحتلال ممثلة في اللورد كرومر في إفشال مشروع استيطان اليهود في العريش، رغم ما بين بريطانيا واليهود من علاقات، تجلت في تقديم بريطانيا لهرتزل مشاريع استيطانية أخرى، أهمها مشروع الاستيطان اليهودي في شرق أفريقيا. ورغم أن تشمبرلن هو الذي عرض مشروع العريش، فإن كرومر خشي من قيام موقف لا يمكن التعامل معه من جراء استنزاف المشروع لمياه النيل، كما أن كرومر خشي من استمرار معارضة القوى الوطنية له؛ وبالتالي زيادة الارتباط بالدولة العثمانية التي ما زالت لها السيادة الإسمية على مصر. حينها توقفت المباحثات؛ بسبب ما لفته إنجلترا من معارضة مصرية حقيقية؛ إذ استطاعت أن تشعر هذه الأخيرة أن الهدف الحقيقي والأساسي للصهيونية كان إقامة وطن صهيوني على أرضها^(٤).

(١) قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي، ص ٣٩

(٢) عبد الرحمن، مصر وفلسطين، ص ٧٦

(٣) فيليب فارج، يوسف كراج، المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، ت: بشير السباعي، دار سينا للنشر،

القاهرة، ط ١، ١٩٩٤، ص ٢٦٣

(٤) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٨٧

ج- تأسيس شركة أراضي "كوم أمبو" في مصر لاستصلاح الأراضي :

لم يُثن إلغاء مشروع العريش وسيناء مصر مساعي المنظمة الصهيونية، ففي أعقاب تأسيس شركة أراضي "كوم أمبو" في أسوان جنوب الوادي عام ١٩٠٣ (بهدف استغلال واستصلاح الأراضي في المنطقة ومدته تسعة وتسعون عاماً) فقد تردد أن هناك مشروعاً لإقامة مستعمرة يهودية في كوم أمبو، لاستيعاب المهاجرين اليهود طبقاً للشروط التي أوردتها بطرس غالي فيما سبق، وخضوعهم للسلطة المصرية. حينها ذكرت جريدة الأهرام تحت عنوان "المستعمرة الإسرائيلية في القطر المصري"^(١) أن هذا المشروع قد يكون بديلاً عن مشروع استعمار شرق افريقية، ويغني الصهيونيين عن السفر إلى مجاهل افريقية، ورغم هذا فإن هذا المشروع لم ينفذ أيضاً.

وفي عام ١٩٠٨ تجددت محاولة إحياء مشروع الاستيطان اليهودي في شمال سيناء ومنطقة العريش، على يد نائب القنصل البريطاني في غزة، ويدعى إسكندر كنزوفيتس وهو يهودي بريطاني، فقد قام بإغراء أهالي منطقة رفح المصرية على بيع أراضيهم له، وتمكن من شراء أكثر من عشرة آلاف دونم؛ بهدف إقامة مستوطنة يهودية في المنطقة^(٢)، ولكن تعود مرة أخرى السلطة البريطانية المحتلة في مصر لوقف المشروع، وخاصة على ضوء تنامي الاحتجاجات ضده من القوى الوطنية ومن الدولة العثمانية.

د- تأسيس الاتحاد الصهيوني في مصر عام ١٩١٣ :

رغم إخفاق المشاريع الاستيطانية السابقة، غير أن الصهيونية بذلت مزيداً من الجهد فركزت على امتلاك أرض فلسطين، وإعداد الهجرات اللازمة للسفر، وتوفير الأموال والمشرفين والرعايا للمهاجرين، وإقامة المستعمرات الصهيونية. حيث شهدت مدينة الإسكندرية التحركات الأولى لهذا بداية النشاط عام ١٩٠٨. عندها أسس عدد من يهود المدينة جمعية صغيرة باسم (أبناء صهيون)^(٣) والتي أعلنت بصراحة كاملة تبنيها لبرنامج "مؤتمر بال" الصهيوني وترأس هذه الجمعية الدكتور دافيد، وضم مجلس إدارتها دافيد إيديلوفيتش، ليون شغيدر، براونشتين، تراجان، ماركوبهار. ولم ينقض عام على تأسيس هذه الجمعية، حتى قامت إلى جانبها جمعية ثانية عرفت باسم (زائير تسيون) وكان رئيسها سيمون زلوتان ولم تلبث جمعية "أبناء صهيون" أن انضوت تحت لوائها توحيداً للنشاط الصهيوني.

كان نشاط هذه الجمعية محصوراً في بداية الأمر في دائرة ضيقة؛ لذلك كانت تعقد اجتماعاتها في بعض المناسبات (مثل إحياء وفاة "هرتزل" بـ ١٩٠٤) في منازل أعضائها، غير أن نشاطها سرعان ما

(١) سيد عبد المنعم عبد الرحمن، عبد القادر ياسين، محمد سيف الدولة، أكرم خميس، إيمان بسيوني أحمد، عبير عطية، الصهيونية

في مصر من مركز يافا، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٢

(1)- Charles Issawi. Egypt : An Economic and Social Analysis : Oxford University press 1947, p28

(٣) عبد الظاهر ، دراسة في الموقف السياسي، ص ٨٣

امتد واتسع، وانضم إليه عدد كبير من يهود المدينة، فبدأت تنظم المحاضرات والاجتماعات والاحتفالات التي تدعو إلى تحقيق أهداف "المنظمة الصهيونية العالمية"، واتخذت من صالة "بيت هاعام" (بيت الشعب) بمعبد "الياهو حنابي" ميداناً لدعوتها. وفي ١٩١٣ رُوي توحيد عمل هذه الجمعيات فأسسوا "الاتحاد الصهيوني" ليضم كل الجمعيات الصهيونية في حظيرة واحدة^(١).

وحيثما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ وحتى ٥ كانون الأول ١٩١٥، بلغ عدد المهاجرين الذين وطئت أقدامهم أرض ميناء الإسكندرية ١١٢٧٧ مهاجراً يهودياً، بعد أن أصدر جمال باشا السفاح قراراً بحرمان يهود فلسطين المشاركة في الحركة الصهيونية، وحرّم الكتابة بالعبرية، وجرد المستعمرات الصهيونية من السلاح، وحلّ كثيراً من منظماتهم، وخاصة منظمة الحارس "هشومير"، كما أن اليهود رفضوا التجنس بالجنسية العثمانية؛ وبالتالي الانخراط في سلك الجندية^(٢).

وبمجرد أن تدفق هذا السيل من المهاجرين اليهود، تشكلت لجنة من كبار الرأسماليين من أبناء الطائفة اليهودية في مصر باسم "لجنة إغاثة المهاجرين الروس من فلسطين"، اشترك فيها حاخام الإسكندرية "البلند برجولا" ونائبه الحاخام "أبراهام ابيخزير"، وسارع "إدجار ساويرس" رئيس الطائفة بالمدينة بالسفر إلى القاهرة حيث قابل السلطان حسين كامل ورئيس وزرائه حسين رشدي اللذين أبديا كل عطف تجاه اللاجئين من اليهود، حيث فتحت لهم منطقة (القباري والبلدية والشاطبي ومبنى الحجر الصحي)^(٣) وحين ازدادت أعدادهم وضعت محطة المحافظة ودارها في رأس التين وغيرها من الأماكن الحكومية تحت تصرفهما.

وهذه الصورة شاهدها صحفي يهودي عاش في تلك المناطق حيث أطلق عليها "معسكرات التحرير" في مقال نشره بمجلة "مصر الإسرائيلية" في عددها الصادر في ٣١ كانون الثاني ١٩١٥، حيث ورد بالمقال: "يعيش في منطقة القباري نحو ١٦٠٠ نسمة يتكلمون أربع عشرة لغة مختلفة، وتستخدم اللغة العبرية وسيلة للتفاهم بينهم، والمكان يشبه قرية مستديرة الشكل وهي مسورة ضماناً للأمن، وتحتوي على عدة منازل ومطابخ، وقد أتاح لهم المصريون أن يعيشوا في أمان، وأن يقيموا شعائهم بحرية؛ ولذلك فقد بنوا لهم معبداً ومستشفى؛ فضلاً عن أن المكان صحي وملائم للمعيشة، وبه حدائق خضراء وطرق مرصوفة...^(٤)

(١) أحمد أبو كف، أحمد أبو غنيم، اليهود والحركة الصهيونية في مصر (١٨٩٧-١٩٤٧)، دار الهلال، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٢٨

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ٣٧

(٣) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٢١

(٤) عبد الرحمن، فلسطين ومصر، ص ١٥٦

كذلك ساعدت الحكومة المصرية على إقامة المدارس، فأقيمت مدرسة في القباري تضم ٢٥٠ تلميذاً، ومدرسة في المفروزة تضم ٦٠ تلميذاً، وأخرى في الوردان بلغ عدد تلاميذها ٣٠٠ تلميذ، وكان تتولى الإشراف عليها (فليكس منشه) كما قامت (ديلا برجولا) زوجة الحاخام الأكبر ورشة للحياكة والأشغال اليدوية. كما وصلت الأنسة (لاندو) التي كانت تعمل مديرة لمدرسة (ايغلين دي روتشيلد) للبنات في القدس، لافتتاح مدرسة في منطقة (الوردان) تضم ٤٠٠ تلميذ، وقد كانت الدراسة تتم فيها باللغة العبرية^(١).

هذا؛ فضلاً عن المدرسة التي أقيمت في وسط مدينة الإسكندرية التي كانت تضم ٣٢٠ تلميذاً، ويتولى إدارتها الدكتور "بوجراتشوف". كما منحتهم الحكومة المصرية قطعة أرض مجاناً في القاهرة، لبناء مستشفى افتتحه الحاخام الأكبر في ١٩١٦، كما أنشؤوا مؤسساتهم الخاصة لدعم أوضاعهم الاقتصادية. وبذلك لم تبخل مصر حكومةً وشعباً في احتوائهم، فأبدى السلطان حسين كامل عطفاً شديداً على اللاجئين، وأمر أن تصرف لهم إعانة يومية قدرها ٨٠ جنهماً ثم زيدت للمائة، فضلاً عما كان يتبرع به أثرياء اليهود وغيرهم. وبذلك يكونون قد عاشوا عصراً ذهبياً في عهد السلطان حسين كامل.^(٢)

والواقع أن هؤلاء اللاجئين عاشوا في الإسكندرية في رغد نسبي من العيش، إلى أن غادر بعضهم بدوافع صهيونية إلى فلسطين عام ١٩١٨. ومع أن المنظمة الصهيونية العالمية التي كان يرأسها وايزمن بعد وفاة هرتزل عام ١٩٠٥، قد أعلنت الوقوف موقف الحياد في وقت الحرب، إذ ينتمي أعضاؤها إلى دول من المعسكرين، فإن فريقاً من اليهود أعلن عن رغبته في الانضمام إلى جنود الحلفاء، وتزعمهم الصهيوني يوسف ترمبلدور معتقداً أن اتخاذ هذا الموقف سيدعم مطالب الصهيونية بعد الحرب في حالة انتصار الحلفاء.^(٣)

أما عن تطور أوضاع يهود مصر خلال الحرب العالمية الأولى فهذا ما سوف تدرسه الرسالة في الفصل الأول.

(١) فوزي جرجس، تاريخ مصر منذ العصر المملوكي، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص ١٢٩

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥١١

(٣) أبو كف، غنيم، اليهود والحركة الصهيونية، ص ٢٢٨

الفصل الأول

الأوضاع السياسية ليهود مصر بين ١٩١٧-١٩٤٨

أولاً- النشاط الصهيوني ليهود مصر.

- ١- دور يهود فلسطين المهاجرين إلى مصر في الحرب العالمية الأولى.
 - ٢- تكوين الاتحاد الصهيوني في مصر عام ١٩١٧.
 - ٣- النشاط الصهيوني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية.
- ثانياً- دور يهود مصر في دعم وعد بلفور وتأثير زيارات حاييم وايزمان في الأنشطة الصهيونية.

ثالثاً- أبرز السياسيين اليهود في مصر وعلاقتهم بالقصر الملكي.

رابعاً- المنظمات والنوادي الصهيونية وعلاقتها بالأحزاب المصرية.

- ١- علاقة اليهود مع حزب الوفد.
 - ٢- علاقة اليهود مع حزب الأحرار الدستوريين.
 - ٣- موقف اليهود من حركة الإخوان المسلمين وحركة مصر الفتاة.
 - ٤- نشاط الحركات الشبابية في مصر.
 - ٥- موقف حركة "هشومير هتسعير" من تقسيم فلسطين.
 - ٦- تأسيس كيبوتس "تحشونيم" بفلسطين.
- خامساً- موقف الحكومة المصرية من اليهود رداً على أحداث فلسطين ما بين ١٩٣٦-١٩٤٨.

- ١- ردود فعل الشارع المصري ضد اليهود رداً على أحداث ١٩٣٦ بفلسطين.
- ٢- موقف الحكومة من أعمال الشغب الشعبي ضد اليهود رداً على أحداث الصراع الفلسطيني-الصهيوني في ١٩٣٦.
- ٣- حركات الاعتقالات التي نفذتها الحكومة المصرية ضد اليهود المرتبطين بالصهيونية.

سادساً- النشاطات الدعائية للاتحاد الصهيوني في مصر:

- ١- موقف يهود مصر من تقرير " لجنة شو " عن أحداث ١٩٢٩ في فلسطين.
- ٢- زيارات الزعماء الصهيونيين إلى مصر في فترة الثلاثينيات وتأثيرهم على تطور الأنشطة الصهيونية.
- ٣- ردود الفعل العامة على قرار تقسيم فلسطين في ١٩٣٧.
- ٤ - انعكاسات ثورة ١٩٣٦ الفلسطينية على مصر وتأثير بوادر الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ ودورها في تنبيه المصريين للخطر اليهودي.

سابعاً- المنظمة الصهيونية الجديدة (التعديلون) في مصر:

- ١- تشكيل حزب التعديليين داخل المنظمة الصهيونية العالمية.
- ٢- انفصال حزب التعديليين عن المنظمة الصهيونية العالمية وتشكيلهم لمنظمتهم الجديدة.
- ٣- تأثير ظروف الحرب العالمية الثانية في المنظمة الصهيونية الجديدة في مصر.

ثامناً- النشاطات الإرهابية لليهود في مصر ومحاولات مكافحتها:

- ١- تأسيس عصابة شتيرن ١٩٤٠ ودورها في اغتيال شخصيات بريطانية.
- ٢- حادثة اغتيال وزير الدولة البريطاني اللورد موين.
- ٣- الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية ودورها ضدها.

تاسعاً- هجرة اليهود من روسيا إلى مصر ودورهم في نشر الفكر الاشتراكي.

- ١- موقف الحكومة المصرية وبريطانيا من الحزب الاشتراكي.
- ٢- تأثير الفاشية والنازية في الشارع المصري.
- ٣- إنشاء الحركة الديمقراطية للتحرك الوطني (حدثو).
- ٤- تأسيس الحزب الشيوعي المصري.

- نتائج الفصل.

أولاً- النشاط الصهيوني ليهود مصر:

انتضحت أهمية مصر مبكراً بالنسبة للفكر الصهيوني العام، ولمنظري هذا الفكر بصفة خاصة، وذلك لقربها الجغرافي لفلسطين، وأخذ اليهود والصهاينة يسعون بدأب لإيجاد حالة من الارتباط بين الصهيونيين والمجتمع المصري، ولذا توحد الاهتمام الصهيوني نحو إنشاء الجمعيات والمحافل الصهيونية التي توجت بإنشاء الاتحاد الصهيوني بمصر عام ١٩١٧، وتواصل هذا النشاط على الساحة المصرية؛ مستغلين في ذلك حالة التآلف المجتمعي السائدة في مصر، والعلاقات التي كونتها القيادات الصهيونية مع السلطة، والتي أوضحت إلى أي مدى ارتبط يهود مصر بالمشروع الصهيوني، وذلك من خلال زيارات زعمائهم وخاصة حايم وايزمان. -كما ورد في التمهيد - وإيضاح الخطوات العملية التي حاولت فيها الصهيونية إيجاد رأس جسر استيطاني في مصر، وكيف أخفقت هذه المحاولات.

١- دور يهود فلسطين المهاجرين إلى مصر في الحرب العالمية الأولى:

في بداية الحرب العالمية الأولى تدفق إلى مصر بدءاً من كانون الأول ١٩١٤ حتى كانون الأول ١٩١٥ أكثر من ١١٢٧٧ مهاجراً من يهود فلسطين^(١). لأن الدول الامبريالية وبخاصة انجلترا انشغلت عن الاهتمام بالمشروع الصهيوني بحكم الصراع بينهم حول المصالح لذا كان على اليهود التحرك،

حينها قامت الطائفة اليهودية في القاهرة والإسكندرية، بتنظيم مساعدات عاجلة لهم. وأنشؤوا لذلك "صندوق المساعدات الخاص بالقاهرة" و"صندوق الإسكندرية للمساعدات اليهودية" و"لجنة اللاجئين بالإسكندرية" وقد أرسل إدجار سوارس إلى البارون روتشيلد يخبره بإنشاء يهود الإسكندرية هذا الصندوق لنجدة يهود فلسطين، وقد حيا روتشيلد جهود يهود مصر وخاصة يهود الإسكندرية وشكرهم على حسن استقبالهم للاجئين اليهود، وتشجيعاً منه اكتب بألف جنيه مصري مساعدة للصندوق. وفي الوقت ذاته وصل إلى الإسكندرية الصحفي الصهيوني زئيف فلاديمير جابوتنسكي (١٨٨٠-١٩٤٠) الذي بادر بتشكيل قوة بوليس لحفظ النظام^(٢) عرفت باسم (النوتريم=النواطير) أي الشرطة في معسكر القباري، بعد نشوب صراع بين اليهود الأشكنازيم والسفارديم^(٣)

ووجد جابوتنسكي الفرصة سانحة لتشكيل قوة عسكرية خاصة تعمل إلى جانب الحلفاء. وفي الوقت ذاته إن تشكيل مثل هذه القوة سيؤدي إلى انشغال اليهود في معسكرات الإيواء، ويمنع الاحتكاك بينهم، من وجهه نظره.^(٤) حينها بادر جابوتنسكي ومعه صديقه "جوزيف ترمبلدور" (١٨٨٠-١٩٢٠)، للاجتماع

(١) مأمون كيوان، اليهود في الشرق الأوسط، الأهلية للنشر والتوزيع، ط١، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص ٢٥٦

(٢) صموئيل إيتنجر، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠-١٩٥٠)، ت: جمال أحمد الرفاعي، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٥، ص ٣٧١

(٣) السفارديم: اليهود الشرقيون. الأشكنازيم: اليهود الأوروبيون.

(٤) محمد الطويل، يهود في برلمان مصر، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٨

بمجموعة من اليهود في بيت أحد اليهود المصريين ويدعى مارجوليس، وقدم جابوتنسكي تصوره عن "الفيلق اليهودي"، وتمت الموافقة على اقتراحه بأغلبية، وقد بادر خمسمائة يهودي بتسجيل أنفسهم للانضمام للفيلق منهم ٣٥٠ يهودياً من المهاجرين و ١٥٠ من يهود مصر، وتشكل وفد لمقابلة الجنرال البريطاني "ماكسويل" قائد القوات البريطانية في مصر، الذي اقترح عليهم تشكيل فرقة "البغالة"^(١) لمساعدة البريطانيين في قتالهم في شبه جزيرة غاليبولي، وعين لهم ضابطاً بريطانياً لقيادة هذه القوة، وهو العقيد جون هنري باترسون.

كان جنود هذه الفرقة يلبسون قبعات عليها (نجمة داود ولها علم عليه النجمة أيضاً، وقد باركها الحاخام الأكبر ديلا برجولا، ووزع عليها كتيبات باللغة العبرية)، ورغم احتجاج جابوتنسكي لما عده إهانة لليهود بتكوين "لواء الحمير"، فقد رحب "ترمبلدور" بذلك ومعه باقي اليهود الآخرون. ونتيجة لجهود باترسون وترمبلدور تشكلت فرقة "راكبي البغال الصهيونية"، حيث سافرت إلى شبه جزيرة غاليبولي في ١٥ نيسان عام ١٩١٥ بعد تدريب لها لم يتجاوز الأسبوعين، وكان في وداعها رجال الطائفة اليهودية في الإسكندرية، وعلى رأسهم الحاخام الأكبر بالمدينة ديلا برجولا، وبقيت الفرقة في غاليبولي حتى أذار ١٩١٦، بعد أن منيت بالعديد من الهزائم.^(٢)

وفي الوقت ذاته جاب جابوتنسكي أوروبا، حتى تمكن من الحصول على موافقة الحكومة البريطانية لتشكيل "الفيلق اليهودي"، ليشترك في جبهة فلسطين، وبالفعل تكونت الكتيبة الثامنة والثلاثون من اليهود البريطانيين والمتطوعين من اليهود في الجيش البريطاني. وتولى العقيد باترسون قيادة الفيلق، ووصلت الكتيبة إلى مصر عام ١٩١٨ وسط احتفالات أعدّها اليهود المصريون. حيث اصطحبوها إلى أحد معسكرات الجيش المصري في منطقة حلمية الزيتون، الذي كان من المقرر أن تعسكر فيه للتدريب حتى يتم دفعها إلى فلسطين.

كما تشكلت الكتيبة التاسعة والثلاثون من يهود أمريكا بجهود من دافيد بنغوريون و إسحق بن تسفي، وتولى قيادتها المقدم البريطاني العازر مارجولين، عندما وصلت الكتيبتان الثامنة والثلاثون والتاسعة والثلاثون إلى فلسطين عام ١٩١٨، وتمكن جابوتنسكي وباتسرون من إقناع الجنرال اللنبي الحاكم العسكري لفلسطين، بالقيام بفتح مكاتب للتجنيد في فلسطين.^(٣) أثمرت عن تشكيل الكتيبة الأربعين المسماة "حملة البنادق الملكية" من يهود فلسطين، فضلاً عن مائة وعشرين من جنود فرقة البغالة واليهود المصريين، وتولى قيادتها المقدم فردريك صمويل. وبهذا أصبح مجموع الفيلق بعد تشكيل هذه الكتيبة

(١) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٩٢

(٢) عبد الرحمن، مصر وفلسطين، ص ١٥٢

(٣) عبد الرحمن، مصر وفلسطين، ص ١٥٢

نحو ٥٥٠ فرداً، وبالرغم من محاولات بعض المؤرخين اليهود أن ينسبوا لهذا الفيلق أي دور، إلا أن دوره كان محدوداً نظراً لوصول الكتيبتين ٣٨ و ٣٩ إلى فلسطين في منتصف تموز عام ١٩١٨، وتمركزهما في منطقة الملاحه في وادي الأردن، في الوقت الذي كانت العمليات العسكرية قد هدأت في فلسطين، إلى أن أعلن انتهاءها رسمياً في ٣١ تشرين الأول من العام ذاته.^(١)

أما الكتيبة الأربعون فلم تشترك في القتال أصلاً حيث كانت ما تزال في معسكرات التدريب في مصر. ومن الواضح أن لجوء يهود فلسطين إلى مصر، أحدث نوعاً من الانتعاش بين يهودها تعددت مظاهره، وساعد على هذا الأمر الموقف الترحيبي من السلطات المصرية، ومباركة السلطان حسين كامل ثم السلطان أحمد فؤاد للنشاط الصهيوني، وقد أثمر ذلك عن تكوين أول تشكيل عسكري صهيوني في العصر الحديث، ليس مجرد ميليشيات مسلحة كمنظمة الحارس "الهاشومير"؛ بل هو تنظيم عسكري كامل هو "الفيلق اليهودي" الذي أتم تدريب عناصره على أرض مصر، بمشاركة بعض يهودها، وتقديم التسهيلات له سواء من سلطات الاحتلال أم الحكومة المصرية. وتم استعراض قواته في شوارع القاهرة والإسكندرية، ورغم تسريح عناصر هذا الفيلق بعد ذلك، إلا أن كوادره دخلوا ضمن النواة التي بنيت عليها عصابة "الهاجانا" بعد ذلك عام ١٩٢٠ في فلسطين، والتي شكلها جابوتنسكي وورثها الياهو غولومب^(٢)، وما مثله هذا التنظيم العسكري من دور في ممارسة العنف ضد العرب في فلسطين.

وفيما بعد انبثقت عنه جميع التنظيمات الإرهابية الأخرى، مثل تنظيمي "الأرغون" و"شتيرن" اللذين أصبحا نواة الجيش "الإسرائيلي" بعد قيام "إسرائيل" عام ١٩٤٨^(٣).

٢- تكوين الاتحاد الصهيوني في مصر عام ١٩١٧

دعا ليون كاسترو^(٤) إلى عقد اجتماع للقوى الصهيونية في ١٨ كانون الأول عام ١٩١٧، حيث تمّ فيه تكوين (الاتحاد الصهيوني بمصر) في حضور أكثر من ثلاثة آلاف من يهود مصر، وتمّ الاتفاق على أن يكون الرئيس من السفارديم ونائباه أحدهما سفاردي والآخر أشكنازي. وبالفعل تم انتخاب جاك موصيري (١٨٨٤-١٩٣٤) رئيس جمعية "باركوخفا" رئيساً للاتحاد، وليون كاسترو نائباً له ورئيساً للجنة المركزية للاتحاد، وانتخب نائب آخر من الأشكناز، وظل الحال هكذا حتى انتخابات عام ١٩٣٧، عندما انتخب الرئيس ونائباه من السفارد، وأرسل المؤتمر إلى حاييم وايزمان رئيس لجنة لندن الصهيونية

(١) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر من مركز يافا، ص ١٦

(٢) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٩٤

(٣) فوزي محمد حميد، حقائق وأباطيل في تاريخ بني إسرائيل، دار الصفيدي، دمشق، ط١، ١٩٩٤، ص ٤٤

(٤) ولد عام ١٨٨٤ في أزمير وحصل على دبلوم من مدرسة المعلمين بباريس عام ١٩٠٢ ثم عمل مدرساً في تركيا من ١٩٠٣ إلى ١٩٠٦ ثم سافر إلى باريس حيث حصل على إجازة الحقوق ١٩١١ ثم غادر إلى مصر حيث عمل محامياً. انظر: عبد الظاهر،

دراسة في الموقف السياسي، ص ٢٩

وعضو اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية، برقية يخبرونه فيها بتكوين الاتحاد، وتأييد خطواته لتأمين إصدار تأييد دولي للوطن القومي، وقد علق وايزمان على هذه البرقية، بأنها كانت حافزاً كبيراً في إصدار تصريح بلفور بعد أسبوعين تقريباً من هذا الاجتماع.^(١)

عندها افتتح الاتحاد الصهيوني فرعاً له في الإسكندرية، بعد صدور تصريح بلفور في ٨ تشرين الثاني، حينها بادر بعقد اجتماعين في الإسكندرية وبإشراف فرعها هناك، الأول في ٤ تشرين الأول عام ١٩١٧، أي بعد يومين فقط من إصدار التصريح في مسرح الهمبرا، والاجتماع الثاني في ١١ تشرين الأول في حديقة رشيد، وحضره ما بين ٧٠٠٠-٨٠٠٠ يهودي من المهاجرين ومن يهود الإسكندرية.^(٢)

وحضره زعماء الطائفة اليهودية في القاهرة والإسكندرية، علاوة على زعماء الاتحاد الصهيوني في مصر، والحاخام الأكبر للطائفة في الإسكندرية، فضلاً عن أحمد زيوار باشا محافظ الثغر (رئيس الوزراء المصري في تشرين الثاني ١٩٢٤ فيما بعد) مندوباً عن حكومة حسين رشدي باشا رئيس الوزراء المصري آنذاك، وفي نهاية الحفل أنشد الحاضرون نشيد الأمل "هتكفاه".^(٣) وأرسل الحاضرون برقيتين، الأولى إلى وايزمان أعرب فيها جاك موصيري رئيس الاتحاد الصهيوني في مصر عن رغبة يهود مصر في أن تصبح فلسطين دولة يهودية لغتها العبرية وسكانها من اليهود، والبرقية الثانية إلى لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني معبراً له عن امتنان المجتمعين لإصدار تصريح بلفور.

وتواصلت جهود يهود مصر للإعراب عن تأييدهم للنشاط الصهيوني فعقد في ١٨ آب عام ١٩١٨ بعض الأثرياء من يهود الإسكندرية (منهم فليكس منشه، وجوزيف إيلي بيشوتو وألفريد كوهين وليون نحمياس وغيرهم) اجتماعاً قرّروا فيه تشكيل لجنة "العمل من أجل أرض إسرائيل"^(٤). وقد تمّ تسجيلها على أساس أنها جمعية خيرية، تعمل من أجل الأعمال الإنسانية، إلا أنها انغمست في الأنشطة الصهيونية، بالاشتراك مع مكتب المعلومات الذي أنشأته المنظمة الصهيونية في الإسكندرية؛ لتقديم المعلومات اللازمة عن فلسطين، لمن يريد الحصول عليها سواء لمن يريد الهجرة من اليهود، أم ممن يريد المساهمة المادية في الأنشطة الصهيونية هناك.

فقد قام ليون كاسترو منذ اليوم الأول لتوليّه رئاسة فرع "المنظمة الصهيونية العالمية" بالعمل الجدي، فكانت أولى خطواته تجميع الجمعيات الصهيونية وضماها إلى حظيرة فرع المنظمة، فأصبحت جمعية "زئير تسيون" عام ١٩١٨ فرعاً تابعاً للمنظمة الصهيونية العالمية في الإسكندرية، ثم انضم إليها أعضاء

(١) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر، من مركز يافا، ص ١٦

(٢) وليم فهمي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧١، ص ٢٧

(٣) جاك حاسون، تاريخ يهود النيل، ت: يوسف درويش، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧، ص ٢١١.

(٤) سامي أبو النور، دور القصر في الحياة السياسية في مصر ١٩٣٦، ١٩٢٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦، ص ١٩١

لجنة "المشايعة لفلسطين" (سيتم ذكرها لاحقاً)، واتخذت مقراً لها بشارع النبي دانيال رقم ٥٤، وأقامت المنظمة فرعاً لها بمدينة بور سعيد، وكان من أبرز أعضائها إيزابي لوري.

كما أنشأت فرعاً آخر لها بمدينة المنصورة، تولى توجيهه المحامي سيداكا ليفي. واتخذت المنظمة مركزاً لها في القاهرة، وأعلنت صراحة أن هدفها هو نشر الدعوة الصهيونية بين جماهير اليهود، والمساعدة على تأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين، حسب ادعاء المنظمة الصهيونية.^(١)

وقد سارع كاسترو بإصدار "المجلة الصهيونية" عام ١٩١٨، لتكون لسان المنظمة في مصر، وأنشأ فرع المنظمة الصهيونية العالمية في مصر، فرعاً للصندوق القومي اليهودي "كيرن كايميت" بمقر المنظمة، واختير "دانييل سابورتا" قومسيراً له (أميناً للصندوق).^(٢) وكان هدفه جمع التبرعات من اليهود في مصر لشراء الأراضي في فلسطين، والمساعدة على الاستيطان، وكان هذا الفرع في مصر على اتصال دائم بالصندوق القومي اليهودي في لندن، الذي كان يرأسه "سالمون رايت" والذي كان يبعث لفرع مصر بتوجيهاته وتوصياته.

كما أقام فرع القاهرة فرعاً للصندوق القومي اليهودي فيه، وأنشأ فرع الإسكندرية بدوره فرعاً لهذا الصندوق، وكان نشاط هذا الفرع يتسلل إلى مختلف أحياء المدينة. فأقام تنظيمات عدة منها جماعة "فيلونيا" بحي محرم بيك وجماعة "جميلوت حاساديم" بحي الميدان، وجماعة "الإبراهيمية" بالرملة البيضاء. وشكلت للصندوق لجنة تنفيذية كان يوجهها ويشرف عليها (جون فاينبلات وباروخ نبتاتا ورفائيل دويك)، كما كان للمنظمة فرع للصندوق القومي اليهودي بمدينة المنصورة يشرف عليه سيدا كاليافي، وأسست المنظمة إلى جانب ذلك جمعيات عدة تدعو جميعها إلى إقامة "الوطن القومي اليهودي في فلسطين"، منها جمعية "أصدقاء المجمع الرباني في أورشليم" وجماعة "أصدقاء المجمع الرباني في رودوس" وجماعة "موعادون هايفري للدعاية العبرية"^(٣)

ورغم هذا الزخم الصهيوني، فقد حدث خلاف بين جاك موصيري رئيس الاتحاد الصهيوني وليون كاسترو سكرتير اللجنة المركزية للاتحاد، وعلى أثر ذلك الخلاف قدم موصيري استقالته في نيسان عام ١٩١٨، احتجاجاً على تسلط كاسترو.

وفي ٢٠ آذار عام ١٩١٨ وصل إلى الإسكندرية الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان على رأس البعثة الصهيونية التي شكلتها المنظمة الصهيونية لدراسة أوضاع اليهود في فلسطين، ولتهيئة الأوضاع لإقامة "الوطن القومي"، وقد فوجئ وايزمان على حد قوله باستقبال حافل على رصيف ميناء الإسكندرية من

(١) بدايات الحركة الصهيونية في مصر، ص ٧٤

(٢) حاسون، تاريخ يهود النيل، ص ٢١٣

(٣) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٨٠

جموع يهودها، وعلى رأسهم ادمار سوارس رئيس الطائفة هناك، وفليكس منشه من كبار أثريائها اليهود.^(١) كما قام ليون كاسترو بإدارة حملة دعائية لحزب الوفد في أوروبا، وذلك عقب ثورة ١٩١٩ القومية، وقام بعد عودته لمصر بتأسيس وتحرير جريدة فرنسية موالية للوفد، أطلق عليها اسم "الحرية".

وقد عمل كاسترو على إعادة تنظيم الاتحاد مرة أخرى، حيث اختار أحد أعضاء الأسر اليهودية الثرية وهو جوزيف شيكوريل ليكون رئيساً للاتحاد، بينما اكتفى هو بتولي منصب النائب له ورئيس اللجنة المركزية للاتحاد^(٢) ويظهر في هذا الأمر حرص كاسترو على تقديم أحد الشخصيات اليهودية المصرية المعروفة في مصر؛ وذلك استغلالاً للوضع الاجتماعي والسياسي الذي ترتب لهذا الأمر، وتقديراً منه لحدثاته عهده وقدمه إلى مصر.

وقد احتفل الصهيونيون بمناسبة إصدار تصريح بلفور بمناسبة قومية لهم، وشكلوا وفداً منهم، لمقابلة المندوب السامي البريطاني في مصر، لتقديم الشكر والتهنئة بمناسبة هذا الحدث، كما أرسلوا برقيات شكر للحكومة البريطانية لتعاطفها مع أمانهم القومية، وقد شاركهم احتفالاتهم كثير من يهود مصر غير المنتمين للاتحاد الصهيوني، واهتم الاتحاد الصهيوني بإنشاء مكاتب له في أماكن التجمع اليهودي، في غير القاهرة والإسكندرية، مثل المنصورة وطنطا. كما اهتم بعض الصهيونيين بالانضمام إلى الأحزاب المصرية (خاصة حزب الوفد أكبر الأحزاب التي تم إنشاؤها بعد ثورة ١٩١٩) منهم ليون كاسترو ودافيد حزان وفليكس بن زافين واليان فينير وزكي شويقه المحامي وإبراهيم ألبرت مزارحي^(٣).

وأقام ليون كاسترو عام ١٩٣٠ المحفل الوطني الأكبر لمنطقة مصر والسودان "بناي بريث" أبناء العهد، الذي كان الغرض منه تجميع المحافل التالية وتوجيهها لخدمة الأغراض الصهيونية، وهي: (محفل القاهرة وابن ميمون وإلياهو حنابي وماجن دافيد في المنصورة ومحفل إسرائيل في بور سعيد ومحفل بنزيون كوستي في الخرطوم)^(٤) وقد تولى ليون كاسترو رئاسة هذا المحفل الأكبر، يعاونه في ذلك "وايزمن"، وبذلك أصبحت هذه المحافل بمنزلة منبر واضح وصريح للدعوة الصهيونية، ففيها كانت تنظم الاجتماعات واللقاءات والمحاضرات العلنية التي تدعو إلى إقامة "الوطن القومي اليهودي" في فلسطين.

كما أسست المنظمة الصهيونية عام ١٩٣٣ "الجمعية المصرية لأصدقاء الدراسات العبرية" برئاسة رودلف شالوم^(٥) بغية تكوين العناصر القادرة على نشر الثقافة العبرية بين أبناء الطائفة اليهودية، وكانت

(١) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٧٧

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٧٥

(٣) حاسون، تاريخ يهود النيل، ص ٢١٣

(٤) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٧٦

(٥) علي شلش، اليهود والماسون في مصر، كتاب الزهراء، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٦٨

هذه الجمعية تبعت في كل عام بعدد من أعضائها إلى فلسطين، ليتزودوا بالفكر الصهيوني. وقد سيطر زعماء المنظمة الصهيونية في مصر على محافل اليهود كلها.

وفي الأربعينيات عمل كاسترو كممثل للوكالة اليهودية من أجل فلسطين في مصر، وعندما حضر الدكتور إسحق الكالاي حاخام يوغسلافيا الأكبر لزيارة مصر في أذار ١٩٤٤، دعاه محفل الياهو حناي -بناي بريث- بالإسكندرية لإلقاء محاضرة عن اليهود في يوغسلافيا أعقبه إيلي بوليتي الصهيوني الشهير بكلمة شكر وجهها إليه نيابة عن المحفل^(١).

٣- النشاط الصهيوني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥:

شهدت مصر خلال الحرب العالمية الثانية امتداداً واسعاً للنشاط الصهيوني، فقد كانت البلاد تعج بالعديد من جنود الحلفاء اليهود، وعلى الأخص المتطوعين منهم، الذين ملأت الأفكار الصهيونية المتعصبة عقولهم، فدعوا لتأسيس الوطن القومي الصهيوني في فلسطين، وتلقته المنظمة الصهيونية في مصر بأحضانها، ويسّرت لهم بمختلف الوسائل والسبل الالتقاء بشباب الطائفة اليهودية من المتصهيبيين في مصر، ونظمت لهم اللقاءات لرسم الخطط من أجل التعاون لتحقيق الأهداف الصهيونية.

فيما بعد أسست المنظمة الصهيونية في مصر عام ١٩٤١ لجنة باسم "اللجنة الترفيهية اليهودية للبحارة والجنود والطيارين" مهمتها إقامة النوادي الترفيهية للجنود، وتقديم المساعدات الروحية والمادية لهم، واتخذت مقراً لها في شارع عدلي بالقاهرة.^(٢) وكان على رأس اللجنة الرأسمالي اليهودي الصهيوني عوفاديا سالم بينما كان ليون كاسترو رئيس المنظمة الصهيونية في مصر نائباً له.

وأقامت اللجنة نوادي عدة في القاهرة والإسكندرية، كان يقصدها الجنود اليهود، وتقوم على خدمتهم سيدات الطائفة، وأصبحت هذه النوادي في واقع الأمر مراكز للنشاط الصهيوني والتجسس، ونقاطاً لالتقاء الشباب الصهاينة؛ لبلورة أهدافهم السياسية والعنصرية في استيطان فلسطين وجعلها "الوطن القومي" من وجهة نظرهم، وقد اعتاد كبار الرأسماليين اليهود دعوة الجنود باسم هذه اللجنة إلى حفلات يقيمونها في منازلهم، ومن هؤلاء "دانييل كورييل" وزوجته اللذين نشرت الصحف أنهما أقاما في ١٩ أذار ١٩٤٢ حفلاً في حديقة منزلهما بالزمالك ضمت ١١٢ جندياً.^(٣)

(١) عبد الرحمن، مصر وفلسطين، ص ١٥٤

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٧٧

(٣) علي، ملف اليهود في مصر الحديثة، ص ٢٠١

كما كان "يعقوب وايزمان" يستقبل الجنود اليهود ويعقد الاجتماعات لهم، وكانت زوجته تشرف على النوادي المقامة لهم في القاهرة. وكان يعقوب وايزمان لا يهدأ عن النشاط من أجل المشروع الصهيوني، حيث كان يستقبل كبار الصهيوينيين ويتبادل معهم الرأي، ويجمع الأموال من أبناء الطائفة اليهودية، ليبعث بها إلى الوكالة الصهيونية في فلسطين، كما كان صديقاً حميماً "لموسى شرتوك" (موشي شاريت فيما بعد) الذي تولى الوزارة في الكيان الصهيوني خلال عامي ١٩٥٤ - ١٩٥٥ حيث كان ينزل ضيفاً على يعقوب وايزمان بمنزله بشارع قصر النيل كلما جاء إلى مصر، ليلقي بتعليماته إلى رئاسة فرع المنظمة الصهيونية في مصر. (١)

وخلال الحرب العالمية الثانية اعتاد شرتوك زيارة مصر كل ستة أشهر، بوصفه من أحد منظمي عملية تجنيد اليهود في جيوش الحلفاء، وكان في أغلب الأحيان يعقد اجتماعات مع أعضاء المنظمة الصهيونية العالمية وأنصارها في مصر، وفي مقدمتهم ليون كاسترو ويعقوب وايزمان وبورس كاهونوف أمين صندوق المنظمة، وس. شاؤول سكرتيرها العام.

وقد اعتاد أن يلقي خطبه في مدرسة "نقطة اللبن" أو في فندق "المجندات اليهوديات". وكان يحضر الاجتماع عدد كبير من اليهود المجندين في القوات البريطانية، وكذلك الكثير من المثقفين ورجال المال والاقتصاد من أبناء الطائفة اليهودية الصهيوينيين (٢).

وفي أواخر آب عام ١٩٤٢ حضر إلى مصر "إسحق بن تسفي" الذي أصبح رئيساً للكيان الصهيوني بعد حاييم وايزمن، وكان وقتئذ رئيساً للمجلس الوطني اليهودي في فلسطين، حيث قام بزيارة الطائفة اليهودية وقضى عشرة أيام تنقل خلالها بين القاهرة والإسكندرية، وقابل عدداً كبيراً من الجنود والضباط اليهود المتطوعين بالجيش البريطاني، وعقد معهم اجتماعات عدة. كما قام بزيارة الحاخام الأكبر وكبار أبناء الطائفة، وعقد اجتماعاً خاصاً مع أعضاء المجلس الأعلى للطائفة اليهودية، برئاسة "يوسف قطاوي" للبحث حول كيفية احتلال فلسطين. (٣) وعندما سافر إلى الإسكندرية أقامت له المنظمة الصهيونية حفل استقبال يوم ٢٩ آب ١٩٤٢ بمقرها، حيث ألقى خطاباً سياسياً دعا فيه إلى العمل على تشييد الوطن القومي اليهودي في فلسطين، بتضافر الجهود المادية والمعنوية كافة. وكان من أثر هذه اللقاءات بين زعماء الصهيونية في فلسطين وأعضاء فرع المنظمة الصهيونية في مصر، أن قام الفرع بحملة تبرعات واسعة تحت شعار "من أجل ضحايا النازية من اليهود"، بلغت حصيلته ١٥ ألف جنيه مصري، خصص

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٨١

(٢) شلش، اليهود والماسون في مصر، ص ٧١

(٣) عبد المنعم، الصهيونية في مصر، من مركز يافا، ص ١٧

منها ١٢ ألف جنيه لشراء قطعة أرض في فلسطين،^(١) أقيمت عليها مستعمرة للصهاينة الألمان في وادي الحوارث (عيمك حيفر) أطلق عليها (كفار يديدياه)^(٢).

وفي عام ١٩٤٣ قرر ليون كاسترو أن يعيد تشكيل فرع المنظمة الصهيونية من جديد تحت اسم "الاتحاد الصهيوني المصري"، واتخذ له مقراً في شارع عماد الدين في القاهرة. وبالطبع لم يغير الاتحاد الصهيوني في صورته الجديدة أي هدف من أهداف المنظمة الصهيونية، بل ظل شعاره "نشر الأهداف الصهيونية" بين جماهير اليهود في مصر، والمساعدة على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين^(٣). وتولى كاسترو رئاسة هذا الاتحاد الذي كان يضم ٧٥٠ عضواً وتشكل مجلس إدارته من: يعقوب وايزمان، أدولف كرامر، إميليو ليفي، سام حانوكا، أفينوعام هورفيتز، دكتور زوكرمان، روفائيل دويك، رالف جرين، إلبير إلبا، مورييس فينتورا. كما ضم الاتحاد الصهيوني لجاناً عدة، منها:

أ- لجنة الشباب: التي ترأسها حايم زاديكوف.

ب- لجنة الدعاية: التي كان يتولى سكرتاريتها ليون بيفاس.

ت- لجنة الصندوق التأسيسي لفلسطين (كيرن هايسود): مهمتها الاكتتاب والقروض والمنح والهبات للاستثمار في فلسطين، وكان يتولى رئاسة هذه اللجنة إيزاك إميل.

ث- لجنة الصحافة والإعلام: وكان يشرف عليها إميل نجار زوج ابنة يعقوب وايزمان (وقد أدى إميل نجار بعد ذلك دوراً في الدولة الصهيونية إذ التحق بالسلك الدبلوماسي "الإسرائيلي" ثم عمل قنصلاً "إسرائيل" في مرسيليا)^(٤)

وكان إميل نجار قد ألقى محاضرة في الإسكندرية في ١٢ كانون الأول ١٩٤٤ حضرها الحاخام الأكبر موييس فينتورا وأعضاء الاتحاد الصهيوني بالمدينة وعدد كبير من الشباب الصهاينة، تحدث فيها عن انطباعاته عن فلسطين. وعن دور المنظمة الصهيونية العالمية في خدمة الحلفاء بشبكة الاستعلامات التي نظمها، والتي كان لها دور خطير في أعمال الحرب^(٥).

كما أشار في خطابه إلى تصريح لـ بنغوريون قال فيه: "إننا نشترك في الحرب كما لو لم يكن هناك كتاب أبيض، ونكافح الكتاب الأبيض كما لو لم تكن هناك حرب"^(٦). كما قام بدراسة إمكانية تطوير

(١) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٨١

(٢) نسبة إلى الفيلسوف اليهودي "فيلويدا" الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد.

(٣) سهام نصار، اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم (١٨٧٧-١٩٥٠)، العربي للنشر والتوزيع، د.ت، ص ٢٠

(٤) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٨١

(٥) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٨٣

(٦) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٥٥

فلسطين، بحيث يمكنها استيعاب أربعة ملايين مهاجر يهودي، يمكنهم أن يعيشوا على مستوى مرتفع تماماً في فلسطين. وختم نجار حديثه بنداء إلى جميع الصهيونيين للتعاون من أجل الهدف المشترك.

وللوقوف وراء الوكالة اليهودية حتى يتيسر لها نصررة القضية اليهودية في خلق الوطن القومي في فلسطين حسب وجهه نظرهم. ومع كل المجريات التي سبق الإشارة إليها، كانت هذه التفاصيل تتم بمصر أمام الملك وحاشيته والذين كانوا غافلين عن هذا تماماً أو متغافلين...

ثانياً- دور يهود مصر في دعم وعد بلفور:

كان لصدور وعد بلفور عام ١٩١٧، موجة من الفرح الغامر عمت أبناء الطائفة اليهودية، ففي أعقاب التصريح، أقامت المنظمة الصهيونية حفلاً في مدينة الإسكندرية حضره كبار رجال الطائفة، حيث عرضت مسرحية تعيد إلى الأذهان صوراً للمتاعب التي واجهها اليهود في روسيا^(١)، واختتم الحفل بخطاب ألقاه جاك موصيري رئيس المنظمة الصهيونية في مصر، أعلن فيه أن الصهيونية تلك الفكرة الخيالية قد أصبحت حقيقة واقعة، وناشد يهود مصر أن يستيقظوا من خمولهم ويعطوا المسائل اليهودية اهتمامهم، حيث كان لنشاط هذه المنظمة تأثير واضح في جمعية "زئير تسيون"، التي أخذت تعمل بشكل سافر للدعوة إلى إقامة "الوطن القومي لليهود في فلسطين" وتسهم في سبيل ذلك بالمال والدعاية، كما أقامت هذه الجمعية حفلاً آخر بالحماس ذاته، وقد رسم المتحدثون فيه صورة طيبة للحياة التي تنتظر اليهود في فلسطين، وفي الختام أنشد الحاضرون النشيد الوطني اليهودي (هتكفاه "الأمل"). فضلاً عن هذه الاحتفالات كان من أبرز أعمال تلك الجمعية إنشاء مكتب للاستعلامات، الغرض منه الإسهام في توطین اليهود في فلسطين، والدعوة إلى الهجرة اليهودية إليها، وتسهيل مهمة المهاجرين من اليهود الذين يملكون إلى مصر في طريقهم إلى فلسطين^(٢).

١ - تأثير زيارات حاييم وايزمان المتكررة إلى مصر في الأنشطة الصهيونية:

ظل اليهود في مصر يحتفلون بذكرى صدور تصريح وعد بلفور كل عام. وقبل ذلك، وفي آذار ١٩١٧ عندما زار حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية مصر، ضمن وفد في طريقه لفلسطين، عندها نبهت جريدة فلسطين في مقال لها حول مطالب الاتحاد الصهيوني من يهود مصر للاحتفال بزيارة بلفور لمصر والتي نشرتها جريدة "إسرائيل" بالفرنسية بعنوان: "نداء إلى يهود مصر"

(١) علي إبراهيم عبده، خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧١، ص ٨٤

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٧٠

لفتت فيه أنظارهم إلى وجوب الاحتفال يوم وصول اللورد بلفور إلى مصر في طريقه إلى فلسطين احتفالاً كبيراً... وحضتهم على وجوب تأليف وفود منهم لتذهب إلى فلسطين لحضور حفلة التدشين التي يقوم بها اللورد^(١) وقد تمت الاستجابة لهم، فقد كان في انتظاره في الإسكندرية الكثير من اليهود على رأسهم أثرياء اليهود ووجهائهم ترحيباً به. كما عقد عدد من كبار الرأسماليين اليهود وجميعهم من الصهاينة في الإسكندرية، وعلى رأسهم البارون فيليكس منشه وجوزيف دي بنشوتو اجتماعاً في ١٢ آب ١٩١٨، أعلن فيه البارون فيليكس منشه ضرورة تكوين لجنة الهدف منها لم شمل الجمعيات اليهودية كافة، من أجل الاهتمام بكل ما له صلة بفلسطين.

كما ألقى خطاباً ضمنه ما يجب أن تقوم به هذه اللجنة، وهو تدعيم الجامعة العبرية بفلسطين، والمساعدة على توطين اليهود فيها، وإنشاء المستشفيات والجمعيات الخيرية، والعناية بكل ما يمكن أن يساعد على زيادة التقدم المادي والفكري لليهود في فلسطين^(٢). وفي ١٤ آب ١٩١٨ عقدت اللجنة اجتماعاً ثانياً بمناسبة مرور حاييم وايزمان على مدينة الإسكندرية، فدعته لحضور هذا الاجتماع، حيث ألقى كلمة شرح فيها المتطلبات العاجلة للقضية الصهيونية، وعرض شرحاً كاملاً لموقف المنظمة العالمية من النواحي السياسية والاقتصادية والعقائدية، وكشف عن عدم كفاية التنظيمات القائمة على تحقيق الهدف، وأوضح الوسائل الكفيلة بعلاج ذلك، ولم ينس وايزمان أن يوجه لأعضاء اللجنة نصائحه وتوجيهاته وتوصياته، ودعاهم إلى المصادقة على إقامة المستعمرات الزراعية، وتدعيم الجمعيات الخيرية والمدارس والجمعيات التعاونية اليهودية في فلسطين؛ كونها ضرورات ملحة تتطلبها تلك المرحلة. وقد تدارست اللجنة عقب الاجتماع هذه الأمور، فقررت أن تطلق على ذاتها اسم "لجنة المشايعة لفلسطين" وتشكل مكتبها من البارون فيليكس منشه رئيساً وفيكتور ناجيار نائباً ودافيد ساكس أميناً للصندوق، وبادرت اللجنة إلى توجيه نداء إلى يهود مدينة الإسكندرية، أوضحت فيه أهدافها، ودعت إلى الاكتتاب من أجل مراميها، فسارع عدد كبير من يهود الإسكندرية إلى التبرع، وبلغت الاكتتابات الأولى في ذلك الوقت وفي بضعة أيام فقط ١٠٠١٩ جنيهاً مصرياً...^(٣)

كما أن زيارات وايزمان لم تنقطع إلى مصر بعد ذلك، حتى تنصيبه أول رئيس لـ"إسرائيل"، وفي زيارته كان يحث اليهود على مزيد من الحركة، ففي إحدى زيارته في ١٩٢٢ رأى أن إسهامات يهود مصر في الحركة الصهيونية بطيئة.

(١) جريدة فلسطين، ٣-٣-١٩٢٥، ص ٥، (انظر ملحق رقم ٢٦٢)

(٢) عبد المنعم، الصهيونية من مركز يافا، ص ١٨

(٣) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٧٣

حيث يذكر وايزمن في آب ١٩٢٢ أن حصيلة المنظمة الصهيونية في مصر من التبرعات الخاصة بفلسطين بلغت ٣٠ ألف جنيه إسترليني فقط^(١). ومنذ عام ١٩١٨ أخذ الصهاينة في مصر يركّزون على الأنشطة العلمية التي تساعد على تعزيز الوعي الصهيوني بين أفراد الطائفة اليهودية في مصر، ولتوثيق الرابطة بينهم وبين الاتحاد تم عقد المحاضرات والندوات التي تطالب اليهود بالانضمام إلى الأنشطة الصهيونية، وعدم معارضتها. كما طالب وايزمان في محاضرة له في نيسان عام ١٩١٨ أمام الطائفة اليهودية، عدّ الصهيونية واليهودية شيئاً واحداً، وهو ما تحقق بالفعل حيث عدّهما كثير من المصريين كذلك. وقد حرص وايزمان وبعثته الصهيونية في أثناء زيارته، على تحفيز اليهود المصريين للانضمام للحركة الصهيونية، وزيادة الاهتمام بدعم أنشطة صناديق الإغاثة اليهودية في مصر، ورغم مأخذه التي أبدّاها إزاء عدم إبداء زعماء الطائفة اليهودية في مصر الحماس الكافي للصهيونية^(٢)، لكن المدقق سوف يلاحظ نشاطات هؤلاء الزعماء التي تدل على اهتمامهم الصهيوني، مع اهتمامهم في الوقت ذاته بوضعهم الاجتماعي والسياسي الذي تحقق لهم وعدم تعريضه للخطر.

ثالثاً- أبرز السياسيين اليهود في مصر وعلاقتهم بالقصر الملكي :

بينت الدراسات التي تناولت الحياة الاجتماعية، والموقف العام لليهود في مصر، أن هؤلاء اليهود سواء أكانوا مصريين، بحكم الإقامة، أم مهاجرين قدموا إلى مصر، أنهم عاشوا فيها متآلفين مع باقي النسيج الاجتماعي المصري، إلا أن الشعار العلماني لثورة ١٩١٩ القومية "الدين لله والوطن للجميع" حفّز اليهود على المطالبة بمكانهم كمواطنين في المجتمع المصري.

أما بالنسبة للمواطنين الأجانب المقيمين في مصر، فكان لهم الحق في النظر في أمورهم القضائية أمام المحاكم المختلطة، التي كان الأوروبيون ينظرون إليها على أنها أكثر تقدماً وحادثة من النظام القضائي المحلي، لكن الحفاظ على منطقة فصل قضائي أدت إلى تكاثر عناصر الاستقلال الذاتي الطائفي على النمط العثماني، والتي قوضت المبادئ العلمانية المتحررة للمواطنة، التي كانت قد دعت إليها ثورة ١٩١٩.^(٣)

١- دور أسرة قطاوي في المناصب الوزارية في مصر :

(١) عبد العظيم رمضان، الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى نهاية أزمة مارس ١٩٥٤،

مكتبة مديبولي، القاهرة، ط١، ١٩٧٥، ص ١٩٦

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام "إسرائيل" والعدوان الثلاثي، ص ٣٨

(٣) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٩٩

كان للطائفة اليهودية في مصر تأثير ملحوظ في إطار العلاقات التي كانت قائمة بين السلطة المصرية، وعلى رأسها الملك من جهة، والطائفة اليهودية في مصر، من جهة أخرى، وقد ساعد على ذلك، على نمو جماعة من اليهود الذين ارتبطوا بالنشاط السياسي العام، وتمكّنوا من الوصول إلى كرسي الوزارة، مثل يوسف قطاوي باشا الذي ترأس الطائفة اليهودية في مصر لفترة طويلة، امتدت من أوائل العشرينيات إلى أوائل الأربعينيات وخلفه ابنه رينيه بعد ذلك.^(١)

كان قطاوي حريصاً على تزكية بعض القيادات اليهودية الأخرى، وتشجيعها للانخراط في العمل السياسي، ونرى أن قطاوي نفسه كان نموذجاً لليهودي الناشط في وسطه الاجتماعي الطائفي، وفي التقرب من الحكام وعلى رأسهم الملك نفسه، فقد تصاهر مع واحد من أكبر أثرياء الإسكندرية من اليهود وهو إدجار سوارس. وفي إطار تدعيم الصلات الاجتماعية بين طائفتي القاهرة والإسكندرية، سعى إلى إيجاد شبكة مصالح ضخمة، من خلال إنشاء العديد من الشركات العاملة في مصر، وترأس عضوية مجالس الإدارة لبعض البنوك^(٢).

وكان أيضاً حريصاً على أن تكون قيادات هذه الشركات وكوادرها من اليهود المصريين، حيث كان هذا اتجاهاً عاماً لدى الرأسمالية اليهودية المصرية، بصفة عامة ورغم خطورته فلم تستطع السلطات المصرية أن تفعل شيئاً حياله^(٣). وبالنسبة للبعد الآخر وهو القرب من الحكام، فقد تقلّد قطاوي العديد من المناصب، وأصبح منغمساً في النشاط السياسي منذ عام ١٩١٣ من خلال عضويته للجمعية التأسيسية، ثم عضويته للجنة الثلاثية التي أنيط بها وضع مشروع الدستور بعد ثورة ١٩١٩. ومستشاراً للوفد المفاوض، ثم وزيراً للمالية وللمواصلات، وحتى بعد استقالته، عين عضواً في مجلس النواب حتى وفاته، وكانت زوجته أليس سوارى الوصيصة الخاصة للملكة ناظلي زوجة الملك فؤاد، وامتد نشاط قطاوي إلى الزعامات السياسية، فدعم صلاته بها وصادقته معها^(٤).

وقد حظي يعقوب قطاوي عميد أسرة قطاوي في تاريخها الحديث بلقب "بك" في عهد الخديوي توفيق عام ١٨٨٠، وكان أول يهودي يحظى باللقب، وتوالت الألقاب بعد ذلك على أفراد أسرته، وباقى الأسر اليهودية المصرية، مثل عائلة هراري وعاداه وموصيري ورولو وسوارس واجيون وجرين وشيكوريل وعدس

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٨٥

(٢) الحكيم، يهود ولكن مصريون، ص ١٤

(٣) إلا بعد اتفاق مونتره عام ١٩٣٧ وانتهاء الامتيازات الأجنبية انظر: نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ٦٩

(٤) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٣٥

ومنشه وغيرها. ^(١) كما تمّ تعيين يوسف أصلان قطاوي في الجمعية التشريعية، وهذا بالطبع بتعليمات من الخديوي عباس حلمي الثاني ورئيس وزرائه حسين رشدي باشا.

كما عين يوسف قطاوي باشا مستشاراً لوفد المفاوضات، الذي كان قد شكله برئاسه عدلي يكن رئيس الوزراء، لمفاوضة الإنكليز حسب طلبهم في شباط عام ١٩٢١؛ بهدف التوصل إلى اتفاق يرضي المصريين، ويحقق الأهداف البريطانية، وهي المفاوضات التي تمت مع كيرزون وزير الخارجية البريطاني والمعروفة بمفاوضات عدلي- كيرزون ^(٢)، وبعد صدور تصريح ٢٨ شباط ١٩٢٢ اختير يوسف قطاوي عضواً في لجنة الدستور، التي ضمت ثلاثين عضواً، والتي كان قد شكلها عبد الخالق ثروت رئيس الوزراء، في الثالث من نيسان عام ١٩٢٢ بناء على تعليمات الملك فؤاد لبحث وضع مشروع للدستور وقانون الانتخابات. وفي أول انتخابات يتم إجراؤها بعد صدور دستور ١٩ آذار عام ١٩٢٣، تم انتخاب يوسف قطاوي عضواً في مجلس النواب، وتولى رئاسة اللجنة المالية في المجلس، كما عينت حكومة سعد زغلول التي تولت الحكم في نيسان عام ١٩٢٤، يوسف بنتشوتو اليهودي عضو حزب الوفد عضواً بمجلس الشيوخ. وفي أعقاب استقالة زغلول في ٢٤ تشرين الثاني عام ١٩٢٤، كلف الملك أحمد فؤاد أحد أعضاء حزب الأحرار الدستوريين زيوار باشا بتشكيل الوزارة.

وقد ضمت بايعاز من الملك والإنكليز، يوسف قطاوي وزيراً للمالية، الذي يعد أول يهودي تولى الوزارة في مصر - منذ توليها يعقوب بن كلس وزيراً للخليفة الفاطمي العزيز بالله بن المعز لدين الله - ^(٣). كما تولى يوسف قطاوي رئاسة الطائفة اليهودية في مصر، خلفاً لعمه موسى قطاوي بدءاً من عام ١٩٢٤، وقد عمد إلى تدعيم أنشطة الطائفة، وحاول إعادة تشكيل "مجلس المصلحين" الذي استقال؛ احتجاجاً على تسلط موسى قطاوي في إدارته لمجلس الطائفة، وهو الأمر الذي أثر في وضعها المالي؛ إذ امتنع كثير من اليهود عن دفع الإرخاء ^(٤) "رسم العضوية".

كما عين الملك فؤاد يوسف قطاوي عام ١٩٢٧ عضواً بمجلس الشيوخ حتى تقاعد منه عام ١٩٣٨، فقام الملك فاروق بتعيين ابن يوسف أصلان لكي يحل محله. وفي العام ذاته تم انتخاب رينيه الابن

(1)- Shamir, Shimon(ed), The Jews of Egypt A mediterane an Socity in Modern Times. London, West Niew, press, 1987, p55

(٢) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٩٨

(٣) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٣٨

(٤) وهي رسم العضوية التي كان يدفعها اليهود لطائفتهم نظير الرعايا الروحية وكانت تعد أحد أهم الموارد المالية للطائفة، علاوة

على الامتناع عن دفع التبرعات لمدارس الطائفة. انظر: بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٩٩

الثاني ليوسف قطاوي نائباً عن دائرة كوم أمبو، وقد احتفظ كل منهما بمنصبه حتى عام ١٩٥٣ عندما تم حل البرلمان^(١).

وسعى يوسف قطاوي في الوقت ذاته، إلى تدعيم علاقات الطائفة بالمصريين عامة والأثرياء بصفة خاصة؛ مستغلاً وضعه الاجتماعي وعلاقاته بالقصر، وبالفعل تمكن في عام ١٩٢٨ من الحصول على تبرع من عبد الرحمن الدمرداش ما قيمته مائة ألف جنيه مصري؛ لبناء وإدارة مستشفى للطائفة اليهودية.^(٢) وفي ٣٠ آذار عام ١٩٣٥ تمكن قطاوي من إقناع الملك فؤاد برعاية احتفالات الطائفة اليهودية، أو ينبغي عنه من يحضرها، مثل إنابته محافظ القاهرة لحضور احتفال الطائفة بافتتاح ملجأ نقطة اللين.

كما اهتم الملك بمناسبات الطائفة حيث حضرها شخصياً أو أناب من يحضر عنه هذه الاحتفالات، كما حدث بالاحتفال بالعيد الفضي لجلوس ملك بريطانيا على العرش في الثالث من أيار من العام ذاته. اعترافاً بفضل على اليهود وتسهيله إصدار تصريح بلفور. ورعايته الشخصية بالاحتفال بالعيد المئوي الثامن لرحيل الفيلسوف اليهودي. "موسى بن ميمون"^(٣).

وفي عام ١٩٤٣ قامت الصحيفة اليهودية الأسبوعية "الشمس"، التي تصدر باللغة العربية، بتأييد رينيه قطاوي ليتولى رئاسة مجلس طائفة اليهود السفارديم بالقاهرة، بوصفه أفضل مرشح قادر على تشجيع تعريب وتمصير الطائفة، وقد تمّ انتخابه لهذا المنصب الذي تولاه حتى عام ١٩٤٦.^(٤)

وفي أواخر عام ١٩٤٤ قام رينيه قطاوي بتبادل مراسلات شائكة مع "ليون كاسترو"، يطالبه أن يقوم بإغلاق المعسكرات التي تديرها حركات الشباب الصهيونية، ويبدو أن رينيه قطاوي لم يستطع أن يفرض إرادته على العناصر الصهيونية في مجلس الطائفة، ولربما كان ذلك وراء استقالته في آب ١٩٤٦. ولم تكن عائلة قطاوي باشا هي فقط المقربة للملك فؤاد؛ إنما كان يحيط نفسه بمجموعة كبيرة من اليهود، منهم حاييم ناحوم أفندي (١٨٧٣-١٩٦٠) وهو حاخام تركي عينه الملك عام ١٩٢٥ حاخاماً أكبر لمصر والسودان، ومنحه الجنسية المصرية عام ١٩٢٩، كما عينه عضواً في عام ١٩٣١ بمجمع فؤاد الأول للغة العربية.^(٥)

(١) رمضان، الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر، ص ٢٠١

(٢) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٩٩

(٣) موسى بن ميمون: اشتهر عند العرب بلقب الرئيس موسى، ولد في قرطبة ببلاد الأندلس سنة ١١٣٥ انتقلت عائلته إلى بلاد فاس حيث درس بجامعة القرويين ثم استقرت عائلته بمصر حيث عمل فيها نقيباً للطائفة اليهودية وطبيباً لبلاط السلطان صلاح الدين الأيوبي حيث كان أوجد زمانه في صناعة الطب وله معرفة في الفلسفة. توفي بالقاهرة سنة ١٢٠٤. انظر: لاندو، تاريخ اليهود في الفترة العثمانية، ص ٤١٢

(٤) إسرائيل ولفسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٢٧، ص ٩٦

(٥) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٣٨

ومع دخول الجيش المصري إلى فلسطين في أيار عام ١٩٤٨ التزاماً بقرارات الجامعة العربية، ظلت العلاقات بين القصر واليهود على قدرها من الود والتسامح. فقد نشر الحاخام الأكبر للطائفة في القاهرة "حاييم أفندي" بياناً في ١٨ أيار يناشد فيه أبناء طائفته بالتبرع للجيش المصري، لمساعدته في مهمته في فلسطين، والدعاء للملك والجيش.

وهذا مايدل على سذاجة الحكومة المصرية وتواطئ رجال السياسة فيها الذين لم يأبهوا لممارسات يهودها الصهيونية والتي كانت علنية وتتم أمام أنظارها على نقيض اليهود الصهيونيين الذين كانت جميع حركاتهم ذات أبعاد خطيرة على معظم مفاصل المجتمع والحكومة المصرية.

عندها قام سلفاتور شكيوريل باستضافة المباحثات غير الرسمية بين المصريين والإسرائيليين في تموز عام ١٩٤٨ في بيته في باريس^(١). إلا أن اليهود شعروا في هذه الفترة، بأنه لا يوجد تعارض بين التزاماتهم الوطنية المصرية والصهيونية، ويذكر حاييم أفندي حاخام مصر الأكبر أن محرر المجلة الدورية "إسرائيل" الموالية للصهيونية، التي تصدر بالعربية والفرنسية ألبرت موصيري قد طالب الحاخام "أن يتفضل بالتوضيح لإخواننا أن الفرد في استطاعته أن يكون شديد الوطنية للبلد التي شهدت مولده، على حين يكون في الوقت ذاته يهودياً قومياً صميماً وذلك يعني أن أحد الجانبين لا يتطلب استثناء الآخر"^(٢)

مع ذلك تعاملت السلطات المصرية ممثلة بالملك مع اليهود كونهم من المجتمع المصري، ينطبق عليهم ما ينطبق على الآخرين؛ بل إن بعضهم كانت له الحظوة السياسية التي استغلوها لمصالح الطائفة اليهودية، ولا يمكن أن نقول إن حدث هناك أي تغيير حاد في نوعية هذه العلاقة، فقد استمرت علاقات الاحترام للدين اليهودي، والزيارات المتبادلة رافعين شعار "الدين لله والوطن للجميع".

(١) أمين مصطفى، الاتصالات السرية العربية- الصهيونية ١٩١٨-١٩٩٣، دار الوسيلة، ط١، ١٩٩٤، ص ١٥٤

(2)- The Jews in Modern Egypt 1914-1952, Gudrun Kramer, London, Tauris, 1989, p 28

رابعاً- المنظمات والنوادي الصهيونية وعلاقتها بالأحزاب المصرية:

لم يكتف يهود مصر بتوطيد علاقتهم مع رأس السلطة؛ بل امتدت لتشمل القوى السياسية المؤثرة في الساحة، وقوى المثقفين الذين يؤثرون بأقلامهم وأرائهم في بناء الرأي العام، وهو البعد المهم الذي تنبّه إليه اليهود في مصر مبكراً وحرصوا على السيطرة عليه.

١ - علاقة اليهود مع حزب الوفد:

من الملاحظ أن اليهود المصريين الذين عاشوا في مصر، مواكبين تطورها السياسي، كانوا منحازين مثل كثيرين غيرهم من المصريين، إلى حزب الوفد المصري بزعامة سعد زغلول، وقد وثّق يوسف قطاوي علاقته بزغلول منذ تزامنهم عام ١٩١٣ في الجمعية التشريعية.

ولكن هذا لم يمنعه من الانضمام إلى الأحزاب الأخرى بعد ذلك، مثل حزب الأحرار الدستوريين برئاسة زيوار باشا، ثم حزب الاتحاد بزعامة يحيى إبراهيم، ومع ذلك فعلاقته بسعد زغلول بقيت جيدة، والدليل ما قيل عن تهنئته بعيد الفطر التي كانت السبب في خروجه من الوزارة^(١) كما ذكرنا.

وبالإضافة إلى قطاوي، انضم لحزب الوفد كثير من اليهود، منهم يوسف بيشوتو الذي عينه سعد زغلول عضواً في مجلس الشيوخ عام ١٩٢٤، والمحامي فليكس ابن زاكين والياف فينير وزكي شويكه وليون كاسترو والصحفي البرت مزراحي^(٢)، وبالطبع فقد كان للشعارات التي نادى بها زغلول من أجل توحيد قوى الأمة، وأنه لا تفرقة بين أبناء الشعب على أساس الدين، وقد أيد يهود مصر مفهوم القومية المصرية، الذي برز نتيجة ثورة عام ١٩١٩، مقابل تيار القومية العربية والجامعة الإسلامية، ولهذا فقد انحاز معظم اليهود المصريين إلى حزب الوفد وزعيمه زغلول، وقد عمد بعض اليهود مثل ليون كاسترو منظم الحركة الصهيونية في مصر، أن يؤكد في الأربعينيات وحدة النضال ضد الإنكليز؛ ليضفي ذلك المظهر الوطني، ويضعف اتهامات الخصوم بعدم الولاء والانتماء الوطني. وقد استمرت علاقة اليهود بحزب الوفد حتى بعد رحيل زغلول في عام ١٩٢٧.^(٣)

٢ - علاقة اليهود مع حزب الأحرار الدستوريين:

يعدّ حزب الأحرار الدستوريين، ثاني الأحزاب المصرية من حيث الشعبية والأهمية بعد الوفد، وضم زعامات سياسية، مثل: محمد محمود ومحمد علي علوية، وزعامات أخرى ثقافية ليبرالية سياسية، مثل:

(١) إسرائيل شاحاك، التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ت: صالح علي سوداح، بيسان للنشر والتوزيع، ط١،

بيروت، ١٩٩٥، ص ٤٨

(٢) ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٨٧

(٣) سهام نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ٦٩

أحمد لطفي السيد ومحمد حسين هيكل وغيرهما، وقد أبدى محمد محمود رئيس الحزب تعاطفاً مع اليهود، حيث رأى أنهم عناصر فاعلة تفيد البلاد. بينما نجد محمد علوية باشا ينحاز إلى الموقف الفلسطيني، ويعلن عداؤه لليهود، ويدلي بشهادته أمام "لجنة شو" التي شكلتها بريطانيا للتحقيق في حوادث عام ١٩٢٩، مديناً الاستفزازات الصهيونية في فلسطين.

كما شارك في مؤتمر بلودان عام ١٩٣٦ لبحث القضية الفلسطينية، ودعا عام ١٩٣٨ لعقد مؤتمر إسلامي لنصرة الفلسطينيين في محنتهم في فلسطين إبان ثورتهم الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٩)، وقد أثار موقفه حفيظة المنظمة الصهيونية، التي عدته موقفاً عدائياً موجهاً ضد اليهود كلهم. أما عن مواقف مثقفي الحزب فقد زار نفر منهم فلسطين مع أحمد لطفي السيد لحضور افتتاح الجامعة العبرية عام ١٩٢٥. (١)

٣- موقف اليهود من حركة الإخوان المسلمين وحركة مصر الفتاة:

أما بالنسبة لحركة مصر الفتاة وحركة الإخوان المسلمين، فقد كانتا حركتين تحسبان على التيار الإسلامي الذي كان في إجماله يعادي المواقف الصهيونية في فلسطين، وأيضاً يعادي الأنشطة اليهودية على الساحة المصرية، ولكنه لم يضع الضوابط الدقيقة للترقية بين اليهودية كدين والصهيونية كعقيدة شوفينية متعصبة، اتخذت من اليهودية سبيلها نحو تعميق الإيمان والالتزام بها. وحرمت على اليهود الاندماج في أوطانهم، وقد صورت الدعاية الصهيونية هذه الحركات المعادية لها، على أساس أنها حركات تعمل على تهديد الوحدة الوطنية ولكن غالباً ما كان هذا الإدعاء مراوغة لتضليل الرأي المصري، وقد ساعدت على ذلك نظرة السلطة في مصر إلى الصهيونية، وعدّها رافداً من روافد اليهودية، وأن هدفها يدخل في الإطار الإنساني لإنقاذ المضطهدين من اليهود. (٢)

ويمكن القول إن الأحزاب المصرية بمفكراتها وزعمائها قد تأثرت بالأفكار التي جاءت نتيجة لثورة ١٩١٩، وعلا شأن القومية المصرية مقابل القومية العربية، أو ما يمكن أن نسميه مرحلة الانكفاء العربي.

ولكن هذه المرحلة لم تدم طويلاً، فقد نبهت أحداث البراق في نهاية العشرينيات، ثم الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ وأحداثها، ووجود زعماء من الفلسطينيين في مصر، وعلى رأسهم المفتي الحاج أمين الحسيني، ونشاطاته لمقاومة الصهيونية، وإظهار بعدها العدواني، إلى حقيقة الأخطار التي تحقّق بالأمة العربية والإسلامية نتيجة ذلك، وأيضاً خطورة قيام كيان متعصب ملاصق لمصر.

(١) نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ٧٠

(2) Cohen, Hayim, The Jews of Middle East, JeruSAlem, Israel universities Press, 1973, P91

وبعد أن أصبح النشاط الصهيوني العلني مستحيلاً في أوروبا، تحت الاحتلال النازي، أخذت كل الأحزاب الصهيونية التابعة لليشوف^(١)، في إرسال مبعوثين إلى مصر والعراق وتونس والمغرب وأماكن أخرى في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وعلى هذا فقد أعلن "موريس فارجيون" محرر السجل السنوي التاريخي ليهود مصر والشرق الأدنى الخاص بعام ١٩٤٢ صراحة عن عواطفه الصهيونية، وافتخاره بمرجعية الارتباط اليهودي بمصر. وأعاد تكرار ذلك في طبعة عام ١٩٤٥-١٩٤٦ من السجل السنوي التاريخي ليهود مصر والشرق الأدنى، وذلك بتأكيد الصلة التاريخية بين اليهود ومصر، كما غامر بإثارة المشاعر الدينية عن طريق الإيحاء بأن مصدر التوحيد اليهودي هو العبادة المصرية القديمة للإله رع، كما ادعى أن الكثير من المبادئ الأخلاقية والرموز والشعائر اليهودية، مثل الختان وشمعدان الزينة ذي السبع شعب والمذبح وتصميم أعمدة المعبد اليهودي وحتى العديد من الوصايا العشر، قد تم اشتقاقها من مصر القديمة^(٢) حيث إن هذه الأفكار تأتي غالباً ضمن إطار تطور الأديان وامتدادها لبعضها البعض.

ويعد كتاب أرنست رينان^(٣) "تاريخ شعب إسرائيل" أساساً لهذه التأكيدات، حيث ورد أن هذا التاريخ يستلزم إثارة الخلافات بشأن موقف حركة مصر الفتاة وجماعة الإخوان المسلمين اللتين كانتا في أواخر الثلاثينيات معاديتين للوجود اليهودي، وأن هاتين المنظميتين قد تبنتا ما يمكن أن ينظر إليه على أنه رؤية تقليدية للأمة المصرية تقوم على أساس تاريخ مصر الإسلامي فقط، حيث لا تعود إلى ما سبقه. وبالنسبة لحركة مصر الفتاة يتضمن الأمر كذلك تاريخها الفرعوني؛ لذلك عارضنا العلمانية التحررية لحزب الوفد، كما قاومتنا بشراسة التيارات السياسية الماركسية التي برزت في أثناء الحرب العالمية الثانية التي جذبت العديد من اليهود لينضوا تحت لوائها.^(٤) وقد كان هيكل مصر الفتاة والإخوان المسلمين ذا شكل تسلسلي وعسكري وقد قامت بتبني أساليب تنظيمية فاشية.

حيث كانتا متعاطفتين مع قوى المحور في أثناء الحرب العالمية الثانية، فكانت هذه الكيفية التي ينظر بها إليهما العديد من المصريين، ومن ضمنهم معظم أبناء الطائفة اليهودية ذوي الميول اليسارية. كما ربط فارجيون بين اليهود المصريين والمشروع الاستعماري الصهيوني في فلسطين، ولكنه بلا شك على يقين بأن أقلية ضئيلة فقط من اليهود المصريين كانوا صهيانية.^(٥)

وبالرغم من أن النشاط الصهيوني السياسي المنظم، بدأ في مصر في نهاية القرن التاسع عشر، إلا أن الحركة الصهيونية في مصر، كانت ذات أسس اجتماعية محدودة حتى عامي ١٩٤٢-١٩٤٣، وفي

(١) اليسوف: التجمعات الصهيونية في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل. علي، بارونات وبؤساء، ص ٢٣٨.

(٢) غازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر، ط١، عمان، ١٩٩٤، ص ٩٨.

(٣) أرنست رينان (١٨٢٣-١٨٩٢) وهو فيلسوف وعالم لاهوت ومستشرق. انظر: نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ١٧٩.

(٤) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٧٩.

(٥) عبده، قاسمية، يهود البلاد العربية، ص ١٢١.

فترة العشرينيات والثلاثينيات، ركزت الصهيونية المصرية نشاطها -المزيف- في العمل الخيري والثقافي، مثل تمويل الجامعة العبرية بفلسطين، وحتى اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى في ١٩٣٦ لم يكن مثل هذا النشاط يعد متعارضاً مع الولاء الوطني لمصر. وبعد ذلك تدهورت الفاعليات الصهيونية؛ نظراً لأن أصداء التأييد العربي للمقاومة الفلسطينية ضد الاستعمار الصهيوني، أقنعت الكثير من اليهود وغير اليهود بأنه ربما يكون هناك تعارض بين الصهيونية والولاء لمصر^(١) بسبب ازدياد حدة الصراع العربي الصهيوني في فلسطين، الذي أحدث ضغوطاً على مثل هذه الالتزامات المزدوجة، تبني كثير من السياسيين اليهود إمكانية التوافق بين فكرهم الصهيوني وانتمائهم المصري، ولكن في النهاية أصبحت هذه الالتزامات مستحيلة بعد التقسيم وحرب عام ١٩٤٨ العربية - الإسرائيلية.

ونتيجة لأن معظم اليهود المصريين كانوا يشعرون نسيباً بالأمن والراحة في فترة الثلاثينيات، فقد أخذت قلة منهم إلى مسألة تأييد الصهيونية بالحسبان، على أنها مخاطرة بوضعهم، وما قبل ١٩٤٨ نادراً ما قامت القلة القليلة من اليهود الذين عدّوا أنفسهم صهاينة سياسيين بالتعبير عن ذلك عن طريق الهجرة إلى فلسطين.^(٢)

ففي الفترة بين عامي ١٩١٧ و ١٩٤٧ غادر ٤٠٢٠ يهودياً فقط من مصر إلى فلسطين، وكان جزء كبير منهم من اليهود اليمينيين أو المغاربة أو الأشكناز الذين أقاموا في مصر فقط بشكل مؤقت^(٣) وقد ذكرت صحف فلسطينية ومصرية هذه الهجرات، حيث جاء عنوان في جريدة "الدفاع" (الفلسطينية الصادرة في يافا)؛ "القبض على يهود مهريين ونسائهم" وجاء في المقال: "ألقي حراس السواحل القبض على ثلاثة عشر يهودياً من يهود الإسكندرية... وبعد البحث عثروا على مركب شراعي وجدوا فيه خمس نساء لأولئك اليهود ... على وشك الإقلاع إلى فلسطين..."^(٤). كما نشرت الصحيفة ذاتها في عدد آخر مقالاً بعنوان؛ "٦ يهود يقدمون من مصر في زورق واعتقالهم على شاطئ روبيين وإيداعهم السجن"، وجاء فيه أيضاً: "بينما كان أحد الصيادين العرب يقوم بعمله على شاطئ بحر روبيين في الجهة الجنوبية من يافا فشهد مركباً شرعياً يقترب من الشاطئ قادماً من جهة الجنوب ولفت نظره نزول ستة أشخاص من المركب وعودته من حيث أتى، وقد تبين للصياد العربي أن هؤلاء الستة هم من اليهود..."^(٥)

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٧٩

(٢) حسين شريف، المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية (١٩٠٠ق.م-١٩٩٥) ج ١ (من العهد القديم إلى قيام دولة إسرائيل ١٩٠٠ق.م-١٩٤٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣٦٣

(٣) جريدة "الدفاع" (يومية، سياسية، مصورة)، ٤-٦-١٩٣٥، ص ٥، من أرشيف مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية بدمشق، ملحق رقم ٧.

(٤) جريدة "الدفاع"، ٢-٦-١٩٣٨، ص ١، من أرشيف مؤسسة الأرض، ملحق رقم ٨.

٤ - نشاط الحركات الشبابية الصهيونية في مصر:

كانت حركة "بني عكيفا" (أبناء الحاخام عكيفا) من الحركات الشبابية النشطة في مصر التي كانت تنتسب إلى الجناح العمالي من الحزب الديني القومي، و"هبوعيل همزراحي" (العامل الشرقي)، وهي منظمة دينية تأسست عام ١٩٢١ بهدف حث الشباب اليهودي على المشاركة في زراعة أرض "إسرائيل"، كجزء من إيمانهم بالتوراة) و"عهد ترمبلدور" وهي حركة شبابية تنتمي إلى الحركة الصهيونية التعديلية. وقد تم بالفعل جذب الأعضاء الأقل التزاماً عقائدياً في شبكة النشاط الصهيوني إلى نادي "مكابي هاكوح"^(١) (قوة الرياضيين).

كما كان من أكبر الحركات الشبابية الصهيونية العمالية في مصر قبل عام ١٩٤٧ هي "هلولتسيم همأوحديم" (الرواد المتحدون)^(٢)، وهي منظمة قام بتأسيسها المجلس الصهيوني التنفيذي، كوسيلة لتجنب تصدير التوترات الحزبية داخل حركة العمل (الماباي) إلى يهود الشتات في الشرق الأوسط. ثم بعد عام ١٩٤٧ كانت أكبر وأكثر الحركات الشبابية انضباطاً والتزاماً عقائدياً، هي حركة "هشومير هتسعير" (الحارس الفتى أو الشاب) التي كانت تنتسب إلى اتحاد هكيبوتس هآرتسي، وفيما بعد انتسبت إلى حزب مابام الصهيوني الماركسي بعد تأسيسه في عام ١٩٤٨.

حيث كانت حركة "هشومير هتسعير" تعرف محلياً في مصر حتى أواخر عام ١٩٤٧ باسم "هعفري هتسعير" (العبري الفتى)، وقد تم تأسيس الحركة في القاهرة في أوائل الثلاثينيات، ثم قامت مجموعة صغيرة من أعضائها القدامى بالرحيل إلى فلسطين، والانضمام إلى كيبوتس عين هحوريش في كانون الثاني ١٩٣٤.^(٣) وفي الأعوام التالية تجمدت "هعفري هتسعير" ولم يذهب أحد من متخرجيها إلى فلسطين. كان عزرا زانونا (تالمور) الشخصية الرئيسة وراء إعادة إحياء "هعفري هتسعير" في أواخر فترة الثلاثينيات، كتب إلى زعماء "هشومير هتسعير" في فلسطين؛ طالباً منهم إرسال مبعوث لكي يزودهم بقيادة للحركة المصرية، واستجابة لذلك تم إرسال "ساشا كورين" من كيبوتس ميسيلوت إلى القاهرة في ١٩٣٨.

ويمكن قياس قوة الصهيونية في مصر بنهاية الحرب العالمية الثانية، من خلال حقيقة أنه في أثناء الإعداد للمؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين عام ١٩٤٦ قام ٧٥٠٠ يهودي وهم يمثلون نحو ١٠% من الطائفة، بشراء شيكلات وهي المساهمة المادية التي تمنحهم الحق في أن يكونوا ممثلين في المؤتمر.^(٤)

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٢٢٧

(٢) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٢٢٧

(٣) شريف، المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ، ص ٥٠٩

(٤) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر من مركز يافا، ص ٢٢

وفيما بين عامي ١٩٣٨ و ١٩٤٤ تم تأسيس خمسة تجمعات تعليمية (كينيم):^(١) ثلاثة في القاهرة وإثنتان في الإسكندرية، حيث بلغ عدد الأعضاء ٧٠٠-٨٠٠ عضو بنهاية الحرب العالمية الثانية. واستمرت الحركة في استعمال الاسم المحلي حتى أواخر ١٩٤٧. عندما تحولت إلى العمل السري وتبنت الاسم الدولي للحركة "هشومير هتسجير".

وأصبح كين "تجمع" مصر الجديدة برئاسة عزرا تالمور أكبر فرع في مصر وأكثرها تطوراً، حيث بلغ عدد أعضائه ١٥٠ عضواً^(٢)، وبحلول عام ١٩٤٥ كان أعضاء الكين يجتمعون في مدرسة أبراهام بيتش اليهودية الطائفية، وكانت معظم عائلات الطلبة في هذه المدرسة مثل معظم العائلات اليهودية المصرية الأخرى المنتمية إلى الطبقة المتوسطة، لا تحافظ على إقامة الشعائر الدينية فقد كانت "تقليدية"^(٣). حيث كانوا يذهبون إلى المعبد في عطلات الأعياد الكبرى، ويأكلون خبز "الماتسا" في عيد الفصح، ويطهرون الاحتفالات اليهودية العامة، ورغم أن المنهج الدراسي في مدرسة بيتش قد تضمن العبرية ومواد يهودية أخرى، إلا أن لغة التعليم كانت الفرنسية.

وكان كين "هشومير هتسجير" بمصر الجديدة انتقائياً من الناحية الاجتماعية، حيث كان يتم قبول عضوية طلاب المدارس العليا فقط، وهو مطلب متشدد في وقت كان فيه التعليم الثانوي نادراً في مصر، فكان كل كينيم يفرض قواعد سلوكية صارمة على أعضائه، ويتوقع من الأعضاء القدامي الهجرة إلى "إسرائيل" والاستقرار في كيبوتس. وفي هذا الوسط تبنت الثقافة اليهودية اتجاهاً فرنسياً راديكالياً عالمياً، وهو موقف كان ينظر إلى الحياة الثقافية والفكرية الباريسية على أنها أعلى أشكال الحضارة، فكانت نشاطات الكين تقام بالفرنسية، وحتى اليوم إن الكثير من خريجي الحركة الذين يعيشون في "إسرائيل"، يتحدثون الفرنسية في ملتقياتهم الاجتماعية وفي منازلهم^(٤). وكانت القراءات الموصى بها لزعماء "هشومير هتسجير" تتضمن كتباً لماركس وإنغلز، والصحيفة الشيوعية الفرنسية "لومانيتيه" (L'humanité الإنسانية)^(٥) وأروع الأعمال الأدبية الفرنسية والإنكليزية والروسية المتعلقة بالواقعية الاجتماعية، كما أوصت ببعض الدراسات الضئيلة نسبياً لتاريخ الشرق الأوسط أو العالم العربي.

٥ - موقف حركة "هشومير هتسجير" من تقسيم فلسطين:

-
- (١) كامل سفعان، اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٥٥
(٢) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٢٣٠
(٣) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر، مركز يافا، ص ٢٢
(٤) محمد خليفة حسن، الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، القاهرة، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، ٤٤، د.ت، ص ١٨٩
(٥) نصر الدين البهرة، نفسية اليهودي في التاريخ، دار عكرمة، دمشق، ٢٠٠٠، ص ١٠٢

منذ عام ١٩٤٢ وحتى ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧، عندما قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالتصويت لصالح تقسيم فلسطين إلى دولة يهودية وأخرى عربية، كان موقف "هشومير هتسعير" مختلفاً، حيث عارضت تأسيس دولة يهودية أحادية في فلسطين، وأيدت قيام دولة ثنائية عربية يهودية... وهو موقف متشابه مع موقف الحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين. وعلى المستوى النظري كافحت كل من "هشومير هتسعير" و"هعفري هتسعير" من أجل دعم الاشتراكية والصهيونية، بوصفهما عنصرين متساويين في عقيدتهما، ولكن على المستوى العملي كانت هناك أغلبية حاسمة من أعضاء الحركة تؤيد الصهيونية، وعندما أصبح هناك تعارض بين المصالح اليهودية القومية والتطورات السياسية والاقتصادية الدولية، جاء مفهوم الحركة للثنائية القومية والتعايش العربي اليهودي المشترك في فلسطين، ظالماً تسلطياً كما هو واضح.^(١)

عندها قامت "هشومير هتسعير" وتياران صهيونيان يساريان أحزان هما "أحدوت هعفوداه" (اتحاد العمل) و"بوعالي تسيون" (عمال صهيون) اليساري بالاندماج لتكوين مابام (حزب العمال الموحد) في كانون الثاني ١٩٤٨^(٢)، عندها تخلت "هشومير هتسعير" عن فكرة الثنائية القومية، ووافقت على تأييد قيام دولة "إسرائيل"، كما عارضت كل من "أحدوت هعفوداه" ومعظم أعضاء "بوعالي تسيون" قيام دولة عربية في فلسطين، ولم تقبلوا بحق تقرير المصير للعرب الفلسطينيين. وبالرغم من أنهما كانتا تشكلان أقلية في الحزب المتحد. ولكن وجودهما قد منع تبني المابام لموقف واضح حيال المسائل والقضايا الحيوية، عندها أصبح الصراع الداخلي بين العناصر المكونة للمابام ذا أثر مهم في مصير الكثير من حركة خريجي "هعفري هتسعير".

وبنهاية الحرب العالمية الثانية، كانت حركة "هعفري هتسعير" قد تطورت بما فيه الكفاية كي يستطيع الأعضاء القدامى أن يعهدوا إلى أتباعهم بمواصلة العمل الخاص بالحركة بمفردهم. فقام هؤلاء الأعضاء القدامى بتكوين نواة، ووضعوا خطاً للهجرة إلى فلسطين، وتأسيس كيبوتس جديد، وفيما بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٧ قامت ثلاث فرق، في كل فرقة نحو ٣٠ عضواً بمغادرة مصر تاركين وراءهم ٥٠٠ عضو صغير من أعضاء الحركة،^(٣) وتعد هذه المجموعة أكبر مجموعة فردية تصل من اليهود المصريين إلى فلسطين قبل عام ١٩٤٨.

٦ - تأسيس كيبوتس "تحشونيم" بفلسطين:

(١) كيوان، اليهود في الشرق الأوسط، ص ٢١١

(٢) بنين، شتات اليهود المصريين، ص ٢٣٣

(٣) البهرة، نفسية اليهودي في التاريخ، ص ١١٢

بعد أن وصلت أول فرقة من خريجي "معفري هتسجير" إلى كيبوتس "عين هشوفيت" (جنوب شرق حيفا) في كانون الثاني ١٩٤٥، تم اختيار هذا الكيبوتس للترحيب بهم في فلسطين وإمدادهم بالتدريب الزراعي؛ لأنه كان أول كيبوتس لفرع "هشومير هتسجير" في أمريكا الشمالية، وهو فرع للحركة التي كان المصريون على اتصال بها، أما الفرقة الثانية من الجارين المصرية، فقد تم استقبالها في "كفار مناحيم" وهو ثاني كيبوتس لفرع "هشومير هتسجير" في أمريكا الشمالية، وبعد استكمال تدريبها الزراعي، أصبحت هذه الجارين مستقلة، وانتقلت إلى "رامات هشارون" (في السهل الساحلي الفلسطيني) في تموز ١٩٤٦، حيث انضم إليها مجموعة من متخرجي "هشومير هتسجير" المتحدثين بالفرنسية، القادمين من بلجيكا وسويسرا وفرنسا، وهناك قامت النواة بالعمل بالأجر، في انتظار السلطات الصهيونية كي تخصص لها قطعة أرض؛ لبناء الكيبوتس الخاص بها. (١)

ثم تمّ تجنيد أعضاء النواة في البالماح، حيث انضموا إلى فيلق النقب، واتخذوا موقعا لهم في "هازالي" (٢) استعداداً للأعمال العسكرية، بعدها تم تسريح أعضاء النواة بعد انتهاء الأعمال القتالية في نيسان ١٩٤٩.

وفي ١٣ أيلول ١٩٤٩ قام نحو ٦٠ عضواً ممن بقوا من الجارين المصرية ونواة "إسرائيلية"، بتأسيس كيبوتس "نحشونيم" في منطقة "مجدال تسيدك". (مجدل صادق، شمال شرق اللد بنحو ١٥ كم) (٣)، بالقرب من مستعمرة "بتاح تكفا" (المقامة على أراضي قرية ملبس العربية، ١٠ كم شرق يافا)، حيث كان عزرا تالمور أحد مؤسسيه الأساسيين (٤).

(١) حميد، حقائق وأباطيل في تاريخ إسرائيل، ص ٥١

(٢) هي مستعمرة زراعية محصنة عسكرياً تقع بالقرب من بئر السبع، انظر: بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٢٣٦.

(٣) إبراهيم عبد الكريم، تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص ١٥٧.

(٤) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٢٣٦.

خامساً- موقف الحكومة المصرية من اليهود رداً على أحداث فلسطين ما بين ١٩٣٦ - ١٩٤٨:

قبل اندلاع الثورة الفلسطينية، كان التيار السائد بين المصريين المثقفين، ينظر إلى اليهود المصريين على أنهم أعضاء ذوو انتماء كامل للأمة، كما كان الموقف السياسي العلماني، يميز بشكل واضح بين اليهودية والصهيونية. ولكن يبدو أن الصراع العربي -الصهيوني على حائط المبكى في الحرم القدسي الشريف في عام ١٩٢٩، أضفى شرعية على تصوير الصراع العربي الصهيوني بأنه نزاع ديني بين المسلمين واليهود، ورداً على المصريين الذين بدؤوا في تصوير الصراع من خلال إطار ديني، وأخذوا من دون تمييز يربطون بين يهود مصر والصهاينة في فلسطين، عندها قامت افتتاحية صحيفة "الأهرام"، بمعاودة التأكيد على الأساس العلماني للحركة الوطنية المصرية، وذلك عن طريق استحضار شعار ثورة ١٩١٩ الوطنية "مصر فوق الجميع: الدين لله والوطن للجميع"^(١) كما جاء في جريدة "الدفاع" (الفلسطينية) مقال ذكرت فيه إعلان يهود مصر وقوفهم مع سياسة الحكومة المصرية المؤيدة للقضية الفلسطينية حيث ورد الآتي: "قال سعادة محمد علوية باشا في خطاب ألقاه في مأدبة الوفد البرلماني السوري: إن اليهود المصريين أعلنوا موافقتهم على سياسة الحكومة...."^(٢)

١- ردود فعل الشارع المصري ضد اليهود رداً على أحداث ١٩٣٦ بفلسطين:

عمدت التيارات الإسلامية المتطرفة، وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين، بمساندة القضية الفلسطينية (دعائياً) أثناء الثورة الفلسطينية الكبرى، وبذلك رسخت ذاتها. كقوة رئيسة في الساحة السياسية المصرية، وأدارت حملة دعائية تهدف إلى جعل فلسطين قضية عربية إسلامية، فدعت إلى مقاطعة التجار اليهود المصريين، الذين كان منهم يهود غير متصهينين.

وفي أثناء الثورة الفلسطينية، شرعت الصحف الإسلامية والوحدوية والقومية المتطرفة في مصر بنشر حملات هجومية على اليهود وليس فقط على الصهاينة.^(٣) حيث قامت الصحيفة العربية المسماة بـ"الرابطة العربية"، بالشكوى من الهيمنة الاقتصادية اليهودية على مصر، مثلما فعلت صحف منظمة "مصر الفتاة"، التي أعلنت عن مقاطعة المتاجر اليهودية كجزء من حملتها المسماة بـ"اشتر المصري"^(٤) وأكدت مصر الفتاة أنها لا تنتظر إلى اليهود بأنهم "مصريون حقيقيون". ثم تم القبض على المؤيدين الرئيسيين لمنظمة "مصر الفتاة"؛ وذلك لاشتراكهم في دعاية معادية لليهود، ومحاولتهم قذف الأحياء اليهودية بالقنابل.

(١) سامي عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنكليزي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٩١

(٢) جريدة الدفاع، ٢٣-١٠-١٩٣٨، ص ٤، ملحق رقم ٦

(٣) علي، ملف اليهود، ص ١٥١

(٤) عواطف عبد الرحمن، الصحافة الصهيونية في مصر سنة ١٨٩٧-١٩٥٤، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٧١

ومنذ عام ١٩٣٦، حتى نهاية الملكية ١٩٥٢، كانت التيارات السياسية الإسلامية العربية المعارضة لكل من الحكومات الوفدية والسعدية، التي تخالفهم في نظرتهم على أن قضية فلسطين هي قضية سياسية مصرية وليست دينية.^(١) وتعد أول إشارة إلى احتمال وجود أساس شعبي في مصر للعمل المناضل ضد الصهيونية، فنتج عنها أحداث الشغب التي اندلعت في ٢-٣ تشرين الثاني ١٩٤٥، وفي منتصف شهر كانون الأول من العام ذاته، دعت جبهة التنظيمات العربية والإسلامية إلى القيام بمظاهرات وإضراب عام بمناسبة الذكرى السنوية لصدور وعد بلفور. حيث سار الآلاف من المواطنين إلى ميدان عابدين بالقاهرة، فخطب فيهم المرشد الأعلى للإخوان المسلمين "حسن البنا"، وتبع تلك المسيرة قيام بعض المتظاهرين بدخول حارة اليهود، ومهاجمة المتفرجين والمتاجر والمعابد، واستمر هذا الشغب لليوم التالي، ثم امتد إلى المناطق الأوروبية الحديثة من القاهرة وإلى الإسكندرية، حيث كان الضحايا الرئيسيون من غير اليهود.

وأُسفرت تلك الأحداث عن مقتل ستة أشخاص وجرح مئات عدة، كما تمّ سلب ونهب عشرات المتاجر التي كان يمتلكها يهود وأقباط ومسلمون، وكانت أخطر واقعة من تلك الأحداث، احتراق المعبد الأشكنازي بحي الموسكي بالقاهرة^(٢). وكان اختيار هذا الهدف يوحي بأن أكثر اليهود كان عرضة للهجوم هم الذين كانوا مرتبطين بشكل وثيق بأوروبا.

ورغم أن مقدمات الأحداث التي اقترفتها أيادي بعض اليهود ضد مصر، هي التي أغارت صدور القوم، خروجاً عن مألوف العادة بالنسبة للمصريين في تعاملهم مع الأقليات بصفة عامة ومع اليهود بصفة خاصة.. وتواكبت مع هذه التبلورات حوادث تفجير قنابل، أو تخريب للمحلات والممتلكات التي يمتلكها اليهود؛ لترجمة هذا الغضب الشعبي، ومن أمثلة ذلك أنه في تموز ١٩٤٨ ألقى الديناميت بين محل شيكوريل ومحل أوريكو، فأتلف جانباً كبيراً من المحليين، وانفجرت قنبلة شديدة الفتك في محل عدس، كما حدث في آب من العام ذاته انفجاران شديدان أمام محل بنزاويون ومحل جانتينيوي، وتسبب عنهما إتلاف كبير. كما وقع انفجار آخر بالمعادي في مبنى شركة أراضي المعادي. عندها اتخذت الحكومة بعض التدابير^(٣).

وما لبثت أن وضعت حراسة مشددة على محال اليهود وممتلكاتهم بصفة عامة، وذلك تقادياً لوقوع الاعتداء عليها. وبالرغم من ذلك إلا أن الغضب الشعبي كان أقوى من كل شيء، فقد حدث انفجار شديد في أيلول من العام ذاته في حارة اليهود في حي الموسكي، أودى بحياة عشرين قتيلاً وإصابة واحد وستين، وترتب عليها انهيار أربعة منازل وتصدع ستة. وفي ٢٢ أيلول من العام ذاته قتل ١٩ يهودياً

(١) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ٥٠

(٢) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١٢٤

(٣) بنين، شتات اليهود المصريين، ص ١٣٣

وجرح ٦٢ إثر انفجارات أخرى، كما تعرض اليهود للقتل والسرقة في القاهرة والإسكندرية. وبعد اندلاع أحداث الشغب في ٢-٣ تشرين الثاني ١٩٤٥ قام الحاخام الأكبر ناحوم بالكتابة إلى رئيس الوزراء النقراشي بالنيابة عن الزعماء اليهود الصهاينة وغير الصهاينة؛ محتجاً على العنف ضد الطائفة اليهودية لانتهاك قدسية المعبد الأشكنازي.^(١)

على أية حال وفي هذه المرحلة المفصلية لم تؤد أحداث الشغب إلى بداية فترة من العداء المتصاعد والمتواصل ضد اليهود في مصر، بل كان هناك مسلمون وأقباط تصرفوا بشكل جماعي وخاطروا بسلامتهم للدفاع عن اليهود، ودعم مبدأ وجود دولة وطنية علمانية، وطبقاً لرفعت السعيد، قام كل أعضاء الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو)^(٢) في مدينة المنصورة، بالوقوف أمام متجر تمتلكه عائلة يهودية، لحراسته وحمايته من أي ضرر يمكن أن يلحق به المتظاهرون المحليون؛ مما أتاح للشرطة فرصة قيامهم بواجبهم تجاه المتظاهرين.

٢- موقف الحكومة من أعمال الشغب الشعبي ضد اليهود رداً على أحداث الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي في ١٩٣٦:

على أثر الأحداث السابقة، قام كل من رئيس الوزراء النقراشي والملك فاروق وأمين عام جامعة الدول العربية المكونة حديثاً عبد الرحمن عزام بشجب العنف ضد اليهود المصريين، كما دعا الملك فاروق الحاخام الأكبر حايم ناحوم إلى مقابلة رسمية، ليعزيه بالذين قتلوا من اليهود في أثناء الاعتداءات. كذلك قام رئيس الوزراء بزيارة الأماكن التي شهدت أحداث الشغب، وتقديم بعض المساعدات المادية لإعادة ترميمها، كما قامت معظم الصحف المصرية بإدانة أحداث الشغب، وعارضت الشخصيات السياسية في مصر حالات الهجوم على اليهود. ويعود ذلك إلى خوفها من احتمال أن تؤدي تلك الأحداث إلى زعزعة النظام الحاكم، وتقوية شوكة خصومه السياسيين^(٣).

لقد اعتقد العديد من اليهود المصريين، أنه نظراً لمكانتهم الاقتصادية في إمكانهم أن يؤدي دور الوسيط في الصراع العربي - الصهيوني، ورداً على محاضرة ألقاها طه حسين عن العلاقات العربية اليهودية في مركز الطائفة اليهودية بالإسكندرية عام ١٩٤٣، ذكر موريس فارجيون: "لقد كنا نأمل دائماً بأن حركة من التقارب اليهودي - العربي سوف تبدأ على يد يهود مصر، فنظراً لوضعهم الجغرافي إن يهود هذا البلد يشغلون موقعاً جيداً بشكل خاص يمكنهم من أن يكونوا حلقة الوصل بين هذين الفرعين،

(١) قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٥١

(٢) رمضان، الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر، ص ١١٤

(٣) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٣٤

وهما الإسلام واليهودية.. إن اليهود والعرب ليسوا فقط أشقاء من الناحية التاريخية لكن كذلك من الناحية السكانية^(١).

وبعد تبني خطة الأمم المتحدة للتقسيم السافر لأرض فلسطين عام ١٩٤٧^(٢)، سافر وفد من اليهود المصريين إلى الولايات المتحدة في بعثة مصالحة من أجل تشجيع الوصول إلى حل وسط عربي يهودي. وطبقاً لموريس فارجيون، حصلت هذه البعثة على موافقة رئيس الوزراء النقرشي، ونظراً للاعتقاد المسبق لدى اليهود الأمريكيين، بأن مثل هذه الجهود سوف تخدم فقط الأهداف العربية، فقد رفضوا هذه المبادرة. غير أن تفاصيل هذا الموضوع لاتزال غير واضحة، حيث لمح بعض الزعماء الصهاينة إلى أن هذا التدخل من جانب الزعماء اليهود المصريين، كان مدفوعاً برغبة اليهود الأنانية في الحفاظ على مكانتهم وامتيازاتهم الاقتصادية على أرض مصر^(٣).

إن الدفاع بقوة عن الطائفة اليهودية بالقاهرة، أمام هجمات الإخوان المسلمين، كان يشكل مخاطر تتمثل في عدم زيادة شعبية الحكومة التي كانت غير شرعية من الأساس في نظر الشعب؛ بسبب تزويرها لانتخابات ١٩٤٤ بهدف إقصاء حزب الوفد عن الحكم. وبالنسبة لرئيس الوزراء النقرشي كانت التضحية بأمن الطائفة اليهودية ذات اعتبار ضئيل بالمقارنة بالاحتفاظ بالسلطة نظراً لقوة الإخوان المسلمين، وعندما لم تستطع الحكومة منع هذه الهجمات قامت بحل جماعة الإخوان، وانتقاماً لهذا الأمر قام عضو من الإخوان المسلمين باغتيال النقرشي في ٢٨ كانون الأول عام ١٩٤٨، ونظراً لتيقن الحكومة من عدم وصولها لحل شرعي سريع مع الإخوان يمنع زيادة العنف، أشرفت على اغتيال حسن البنا في ١٢- شباط ١٩٤٩^(٤).

٣- حركة الاعتقالات التي نفذتها الحكومة المصرية بحق اليهود المرتبطين بالصهيونية:

انتشرت أنباء عن تسرب بعض الإرهابيين الصهاينة من فلسطين باتجاه مصر، حيث جاء في جريدة "فلسطين" (في أيلول عام ١٩٤٦) خبر اعتقال الحكومة المصرية إرهابيين يهود تسربوا من فلسطين.

فذكر في الخبر الآتي: "أرسلنا إليكم أمس نبأ إلقاء البوليس السياسي القبض على عدد من الإرهابيين اليهود الذين دخلوا مصر خلسة... وقد فهمنا نزوح ٢٦ شاباً من الإرهابيين إلى القاهرة ونزول بعضهم في فنادق المدينة.. حيث تمكّنوا من اعتقال بعض الأشخاص غير المرغوب فيهم.. دخلوا مصر بغير

(١) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ٥١

(٢) بابلي، أساليب اليهود في تحقيق أهدافهم، ص ٢٢

(3) Weizman, Chaim, Trial and Error, An autobiography. London, Hamish Hamilton, 1941. P 137

(٤) رمضان، الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر، ص ١١٤

جوازات سفر كما ضبطت جماعة من الإرهابيين النازحين من الأفطار الشقيقة..؛ مما اضطر رجال البوليس إلى إلقاء القبض عليهم...^(١)

وأشار خبر في جريدة "فلسطين" (الصادرة في يافا) عن تسلل عدد من الإرهابيين اليهود إلى مصر للانخراط في التنظيمات الصهيونية؛ وبالتالي تهديد أمن مصر، حيث جاء في الخبر: " ...أن عشرة من الإرهابيين اليهود أدخلوا إلى مصر للقيام بأعمال إرهابية فيها و قد نجحوا فعلاً في الدخول إليها باستخدام جوازات مزورة وقام البوليس بحملة واسعة النطاق في القاهرة لإلقاء القبض عليهم"^(٢)

حينها بدأت الحكومة حملة ضد اليهود المقيمين في مصر، والمشتبه في صلتهم أو انتمائهم للصهاينة، كتأثير مباشر للأحداث في فلسطين، فصادرت أملاكهم بقرار صدر في نهاية أيار ١٩٤٨، كما قامت ضدهم بحملة اعتقالات واسعة النطاق، وفي أغلب الأحوال كانت هذه الاعتقالات تتم من دون تمييز في النزاعات السياسية. والحقيقة أن من سيق للمعتقلات من اليهود قد ثبت بالأدلة تورطهم في التنظيمات الصهيونية التي تتعارض مع أمن مصر، وتعمل في الخفاء وبالتنسيق مع يهودها.^(٣) كانت حركة الاعتقالات ومصادرة الممتلكات عام ١٩٤٨ لجميع من كان لهم يد في حركة الشغب التي طالت البلاد، لم تفرق ما بين صهيوني أو إسلامي متطرف أو غير ذلك، فلم تتبع أي نظام، فبعض الزعماء الصهاينة البارزين مثل ليون كاسترو، لم يتم القبض عليهم، في حين أن آخرين تم اعتقالهم بعد بضعة أشهر من اندلاع الحرب.

إن تضارب أفعال الحكومة المصرية، شكلت بالإضافة إلى حركة الاعتقالات والمصادرات، تهديداً جوهرياً لأمن الطائفة اليهودية، لكن "إبراهيم عبد الهادي" خليفة النقرشي الذي استلم الحكومة بعده، اتبع أسلوباً عالمياً متحرراً بعيداً عن الأحقاد العنصرية، حيث أعاد الطمأنينة إلى الطائفة اليهودية لبعض الوقت، فلم تعد هناك حوادث عنف موجهة إلى اليهود لسنوات عديدة بعد توليه منصبه^(٤).

وبعد هجرة الكثير من يهود مصر في أعقاب حوادث ١٩٤٨، وضعت أموال غالبية المرتبطين بالصهيونية تحت الحراسة، ويقول شحاتة هارون: "إن ذلك تمّ من دون تمييز بين الصهيوني وغير الصهيوني، كما منح أصحاب العمل الحق في فصل عمالهم وموظفيهم اليهود من أعمالهم، وأن ذلك تمّ بناء على أمر عسكري في نيسان ١٩٤٨، وقد فصل منهم من كان يعمل لدى المنشآت الخاضعة لتدابير

(١) فلسطين، ٢٠-٩-١٩٤٦، ص ٣ من أرشيف مؤسسة الأرض (انظر ملحق رقم ١٠)

(٢) فلسطين، ٢٦-٢-١٩٤٨، ص ١ من أرشيف مؤسسة الأرض (انظر ملحق رقم ٩)

(٣) رمضان، الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر، ص ١١٤

(٤) (نور محمود زناتي، موسوعة تاريخ العالم، ج ١) (تاريخ مصر) (الأيام والأعمال والأعلام)، جامعة عين شمس، د.ت، ص ٣١٨

الحراسة وغيرها^(١). وعلى الرغم من كل ما سبق، ظل موقف مصر حكومة وشعباً من يهودها التسامح والتعامل الآمن والعيش بطمأنينة وسلام، إلى أن أصبحت الصهيونية أمراً واقعاً وهذا يوضح كم تأخر المصريون لثبت لهم الدور الصهيوني. حيث لم يكن رد فعل مصر وفقاً لمقولة "الجزء من جنس العمل"؛ لأن الموقف الشعبي من اليهود لم يتعدّ سوى حالات اعتداء محدودة مع إجراءات أمنية، بالتحفظ على بعضهم أو استبعاد البعض الآخر، في الوقت ذاته الذي لا تمس فيه أموالهم التي اتخذت إجراءات التحفظ عليها فقط، ثم ما لبثت أن عادت إليهم بعد ذلك. لم يكن عدااء المصريين - في الواقع - تجاه اليهود ولا تجاه اليهودية كدين، ولكنه رد فعل غاضب تجاه الصهيونية، ويندرج تحت رد الفعل هذا كل يهودي يتبنى أو يقف مع الحركة الصهيونية، في اغتصاب فلسطين سواء أكان هذا اليهودي مصرياً أصيلاً أم يهودياً أجنبياً مقيماً في مصر.

وقد أخذ التشجيع والتأييد بالعمل، والتنفيذ من أجل نشر الفكر الصهيوني، من خلال كثير من يهود مصر شكلاً علنياً سافراً أحياناً، أو خفياً مستتراً، إلا أنه في النهاية كان تنفيذاً للفكر الصهيوني. وبالرغم من ذلك نجد بعض اليهود المصريين ينوون بأنفسهم بعيداً عن تيارات الفكر الصهيوني.

وفي ذلك يقول شحاتة هارون "أرفض أن أنزع عن نفسي صفتي كمواطن وباختياري، وإنني أتبنى قضايا الوطن الذي أنتمي إليه، فهذه ضمانات وليست الصهيونية، ومن ثم إنني أرفض الهجرة إلى إسرائيل". ويؤكد ذلك أيضاً إيلي مسعودة رئيس طائفة اليهود القرائين بمصر؛ إذ يقول: "إنني مصري أصيل عن آبائي وأجدادي؛ وأفتخر بأنني مصري وأرفض أن أهجر وطني إلى أي مكان آخر"^(٢)

كما نجد أيضاً بياناً لرابطة يهودية مصرية، تشكلت لمكافحة الصهيونية عام ١٩٤٧، جاء في صدره الآتي: "نشأت الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية من الشعور بخطر الصهيونية على حل المشكلة اليهودية، هذه المشكلة القديمة الأليمة التي نشأت في أوروبا ضمن أوساط معادية لليهود لأسباب اقتصادية واجتماعية أكثر منها دينية وقد ساهم هذا المناخ المعادي لليهود مع إحساسهم بالغربة إزاء الأوساط المحيطة في تكريس عزلة الجماعات اليهودية والذي ساهم في الحيلولة دون اندماجهم في مجتمعاتهم وهذه الظروف التي دفعت بالكثير من يهود شرق أوروبا للفرار إلى غربها وعندما تزايدت أعدادهم بشكل متسارع وقع ما يشبه الانفجار السكاني في أوساطهم وازدادت أوضاعهم المعيشية صعوبة حينها تبنى نشطاء وزعماء اليهود الحل الصهيوني كطريقة للتخلص من الفئاض البشري اليهودي وكانت فلسطين بطبيعة الحال محط آمال اليهود المؤمنين بالحل الصهيوني بسبب انتشار نمط التدين الشعبي اليهودي وتزامن ذلك مع تفتق الذهنية الاستعمارية الأوروبية عن حل يضمن التخلص من اليهود وكذلك

(١) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ٤٨

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ٤٥

زرع كيان غربي في قلب المشرق العربي لتأمين المصالح الاستعمارية وهنا تحديداً بدأت مأساة فلسطين. وكان مؤسسوا الرابطة لا يجهلون المصاعب والعقبات المختلفة التي ستعترض دون شك طريقهم وهم ماضون في كفاحهم ليس من أجل الطائفة الإسرائيلية المصرية بل من أجل يهود العالم أجمع^(١).

سادساً - النشاطات الدعائية للاتحاد الصهيوني في مصر:

١ - موقف يهود مصر من تقرير "لجنة شو" عن أحداث ١٩٢٩ في فلسطين:

تأثرت الأنشطة الصهيونية في مصر بالأحداث التي تمر بها فلسطين، مثلما جرى في أحداث ١٩٢٩، حينما نشبت الصراعات والمنافسات بين العرب واليهود في ١٥ آب عام ١٩٢٩؛ وذلك نتيجة استفزاز اليهود للعرب الفلسطينيين بالهتافات المعادية للفلسطينيين ورفع العلم الصهيوني عند الحائط وإنشاد نشيد "هتكفاه". وقد استمرت هذه الأحداث لمدة أسبوعين، سقط خلالها العديد من القتلى والجرحى، وبدأت الصحف اليهودية في مصر وخاصة صحيفة "إسرائيل" بالاهتمام بنشر الأخبار التي تسيء للعرب، وتظهر اليهود بمظهر الضعيف المعتدى عليه، وسافر موصيري إلى فلسطين ليُدلي بشهادته أمام لجنة شو التي شكلها البريطانيون للتحقيق بالأحداث. وراحت جريدة "إسرائيل" تنشر شهادات اليهود الذين أدلوا بأقوالهم أمام اللجنة مركزة على كل ما يدين العرب^(٢).

ويعطي المسوغ أمام اليهود للقيام بأعمالهم الاستفزازية^(٣)، ولكن عندما نشرت اللجنة تقريرها في آذار عام ١٩٣٠، وضحت فيه أن اليهود هم السبب الرئيس في هذه الأحداث التي جاءت نتيجة استفزازاتهم للجانب العربي. حيث ألقت اللجنة اللوم على الوكالة اليهودية في فلسطين، وعلى منظمة الدفاع اليهودية "الهجاناه"^(٤)، كما طالبت بإعادة النظر في موقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وحتى لا يكون التدفق بما لا يتفق مع إمكانيات البلاد الفعلية، وإن على بريطانيا مشاوره غير اليهود في شأن الهجرة. عندئذ تحولت جريدة "إسرائيل" إلى الهجوم على اللجنة وتقريرها، واتهمتها بأنها تخالف صك الانتداب؛ لأن الوطن القومي روحه الهجرة، وفي القضاء عليها أو الحد منها، قضاء عليه.

كما أخذت تهاجم الصحف المصرية التي لا تنتصر للرأي الصهيوني، مثل جريدة الأهرام، وطالب زعماء اليهود في مصر، السلطات المصرية بوقف الدعاية الفلسطينية المعادية في مصر، وعلى أثرها قام

(١) زناتي، موسوعة تاريخ العالم، ج١، ص ٣٢٠

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ١٦٨

(٣) نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ٦٣

(٤) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر من مركز يافا، ص ٢٢

اسماعيل صدقي بتعطيل الجرائد الفلسطينية التي كانت تصدر في مصر، وضيق على الأنشطة الفلسطينية المعادية للصهيونية وللإهود.^(١) وهذا أكبر دليل على تواطئ رجال السياسة المصريين مع الداعين للحركة الصهيونية وعدم تحريكهم ساكناً أمام الأنشطة الصهيونية التي كانت تتم أمامهم على الملأ بل على العكس وقفوا ضد التحركات الوطنية المعادية للصهيونيين والتي كانت رداً على الاستفزازات اليهودية.

وفي الوقت ذاته طالب الصهيونيون أنصارهم في مصر بوقف أنشطتهم المكشوفة والواضحة، وخاصة في مجال جمع الأموال للصناديق اليهودية، والتوقف عن التعليق على الأحداث التي تحدثت في فلسطين، وهو الأمر الذي يشكل رسداً صهيونياً ويهودياً للحالة التي بدأت في الظهور في مصر، والتنبه للمخاطر التي تمثلها الأنشطة الصهيونية على مصر والعرب. كما تعالت دعوات زعماء الطائفة للإهود في مصر، ومطالبتهم بالتمصر، والعمل على الحصول على الجنسية المصرية لمن لم يحصل عليها، عندها سارع كثير من أعضاء الاتحاد الصهيوني؛ بطلب الحصول على الجنسية المصرية؛ استجابة لطلب الحاخام الأكبر للطائفة حايم ناحوم أفندي، التي سبقت صدور قانون الجنسية عام ١٩٢٩.^(٢)

٢ - زيارات الزعماء الصهيونيين إلى مصر في فترة الثلاثينيات وتأثيرهم على تطور الأنشطة الصهيونية:

زادت وتيرة عمل التنظيمات الصهيونية في الثلاثينيات لجذب اليهود المصريين، فأقام ليون كاسترو عام ١٩٣٠ مجمعاً للمحافل اليهودية سماه المحفل الأكبر لمنطقة مصر والسودان (بناي بريث)^(٣)، الذي أصبح منبراً صريحاً للدعوة الصهيونية، ففيه كان تنظم اللقاءات والمحاضرات العلنية التي تدعو إلى قضية "الوطن القومي اليهودي". كما أخذت هذه التنظيمات في مقاومة أية أنشطة معادية للصهيونية في مصر، وزاد زعماء الصهيونية نشاطاتهم تجاه مصر وزيارتهم لها والتي مهد لها وساعدهم على ذلك وجود الاحتلال البريطاني في مصر، فقد رصدت سبع زيارات لحايم وايزمان لمصر في الفترة ١٩١٨ حتى ١٩٣٨، وكان حريصاً فيها على مقابلة المسؤولين المصريين، وعلى رأسهم الملك فؤاد الذي قابله عام ١٩٢٤، كما قابل سعد زغلول رئيس الوزراء في وقتها، وهنأه على توليه الوزارة.^(٤)

وقد حضر هذه المقابلة جوزيف شيكوريل رئيس الاتحاد الصهيوني في مصر، وليون كاسترو عضو الوفد ورئيس اللجنة المركزية للاتحاد الصهيوني، كما قابل وايزمان في عام ١٩٣٨ في آخر زيارته

(١) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١٠٥

(٢) وليم فهمي، الهجرة إلى فلسطين، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١، ص ٤٥

(٣) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر من مركز يافا، ص ١٢

(٤) عبد الرحمن، مصر وفلسطين، ص ١٥٦

لمصر العديد من الشخصيات السياسية، للتخفيف من أثر الأحداث التي تشهدها الساحة الفلسطينية، منذ قيام الثورة عام ١٩٣٦، والتي أثرت على الرأي العام المصري، ونهت لأطماع الصهيونية في فلسطين، كما نظم وايزمان مقابلاته في مصر، فبدأ مع الأمير محمد علي^(١) ولي عهد مصر، وناقش معه في قصر عابدين مشروع التقسيم الذي كان مطروحاً على الساحة السياسية في ١٩٣٧، واتفقا على انتهاج سياسة توفيقية تحاول جمع العرب واليهود حول المشروع. كما تقابل وايزمان مع محمد محمود رئيس الوزراء (١٩٣٨-١٩٣٩) وعلي ماهر رئيس الديوان الملكي آنذاك، وكان وايزمان حريصاً على التوقيع في سجل زيارات القصر الملكي بعابدين كلما حضر إلى مصر. ولم يكن وايزمان وحده الزعيم الصهيوني الذي اعتاد الحضور إلى القاهرة، فلاحوم سوكولوف (١٨٥٩-١٩٢٦) رئيس المجلس التنفيذي للمنظمة العبرية العالمية. حضر إلى القاهرة، وعقد اجتماعاً مع الملك فؤاد.

كما عقد العديد من الاجتماعات مع أعضاء الطائفة اليهودية، وأشرف على تنظيم زيارته ليون كاسترو رئيس اللجنة التنفيذية للاتحاد الصهيوني، وغيرهما كثر من قادة الصهيونية الذين اعتادوا زيارة مصر؛ مثل: اسحق بن تسفي وكانت زيارته في آذار ١٩٢٢، وموشي شرتوك (أول وزير لخارجية إسرائيل وثالث رئيس لها بعد ذلك)^(٢) الذي كان يزور مصر بصفة دورية كل ستة أشهر تقريباً، وينزل ضيفاً على يعقوب وايزمان الزعيم الصهيوني المصري، وكذلك زيارة زئيف جابوتسكي (زعيم المنظمة الصهيونية التعديلية) والزعيم المتطرف أريه التمان وغيرهم من الصهيونيين، حيث كانت مصر بالنسبة لهم مركزاً رئيساً لتحركهم في المنطقة^(٣).

كما تواصلت النشاطات الصهيونية في مصر، ونشطت حركة جمع التبرعات من أبناء الطائفة، وإرسالها إلى فلسطين، فقد تمكّن يعقوب وايزمان من جمع ١٢ ألف جنيه مصري، قام بإرسالها إلى فلسطين عن طريق الكيرين هيسود (الصندوق التأسيسي الفلسطيني) لإقامة مستعمرة لإيواء اليهود الألمان النازحين إلى فلسطين^(٤).

كما قام الحاخام الأكبر ناحوم حايم، ويوسف أصلان قطاوي، بإنشاء لجنة يهودية مصرية، لمساعدة اليهود الألمان، وضمت اللجنة أثرياء الطائفة، أمثال فيكتور هراري باشا ويوسف بك موصيري وروبير رولو وإيلي موصيري وليون سوارس، كما أنشئت في الإسكندرية لجان مماثلة لمساعدة الألمان بواسطة الطائفة اليهودية هناك، واهتمت الحركة الصهيونية في مصر، بالترويج للمشروعات التي يطرحها اليهود

(١) الذي كان وصياً على العرش ما بين وفاة الملك فؤاد الأول وجلس ابن عمه الملك فاروق على عرش مملكة مصر لحين إكماله السن القانونية في ٢٨ نيسان ١٩٣٦.

(٢) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١٠٥.

(٣) عبد الرحمن، مصر وفلسطين، ص ١٥٦.

(٤) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر من مركز يافا، ص ٢٣.

لبيع الأراضي في فلسطين^(١). وطالبت الطائفة اليهودية في مصر - وخاصة أثرياءها - بالمساهمة في ذلك، بشراء بعض هذه الأراضي التي كانت تعرضها بعض الشركات اليهودية هناك، وأخذت تنتشر في مزارع الاتحاد الصهيوني، وتعلق على أبواب المعابد، لافتات تظهر لليهود مدى الفائدة التي يمكن أن يحققوها من شراء الأراضي في فلسطين، وكيف يساعد ذلك في إنشاء الوطن القومي المرتقب.

وفي آذار ١٩٣٣ أنشأ ليون كاسترو الفرع المصري للجمعية الدولية ضد معاداة السامية الألمانية^(٢). ونشطت جمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية، فأصدرت كتاباً لتجسيد أهمية "الوطن القومي"، الذي ينبغي أن يضم اليهود، وأن الاضطهادات الألمانية تؤكد ذلك. وتدعو اليهود المصريين للانضمام إلى الأنشطة التي تدعم الارتباط بالتاريخ اليهودي، وأخذت تنظم المحاضرات في قاعة حلقة الشبيبة اليهودية الإسبانية بالقاهرة، ويلقيها عليهم زعماء اليهود في مصر. وقد أدت هذه الجمعية دوراً خطيراً في التأكيد على عدم الاندماج اليهودي، من خلال الفصل التاريخي المتعمد، ورسم منحى خاص بالتاريخ للطائفة اليهودية التي عاشت في مصر، وبالطبع كان كثير من معطياته مجرد خيالات.

كما نشطت أندية المكابي اليهودية التي من المفترض أنها ذات توجه رياضي، وكان يرأسها في الثلاثينيات إميل إسحق وقد اتجهت هذه الأندية، إلى تنظيم الندوات التي كان هدفها، إيقاظ الوعي القومي اليهودي حسب قرارات المؤتمر الصهيوني الأول، وتنمية الروح المعنوية، وتقوية الأجسام، وخلق الإحساس بالروح اليهودية المتيقظة.

وإزاء هذا النشاط الصهيوني البارز، حذرت السلطات البريطانية على لسان ممثلها في مصر والتر سمارت^(٣)، من مغبة هذه الأنشطة الصهيونية التي يمكن أن تثير المصريين؛ وبالتالي يخربون عشم بأيديهم، وأن عليهم أن يفهموا أنه ليس من مصلحتهم خلق مشاعر معادية لهم في مصر، كما في فلسطين؛ مما حدا ببيوسف قطاوي والحاخام الأكبر إلى إنشاء جمعية "الشباب المصري اليهودي" وصحيفة "الشمس" في محاولة لاستيعاب أية آثار للأنشطة الصهيونية في مصر، كما أخذوا يدعوان اليهود إلى التمصير.

٣- ردود الفعل العامة على قرار تقسيم فلسطين في ١٩٣٧:

تأثرت الأحداث في مصر بما يحدث في فلسطين، وخاصة مع ازدياد اهتمام بعض الحركات المصرية بهذه الأحداث، مثل حركة الإخوان المسلمين وحركة مصر الفتاة. وقد اهتمت هذه الحركات المصرية بأحداث الثورة الفلسطينية التي بدأت هناك منذ نيسان عام ١٩٣٦.

(١) شريف، المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود، ص ٥١١

(٢) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١٠٧

(٣) الحكيم، يهود ولكن مصريون، ص ١٩

وما تبعها من مواقف اضطرت إنكلترا الدولة المنتدبة على فلسطين إلى تشكيل لجنة تحقيق قدمت تقريرها عام ١٩٣٧ ودعت إلى تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، كأول دعوة علنية للتقسيم، وقد شنت الصحافة اليهودية هجوماً ضارباً على قرار التقسيم الذي عدته إفراغاً للوطن القومي من مقوماته الحقيقية التي يعرفها اليهود، وكانت هذه المرة الأولى التي اعترفت فيها بريطانيا بماهية الوطن القومي الذي يرتبط بإقامة الدولة اليهودية في جزء من فلسطين، على عكس ما كانت تدعيه بأن الوطن القومي لا يعني إقامة دولة يهودية، وأخذت الصحافة اليهودية في مصر تهاجم الموقف البريطاني، وتتهمه بالانتهازية؛ لأن البريطانيين سلخوا شرق الأردن عن فلسطين التي ينبغي أن تكون كلها وطناً قومياً - أي "دولة لليهود".^(١)

وفي الوقت نفسه شنت الصحافة الفلسطينية وصحافة الجماعات المرتبطة بالنشاط الفلسطيني، هجوماً حاداً على مشروع التقسيم. ووصفته بأنه كشف عن الوجه القبيح للصهيونية، وأطماعها في فلسطين التي تؤيدها بريطانيا، وأن كل اليهود صهيونيون، رغم إظهار غير ذلك. وسارع زعماء الطائفة إلى محاولة تطويق هذا العداء ضد الصهيونية واليهودية، الذي بدأت تنشره بعض الحركات والمنظمات المصرية وصحافتها، وطالبوا أعوانهم بالكف عن النشاطات الصهيونية التي قد تثير المشاعر ضد اليهود. وفي الوقت ذاته سعوا إلى التأثير على الصحف والمجلات التي تهاجم اليهود والصهيونية، باستخدام أسلحة التأثير المختلفة، ومنها سلاح الإعلانات، أو عدم الإمداد بمواد الطباعة من أوراق وأحبار، وخاصة في ضوء احتكار الشركات اليهودية - إلى حد كبير - لهذه المواد.^(٢) والسعي لدى الدوائر الحكومية، والقنصليات العاملة في مصر التي يتبعها اليهود المتجنسون بجنسيات دولها؛ للتأثير على الحكومة المصرية، للوقوف في وجه الحملات التي تنظم ضد الصهيونية. وحتى لا يسبب ذلك من وجهة نظرهم، زرع بذور الفتنة بين فئات الشعب المصري، وأن يلحق ذلك عداءً بالنصارى، وأن هذا الأمر من الممكن أن يثير الفوضى ويلحق الضرر بالمطالب المصرية نحو الاستقلال؛ بادعاء أن السلطات المصرية لا تستطيع حماية الأقليات، كان من نتيجة هذه الحملة. كما ذكرت جريدة "الشمس" باتخاذ الإجراءات التي تكفل. عدم الإساءة لليهود، وعدم إذاعة أخبار أو أحاديث تتصل بالتحريض الديني أو تأليب طائفة على أخرى.^(٣)

٤ - الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ وانعكاساتها على النشاطات الصهيونية في مصر حتى عام

١٩٤٧ :

(١) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١١١

(٢) نصار، موقف الصحافة المصرية، ص ١٥٩

(٣) عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنكليزي، ص ٢٠١

مما لا شك فيه أن أحداث الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦، مثلت منعطفاً مهماً في تنبيه الرأي العام المصري للاهتمام بالقضية الفلسطينية، ووقوف بعض السياسيين والمتقنين المصريين إلى جانبها، وقد أثار وايزمان في لقائه برئيس الوزراء المصري محمد محمود باشا في عام ١٩٣٨ مسألة العداء التي بدأت تظهرها الصحف المصرية، وما تثيره الحركات الراديكالية - من وجهة نظر وايزمان - كالأخوان المسلمين ومصر الفتاة، وتحركات محمد علوية أحد أقطاب حزب الأحرار الدستوريين، وقد وعده رئيس الوزراء المصري - كما أقرت الأوساط اليهودية - بالتصدي لذلك الأمر^(١). وعادت هذه الأوساط الصهيونية، فأكرت وجود مشكلة ضد اليهود في مصر في هذه الفترة.

وفي إطار تعليقها على محدودية المهاجرين من مصر إلى فلسطين، وأن المهاجرين من مصر ليسوا مصريين، وإنما كان معظمهم من اليمن أو المغرب أو من الأشكنازيم من شرق أوروبا. وردت ذلك إلى أنه لم يكن توجد في المجتمع المصري مشاعر معادية لليهود، أو معادية للسامية صراحة، باستثناء منظمات، مثل: منظمة مصر الفتاة أو الإخوان المسلمون وأنها جماعات هامشية - على حد قولهم - لم ينظر إليها بجدية ولم تحظ بالتأييد...^(٢) وعلى هذا لم يقبل اليهود بالهجرة من مصر. ورغم الحظر الذي فرضته السلطات المصرية على الأنشطة السياسية، ومنها النشاط الصهيوني، لظروف الحرب العالمية الثانية منذ أيلول عام ١٩٣٩، إلا أن تدفق جيوش الحلفاء على مصر، ومعهم بعض اليهود المنضمين إلى هذه الجيوش، نشطت التحركات الصهيونية على الساحة المصرية، حيث قامت عناصر من المجندين اليهود بالاتصال بيهود مصر، وخاصة غير المنضمين للحركات الصهيونية، لحثهم على الانضمام إلى الصهيونية.

كما قام بعضهم بزيارات لمدارس الطائفة، والالتقاء بالشباب اليهودي، والقيام بتنظيم دورات لدراسة اللغة العبرية، وشرح فقرات من التوراة والتلمود، والدعوة إلى تأييد الحركة الصهيونية، في مسعاها لإنشاء "الوطن القومي" في فلسطين^(٣). وقد قام الاتحاد الصهيوني في مصر، بتكوين لجنة في عام ١٩٤١ للترفيه عن الجنود والطيارين اليهود من قوات الحلفاء في مصر، وترأس هذه اللجنة أحد أثرياء اليهود في مصر، هو عوفاديا سالم وقد قامت اللجنة، بإنشاء نواد في القاهرة والإسكندرية لهذا الغرض وأصبحت في حقيقتها مراكز لنشر الأفكار الصهيونية^(٤).

(١) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١١١

(٢) نصر شمالي، الظروف التاريخية للهجرات اليهودية من خزرايا، إلى أوروبا وأمريكا إلى فلسطين المحتلة، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٠، ص ١٨٣

(٣) عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنكليزي، ص ٢٠١

(٤) شمالي، الظروف التاريخية للهجرات اليهودية، ص ١٨٤

وفي السابع من كانون الثاني عام ١٩٤٥، انعقد في الإسكندرية المؤتمر الصهيوني الأول ليهود مصر، بعد الحصول على موافقة السلطات المصرية على انعقاده، وتمّ انتخاب يعقوب وايزمان رئيساً للجنة التنفيذية الصهيونية في مصر التي ضمت أربعين عضواً آخرين من مجلس الطائفة في القاهرة والإسكندرية، وقد اهتم الاتحاد الصهيوني بتوجيهات من قيادته في القدس بتنشيط جمع الأموال للصناديق اليهودية، الكيرين كايमित، والكيرين هيسود، واللجان الخيرية التي كانت قد تشكلت في القاهرة والإسكندرية.^(١) وبالفعل تمّ جمع مبلغ مائة ألف جنيه مصري عامي ١٩٤٣-١٩٤٤، تمكن كاسترو من نقله سرّاً إلى المنظمة الصهيونية ومؤسساتها في فلسطين^(٢). وقد ساعد ذلك على تأكيد نظرة هذه المؤسسات لأهمية موقع مصر الإقليمي، وأهمية طائفاتها؛ خاصة في ضوء المواقف الصعبة التي خلفتها الحرب، بالنسبة للمؤسسات الصهيونية في فلسطين.

كل هذا يثبت بلاشك الموقف الحيادي الذي اتخذته السلطات المصرية، من النشاط الصهيوني حتى تشرين الثاني ١٩٤٧، عندما صدر قرار التقسيم والذي أفصح عن المطامع الواضحة لليهود والصهيونيين في فلسطين، بتأييد دولي، وهو ما بدل كثيراً من النظرة المصرية بصفة عامة للنشاط الصهيوني.

(١) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر من مركز يافا، ص ١٩

(٢) شريف، المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود، ص ٥١٢

سابعاً- المنظمة الصهيونية الجديدة (التعديلون) في مصر:

أكدت الصهيونية على التآلف داخل التجمع اليهودي في مصر، وعدم إثارة المشكلات التي تؤثر سلباً داخل المجتمع المصري، وحرصت على إيجاد الرابطة المصلحية؛ لاستمرار هذه الحالة وعدم المساس بها، وعارضت كثيراً المحاولات التي قامت داخل المجتمع المصري لمحاربة الأنشطة الصهيونية، ونجحت إلى حد كبير في القضاء عليها، بدليل السماح الرسمي بالنشاط الصهيوني في مصر. ولكن السلطات المصرية لم تلتفت بجدية إلى الأنشطة الصهيونية، إلا بعد الأحداث الإرهابية التي بدأت تمارسها بعض الفصائل الصهيونية، وخاصة المرتبطة بـ (التعديلين) الصهيونيين وزعيمهم زئيف فلاديمير جابوتنسكي^(١). وأيضاً كانت هناك قضية أخرى انعكس فيها اليهود في مصر، وهي قضية النشاط اليساري والشيوعي الذي بدأ في مصر منذ أوائل القرن العشرين، وظهرت ملامحه في بداية العشرينيات بقيادات يهودية لفتت الأنظار إليها وخاصة أنظار السلطة في مصر، ومن أهمها:

١- تشكيل حزب التعديلين داخل المنظمة الصهيونية العالمية:

ما إن انتهت الحرب العالمية الأولى، وصدر وعد بلفور، حتى استطاعت الصهيونية أن تقنع بريطانيا بأن قيام دولة صهيونية في فلسطين، سيكون رכיكة لها في الشرق الأوسط، وقاعدة تحمي قناة السويس التي تعد ممراً حيوياً بالغ الأهمية، بالنسبة لمواصلات بريطانيا إلى الهند والشرق الأقصى. ثم تطورت الأمور فرأت فئة من الصهاينة أن بريطانيا تعمل على أن تنهون في تنفيذ هذا الوعد الذي يُعد هذا الأمر خيانة للصهيونية لا تغتفر^(٢).

ولهذا السبب قبلت سياسة حاييم وايزمن التي تعتمد على صداقة بريطانيا، من أجل تحقيق آمال الصهيونية، بمعارضة جديدة تزعمها فلاديمير جابوتنسكي الذي يمثل أقصى اليمين في المنظمة الصهيونية العالمية، وهو أحد المشاركين في تأسيس فرقة راكبي البغال (البغالة) اليهودية في الإسكندرية عام ١٩١٥.

ولقد استقال جابوتنسكي أولاً من الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية في كانون الثاني ١٩٢٣؛ احتجاجاً على سياسية الكتاب الأبيض البريطاني الذي صدر عام ١٩٢٢؛ متهماً زملاءه في المنظمة بفقدانهم الواقعية السياسية؛ لأنهم يسايرون بريطانيا من دون فائدة، ورأى أن بريطانيا تسوّف في تنفيذ وعد بلفور. وشكل حزباً داخل المنظمة تحت اسم "التصحيحيين" (التعديلين)، وما إن حل عام

(١) زئيف فلاديمير جابوتنسكي يُعدّ أبا التطرف في الفكر الصهيوني الحديث. ويعود إليه إنشاء التنظيمات العسكرية الصهيونية في النصف الأول من القرن العشرين. انظر نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ٤٤.

(٢) جرجس، تاريخ مصر منذ العصر المملوكي، ص ١٣١

١٩٣٥، حتى كانت العلاقة بين أنصار وايزمان وجابوتنسكي تتذر بقرب حدوث انفجار داخل المنظمة الصهيونية العالمية، رغم محاولات بن غوريون التقريب بين وجهات نظرهما. وقد قرر حزب التصحيحيين مقاطعة المؤتمر الصهيوني التاسع عشر، رغم المحاولات التي بذلت من جماعة المرحليين الذين اعتقدوا أن الوضع لا يستوجب الانشقاق والخلاف^(١).

وبهذا شكل جابوتنسكي حزب التصحيحيين داخل المنظمة الصهيونية عام ١٩٢٥، وجعل مقرها باريس، وأعلن بوضوح تام أن هدف الصهيونية هو الدولة اليهودية التي ينبغي أن تضم ضفتي الأردن، فجذب إليه المتطرفين من الصهيونيين الذين لم يرتاحوا إلى الأسلوب الذي أسموه بالمهادن الذي تتبعه القيادات الصهيونية، وممن جذبهم جابوتنسكي إلى فكره، أحد اليهود المصريين الذين يدرسون في باريس، وهو الشاب الصحفي ألبير ستراسلسكي^(٢) وكان خلالها أحد الدعاة المتحمسين للصهيونية، وفي باريس التقى ستراسلسكي (الذي كان يختص بالاقتصاد السياسي) بجابوتنسكي وجذبت أفكاره الصهيونية المتطرفة، فانضم إلى حركة التصحيحيين وعندما عاد إلى مصر عام ١٩٢٩ أسس فرعاً للحركة في مصر.

وقد كانت البداية الأشد تطرفاً وتعصباً لهذا الحزب مجموعة من النشرات باللغة الفرنسية، يشرح فيها موقف الحزب من الحركة الصهيونية العالمية ومشكلة الوطن القومي الصهيوني لليهود.. وكان لنشاط التعديليون رد فعل واضح على الحركة الصهيونية في مصر، حيث ألهب تطرفهم حماس الحركة الصهيونية بوجه عام.

مما جعلها تتجه إلى المزيد من التحرك، وبدا ذلك واضحاً حين دعت المنظمة الصهيونية العالمية الهيئات الصهيونية اليهودية في مصر؛ لانتخاب مندوب يمثلها في مؤتمر زيوريخ عام ١٩٣١، وهو المؤتمر الصهيوني السابع عشر، فقد قام التصحيحيون بترشيح جابوتنسكي؛ ليمثل المنظمة عن مصر، وتقدمت مدام أجيون كمنافسة له، وقد اكتسح التعديليون المعركة الانتخابية؛ إذ حصل مرشحهم على نحو ٧٠٠ صوت، بينما حصلت مدام أجيون على ٣٠٠ صوت فقط.^(٣) وفي العام ذاته أيضاً رأى الحزب أن يصدر صحيفة أسبوعية باللغة الفرنسية؛ لتعبر عن آراء التصحيحيين ودعوتهم.

(١) جرجس، تاريخ مصر منذ العصر المملوكي، ص ١٣١

(٢) ألبير ستراسلسكي: ولد بالقاهرة في ٢٧ كانون الأول ١٩٠٢ ثم غادرها إلى باريس عام ١٩٢٣ ولم يكد يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى ترك معاهد الدراسة إذ استهوته الكتابة وعمل في الصحافة الفرنسية التي كانت تصدر في مصر. انظر: نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ٤٥

(٣) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١٢٠

فكان أن أصدر جريدة سياسية أسبوعية هي "الصوت اليهودي" واتخذ مقراً لها بالقاهرة، وقد كان هذا المقر منتدى للاجتماعات والندوات السياسية الصهيونية. فكانت تعقد فيه كل أسبوع ندوة للاستماع إلى أخبار الحركة الصهيونية، تتلوها مناقشات سياسية. وقد أسست هذه الصحيفة بتمويل من أثرياء الطائفة، وبتأييد من حاخام الإسكندرية دافيد براتو، لتصبح هذه الجريدة صوتاً للصهيونيين المتطرفين في مصر، وقد ظلت الصحيفة تصدر بانتظام إلى أن توقفت عام ١٩٣٣، نظراً لسفر ستراسلسكي إلى باريس، ليتولى رئاسة جريدة صهيونية أخرى هناك^(١).

والواقع أن عام ١٩٣٣ كان عاماً مهماً في تاريخ حزب التصحيحيين في مصر، ففيه انتخب ألبير ستراسلسكي مندوباً عن الحزب في المؤتمر الصهيوني الثامن عشر الذي عقد في مدينة براغ الألمانية، وفي الوقت ذاته كلفه جابوتنسكي في أواخر العام ذاته بإصدار جريدة للحزب في باريس، فتولى ستراسلسكي رئاسة تحرير جريدة "صوتنا" التي حملت لواء التنديد بسياسة وايزمن في الاعتماد على بريطانيا لتنفيذ وعد بلفور.

وقد اتخذت هذه الجريدة موقفاً سافراً وعدائياً من العرب، ففي عددها الصادر يوم ٢ أيلول ١٩٣٤ دعا ستراسلسكي على صفحاتها لاجتماع يعقد بدار الحزب بباريس لسماع خطاب بصدد ما أسماه (الخطر السياسي الناجم عن موقف العرب إزاء الصهيونية)^(٢)

ولم يمض عام ١٩٣٦ حتى استطاع ستراسلسكي أن يجمع حوله لقيفاً من الشباب اليهود الصهاينة المشبعين بالعنصرية الذين يعدون أنفسهم ببناء الوطن القومي الصهيوني. وقد استطاع هؤلاء أن يستميلوا الجالية اليهودية الثرية التي كانت تعيش بالإسكندرية، فلقد عقد هناك اجتماعات عدة مع مؤيديه ضمت هذه المنظمة شخصيات يهودية معروفة بتطرفها مثل المحامي فيلكس بن زاكين ووايلي بوليتي رئيس مكتب جريدة المصري بالإسكندرية. والمحامي فيكتور حزان، والإخوان ناثن وموريس هلبمان وهما من تجار المجوهرات في منطقة قناة السويس، وسالمون ليفي الذي يعمل موظفاً بالبنك الأهلي المصري، وفيتا كوهين من بورسعيد وكارلو روزنتال الذي كان يعمل بشركة كونسا للكحوليات، وروفائيل سادوفسكي الذي كان ما زال طالباً^(٣).

وأسس هؤلاء فرعاً لحزب التصحيحيين برئاسة ستراسلسكي بينما عهد بأمانته العامة إلى روفائيل سادوفسكي، ولقد دفع هؤلاء الشباب إلى الاستمرار والدأب على العمل؛ مما لاقته دعوتهم التشجيع من أثرياء اليهود الذين كانوا على استعداد لدفع الأموال لدعم هذه الحركة الصهيونية. وأخيراً تم تأسيس الفرع

(١) عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنكليزي، ص ٢٠١

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٩١

(٣) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ٣٩

الذي ضم ١٨ عضواً، ثم أنشأ ستراسلسكي فرعاً ثالثاً للمنظمة في مدينة بورسعيد، تولى رئاسته هناك ناثان هلبمان صاحب مجوهرات فولورث^(١).

٢ - انفصال حزب التعديليين عن المنظمة الصهيونية العالمية وتشكيلهم لمنظمتهم الجديدة:

بعد أن انفصل جابوتنسكي بشكل نهائي عن المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩٣٥، أنشأ في أيلول عام ١٩٣٥ منظمته البديلة "المنظمة الصهيونية الجديدة"، ثم عاد ستراسلسكي إلى مصر من جديد ليستأنف نشاطه في تنظيم حركة التصحيحين، بحيث تصبح فرعاً تابعاً للمنظمة الجديدة، ولقد اتخذ من مكتبه بالقاهرة مقراً لهذا الفرع حيث كان يعقد الاجتماعات الدورية، وينظم المحاضرات والمناقشات، ويصدر النشرات التي تدعو لمبادئ "المنظمة الصهيونية الجديدة" وتروج لأفكارها.

ورأت المنظمة الصهيونية الجديدة أن إقامة الدولة الصهيونية، يستلزم فتح الباب على مصراعيه أمام كل يهودي في العالم لدخول فلسطين، دون قيود أو موانع. وأن الطريق السليم لبلوغ هذه الأهداف، يتمثل بالدرجة الأولى بالاعتماد على الذات اليهودية من ناحية التمويل، وإعداد المحاربين من دون الاعتماد على أي طرف آخر، بما فيها حكومة الانتداب البريطانية على فلسطين، وكان كل ذلك على أثر تقرير "لجنة بيل" الملكية البريطانية، بشأن موضوع تقسيم فلسطين. فاستغل ستراسلسكي مرور زئيف جابوتنسكي بمصر بعد أن أدلى بشهادته أمام هذه اللجنة، ودعاه لإلقاء محاضرة أمام الطائفة اليهودية في الإسكندرية، في فندق سيسل في ٥ تموز عام ١٩٣٧^(٢).

حيث أوضح جابوتنسكي فيها معارضته لقرار التقسيم الذي اقترحت "لجنة بيل"، على أساس أن الدولة اليهودية لا بد أن تضم حدودها التاريخية أي فلسطين كلها وشرق الأردن. وأكد جابوتنسكي في مؤتمره الصحفي بأنه لا يمكن الحصول على موافقة العرب إلا بعد إقامة الدولة الصهيونية قسراً وكرهاً، وفرضها على جميع معارضيها، وبناءً على ذلك أصدر المحامي بنزاكين بوصفه رئيساً لفرع المنظمة بالإسكندرية نشرة باللغة الفرنسية هاجم فيها تقرير "لجنة بيل"، وطالب بالتمسك بوعده بلفور. كما عادت رئاسة "المنظمة الصهيونية الجديدة" بالقاهرة لتوزيع العديد من طلبات الانضمام إلى عضويتها على نطاق واسع على اليهود في مصر، وقد دعت فيها إلى وجوب تأسيس الوطن القومي الصهيوني لليهود في فلسطين^(٣)، فتحرك ستراسلسكي بحماس ليتصل بيهود مصر؛ خاصة الشباب منهم؛ مستغلاً حماسهم وهمتهم، حيث اتصل بأثرياء اليهود الذين أبدوا استعدادهم للمساهمة بالمال، وعمل الترتيبات من أجل لم

(١) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر من مركز يافا، ص ٢٧٣

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٩١

(٣) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ٣٩

شمل اليهود وهجرتهم إلى فلسطين، كما اتصل بالعناصر الأكثر تطرفاً من اليهود في القاهرة، ممن تزعزعت ثقتهم بسياسة الصهيونية العالمية^(١).

٣- تأثير ظروف الحرب العالمية الثانية على المنظمة الصهيونية الجديدة في مصر:

أدت المنظمة الصهيونية الجديدة في مصر دوراً مهماً في دعم السياسة الصهيونية التي كانت ترى أن تزويد الوطن القومي بالمال هو السبيل الوحيد لتحقيق الصهيونية وهذا لا يتحقق إلا بواسطة طريقتين، هما جمع التبرعات من الطبقات الثرية من كل يهود العالم، وحث رؤوس الأموال اليهودية على التدفق إلى فلسطين لاستغلالها في استثمارات متشعبة لكي يمكنهم من الهيمنة والسيطرة على أقدارها. ولتحقيق ذلك سارع فرعا المنظمة بالقاهرة والإسكندرية إلى تنظيم حملات واسعة لجمع تبرعات لاكتتاب "تل حاي" الذي أنشأته المنظمة الصهيونية الجديدة، بقيادة جابوتنسكي، وتولى أعضاء المنظمة توزيع نشرات الدعاية التي تحمل العلم الصهيوني وشعار (بعث الأمة اليهودية واسترداد أراضيها)، وفي الوقت ذاته أصدرت وكالة الاكتتاب بالإسكندرية التي كان يشرف عليها إيلي بوليتي نشرات عدة، كان مطبوعاً على بعضها خريطة فلسطين، تبرز موقع مستعمرة (تل حاي)^(٢)، وعلى بعضها الآخر صورة لحائط المبكى في القدس، وعبارة تشير إلى أن المشاركة في هذا الاكتتاب "بعث للأمة اليهودية" وقد أثمرت حملة الاكتتاب هذه عن جمع مبلغ مالي كبير، بعثت به إلى مركز الاكتتاب في فلسطين.

وفي عام ١٩٤٢، هرب ستراسلسكي من مصر خوفاً من هجوم قوات المحور التي اقتربت من العلمين، عندها تقابل مع مدير اكتتاب "تل حاي" بومفليد، واتفق معه على إعادة تنظيم عملية التبرع لصندوق الاكتتاب، وبعد عودته إلى مصر على أثر انتهاء أزمة العلمين، عهد إلى سالمون ليفي^(٣) عضو المنظمة الصهيونية والموظف بالبنك الأهلي، بالإشراف على هذا العمل، وكلفه بوضع أكثر من عشرين صندوقاً لجمع التبرعات في الأماكن التي يتردد عليها اليهود في القاهرة، وإرسال حصيلتها أول بأول إلى مركز الاكتتاب، عن طريق فرع بنك باركليز بالقاهرة. ومن ناحية أخرى افتتح "جاك سيد" عضو المنظمة الصهيونية مكتباً عقارياً في الإسكندرية؛ كونه وكيلاً عن عدد من المؤسسات الصهيونية في فلسطين التي تقوم بشراء الأراضي العربية وبيعها لليهود (بصفقات مشبوهة)، وكان جاك سيد يحفظ لديه خرائط تفصيلية للأراضي المطروحة للبيع، ويعرضها على عملائه من اليهود في مصر الذين يسهمون بهذه الوسيلة في تجريد العرب من أراضيهم.^(٤)

(١) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر من مركز يافا، ص ٢٧٣

(٢) أنظر في الملحق جداول بأسماء المستعمرات التي أسست في فلسطين قبل ١٩٤٨، ص ٢٢٤

(٣) أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٢٧٣

(٤) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر من مركز يافا، ص ٢٧٣

وبعد أن توفي جابوتنسكي في نيويورك في ٤ تموز ١٩٤٠، لم تستطع "المنظمة الصهيونية الجديدة" أن تنتخب رئيساً يخلفه، وذلك لتعذر عقد مؤتمر صهيوني عالمي؛ بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية. وهنا اقتصرت المنظمة على إنشاء مكاتب رئيسة لها، في كل من فلسطين وبريطانيا والولايات المتحدة وأفريقية، وقد تولى الدكتور آرييه ألتمان رئاسة مكتب القدس وأبراهامز رئاسة مكتب لندن. والكولونيل مندلسون رئاسة مكتب جنوب أفريقية. وفي هذا التنظيم أصبح فرع المنظمة الصهيونية في مصر؛ تابعاً من الناحية التنظيمية لمكتب القدس، وللتوجيه الشخصي لرئيسه ألتمان، حينها أخذ ألتمان يتردد كثيراً على القاهرة والإسكندرية، للإشراف على نشاط المنظمة الصهيونية فيها.^(١)

وفي عام ١٩٤٢ حضر ألتمان إلى القاهرة، حيث عقد اجتماعاً في منزل سيمون يانكوفيتش، وقد حضر الاجتماع نحو ١٢ عضواً، بينهم ألبير ستراسلسكي وروفايل سادوفسكي، وبعض اليهود المجندين المتطرفين، مثل جوزيف سنتر وفاينبرج اللذين ثبت بعد ذلك أنهما من عصابة شتيرن الصهيونية المتطرفة. وفي عام ١٩٤٣ ألقى ألتمان محاضرة في مكتب الاستعلامات الصهيوني التابع للوكالة اليهودية بالإسكندرية، وفي هذه المحاضرة أشار إلى وجوب تكاتف يهود مصر من أجل جمع التبرعات؛ للمساهمة في عملية التهجير، وقد استطاع في هذه الزيارات وغيرها، أن يجمع تبرعات ضخمة من أثرياء اليهود^(٢)، كما عقد ألتمان اجتماعاً في الإسكندرية في شباط ١٩٤٤، ضم العديد من الشخصيات الصهيونية واليهودية، وأعلن أنه إذا لم يستطع اليهود تحقيق مطالبهم بالوسائل السلمية، فعليهم اللجوء إلى العنف لتحقيقها. وقد أثار هذا التصريح حفيظة سلطات الأمن في مصر. ولكن أمام إصرار ألتمان على تهديداته ضد الحكومة البريطانية، التي رددتها على الملأ في اجتماعاته، أعلن الكولونيل البريطاني جايلز مدير القسم الجنائي بحكومة فلسطين، أنه كموظف في الحكومة المصرية، لا يعنيه إلا الابتعاد بيهود مصر عن التورط في مشكلات اليهود في فلسطين، حتى لا يؤثر ذلك على علاقتهم بالشعب المصري وحكومته^(٣).

وفي بداية ١٩٤٤، كانت تطورات الحرب العالمية الثانية، تشير إلى انتصار الحلفاء، عندها بدأت "المنظمة الصهيونية الجديدة" تتحرك بدرجة عالية؛ لاتخاذ الخطوات الكفيلة بإعلان "الوطن القومي لليهود" في فلسطين غداة انتهاء الحرب. ومن أجل ذلك رأى ألتمان وجوب دعم نشاط المنظمة في مصر، وإضفاء صفة الشرعية عليها، وذلك بالحصول على اعتراف رسمي من الحكومة المصرية بتأسيسها وشرعيتها.

(١) أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٢٧٣

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ١٢١

(٣) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١٢١

فأصدر -بوصفه رئيسها- قراراً أبلغه إلى ستراسلسكي بتعيينه ممثلاً للمكتب السياسي لرئاسة المنظمة في القاهرة، وعهد إليه بإدارة شؤونها^(١)، وعلى أثر ذلك عمد ستراسلسكي إلى إعادة تشكيل فرع القاهرة، واقترح تكوين هيئة الفرع من المحامي فيكتور حزان رئيساً، وفورتييه حزان زوجته سكرتيرة عامة، وروفايل سادوفسكي أميناً عاماً للصندوق، وأكوباس مساعداً لأمين الصندوق، وقد ضمّ الفرع ٤٥ عضواً، وحرّر ألبير ستراسلسكي محضراً بهذا الاجتماع، بعث فيه إلى الحاكم العسكري العام في مصر يطلب موافقته على تكوين الفرع. وفي أوائل تموز ١٩٤٤ قام حسن رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية المصرية، باستدعاء ستراسلسكي وأبلغه بعدم موافقة السلطات على منح ترخيص بفتح فرع للمنظمة الصهيونية الجديدة في مصر، وأيضاً بعدم الموافقة على عقد اجتماع للاحتفال بالذكرى الرابعة لوفاة جابوتسكي منشئ المنظمة وزعيمها^(٢).

ومن جانبه قام رفعت باشا بالاتصال بـ جينكنز المسؤول عن النشاط الأمني في السفارة البريطانية؛ للتنسيق بشأن ما ورد في تهديدات ألتمان، وما تمّ في لقاء رفعت وستراسلسكي، وقد قام السفير البريطاني في مصر اللورد كيلرن بإصدار تعليماته إلى مسؤولي سفارته؛ بتجنب الاشتراك في الأنشطة الصهيونية في مصر، وعدم التعامل مع زعماء الصهيونية، ولكن ستراسلسكي كرئيس للمنظمة الصهيونية الجديدة في مصر، ظل يعمل رغم عدم حصوله على التصريح من السلطات المصرية^(٣). واستمر بصفته قومسيراً (مفوضاً) عاماً لجماعة الصهيونيين الجديدة، في نشاطه الصهيوني حتى بعد أن طلبت منه وزارة الداخلية المصرية وقف هذا النشاط.

وقد سوغ ستراسلسكي نشاطه، بأنه كان يقوم بعمله بصفته ممثلاً للمكتب السياسي لرئاسة جماعة الصهيونية العالمية الجديدة، وليس بوصفه قومسيراً عاماً لهذه الجماعة في مصر، وأن هذه الصفة لا تدخل في نطاق التحذير والمنع، ومع أنه صدر الأمر بطرد ألبير ستراسلسكي من مصر في ٢٨ أيار ١٩٤٥، وترحيله إلى فرنسا لنشاطه المعادي، فإن طرده لم يكن نهاية التآمر الصهيوني الذي ظل ينشر سمومه سراً^(٤).

ثامنا - النشاطات الإرهابية لليهود في مصر ومحاولات مكافحتها:

(١) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٩٨

(٢) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١٢١

(٣) سيد أحمد، اليهود في مص بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ٤٢

(٤) بابلي، أساليب اليهود في تحقيق أهدافهم، ص ١٩

كان للإغتيال الفردي دورٌ مهمٌ في رسم سياسة الحركة الصهيونية منذ تأسيسها، فقد تشكلت الجماعات الإرهابية بأسماء مختلفة من محترفي القتل والإرهاب، كما تشكلت المنظمات الإرهابية للغاية ذاتها، مثل "الهاجاناه" عام ١٩٢٠ و"الأرغون" عام ١٩٣١ و"شتيرن" عام ١٩٤٠.

١- تأسيس عصابة شتيرن ١٩٤٠ ودورها في اغتيال شخصيات بريطانية:

في عام ١٩٤٠ قام أبراهام شتيرن بتأسيس منظمة إرهابية متطرفة هي "لوحامي حيروت إسرائيل" (المحاربون من أجل حرية إسرائيل) وقد عرفت هذه العصابة باسم شتيرن نسبة إلى أبراهام شتيرن زعيم المنشقين عن عصابة أرغون، والذي كان مساعداً لدافيد رازايل قائد الأرغون، وقد افتتحت هذه العصابة فرعاً لها في القاهرة، أسسه أحد جنود الحلفاء اليهود في مصر، وهو جوزيف سنتر عام ١٩٤٣، ثم تولّى فرع شتيرن من بعده روفائيل سادوفسكي، أمين عام المنظمة الصهيونية الجديدة في مصر. وقد بدأت عصابة شتيرن نشاطها الإرهابي سراً، وكان عددها محدوداً، غير أنها تميزت بتنظيمها المحكم، فقد كانت على هيئة حلقات، لا تزيد الواحدة منها على عشرة أشخاص، ولا يعرف عضو الحلقة أحداً في الجماعة غير أفراد حلقتة.^(١)

وكانت هذه العصابة تعتقد بأن الوسيلة الوحيدة لإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين، هي إخراج مركز الإنكليز في أثناء الحرب العالمية الثانية ليتروكو فلسطين...، ووجد أعضاء العصابة في مصر من العائلات اليهودية ما يسّر لهم سبل الالتقاء في منازلهم وإقامة الحفلات التي كانوا يدعون إليها العناصر المتطرفة اليمينية المحاطة بما يكفل لهم ممارسة أعمالهم وتنفيذ مخططاتهم، ومنهم: يعقوب وايزمان، وعائلة دافيد التي كان عميدها الصيدلي مظلوم بالقاهرة يقيم حفلات مستمرة يستقبل فيها المجندين، وتطور فيها المناقشات السياسية، حول القضية الصهيونية. وعائلة الدكتور أنجيل التي كانت تعقد الاجتماعات التي تهدف إلى جمع التبرعات واستمالة اليهود المصريين.^(٢)

وفي هذا السبيل دبّرت اغتيالات عدة لكبار موظفي الانتداب البريطاني، وشنت حملة إرهابية واسعة، امتدت نحو ثلاث سنوات ونصف، وقد اتسع نشاط هذه العصابة إلى مصر، فأقاموا فيها تنظيمات متكاملة، اشترك فيها بعض الصهيوينيين المصريين، حيث قام هذا الفرع من العصابة بعمليات في القاهرة والإسكندرية، مثل اغتيال اللورد موين (سنأتي على تفصيل الموضوع بالفقرة التالية)؛ فضلاً عن محاولة نسف مؤتمر الجامعة العربية بقصر انطونيادس بالإسكندرية، وتهريب الذخائر والمتفجرات من المعسكرات إلى مقر العصابة في فلسطين.^(٣)

(١) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١٢٤

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ١٠١

(٣) بدايات الحركة الصهيونية، ص ١٠١

٢- حادثة اغتيال وزير الدولة البريطاني اللورد موين.

كان اغتيال اللورد والتر موين في حي الزمالك بمدينة القاهرة في ٦ تشرين الثاني ١٩٤٤ تصعيداً لحركة الإرهاب الصهيوني، الذي بدأ قبل ذلك، من أجل الضغط بعنف على سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين، وعلى سكان فلسطين العربية، "لإقامة الوطن القومي لليهود". وفي عام ١٩٤٤ قدم من فلسطين اثنان من أعضاء "شتيرن" هما إيلياهو حكيم (٢٣ سنة) وإيلياهو بت تسوري (٢٧ سنة)، وقاما في ٦ تشرين الثاني عام ١٩٤٤ بإطلاق النار على اللورد والتر موين وزير الدولة البريطاني، فقتلاه، وقتلا سائقه الإنكليزي آرثر فولر، بينما نجت سكرتيرته والياور (المرافق الشخصي) العسكري.^(١)

وعلى أثرها توترت العلاقات بين حكومة أحمد ماهر باشا واللورد كيلرن السفير البريطاني؛ نتيجة المعلومات الخاطئة التي وصلت للأخير، على اعتبار أن قتلة اللورد موين هم من المصريين، ولكن تمكّن أحد رجال الأمن المصريين وهو محمد عبد الله (أمين الشرطة) من تعقب الجانيين، والقبض عليهما، ورغم اتضاح شخصية القتلة، إلا أن اللورد كيلرن، أصرّ على تحميل الحكومة المصرية مسؤولية الحادث؛ نتيجة رفع الحراسة عن اللورد موين، وقد اتّضح بعد ذلك أن اللورد موين هو الذي أصرّ على رفع الحراسة عنه، وطلب ذلك رسمياً من الحكومة المصرية قبل أسبوعين من اغتياله، وأنه عاد وكتب طلباً آخر بخط يده قدمه إلى المسؤول عن حراسته وهو الأمين محمد عبد الله قبل أسبوع واحد من اغتياله، رغم إصرار هذا الأخير على رفض طلب اللورد على ذلك، ولهذا فقد أمر أحمد ماهر رئيس الوزراء بترقية الأمين إلى رتبة ملازم^(٢).

وصرف مكافأة له قدرها ألف جنيه مصري، وأهداه الملك فاروق وسام الجدارة، كما أهداه الملك جورج السادس ملك بريطانيا ميدالية و ٥٠٠ جنيه استرليني، وقد أعدم الجانيان وتمّ دفنهما في مقابر اليهود في البساتين. وكادت أسرار اغتيال وزير الدولة البريطاني تظل في طي الأسرار، لو لم يتمّ القبض على روفائيل سادوفسكي وهو يبكي بحرقه على قبرهما بعد ثلاثة أيام من دفنهما، فقبض عليه، وقد اعترف بدوره في تسهيل إقامة القاتلين اليهوديين حكيم وبت تسوري، وأنه قدم إليهما السلاح الذي اغتالا به اللورد موين وسائقه، وقد حوكم سادوفسكي وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات. واتضح فيما بعد أن سادوفسكي لم يكن فحسب واحداً من اليهود الذين انضموا إلى المنظمة الصهيونية الجديدة التي كان يرأسها ستراسلسكي؛ بل كان عضواً عاملاً في التنظيم الذي يتبع عصابة شتيرن، وكان همزة الوصل أو الأمين العام لفرع هذه العصابة في القاهرة.^(٣)

(١) حميد، حقائق وأباطيل في تاريخ إسرائيل، ص ٢٢٢

(٢) شريف، المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ، ص ٤٥٥

(٣) بدايات الحركة الصهيونية، ص ١٠٧

أما عن موقف الطائفة اليهودية في مصر، فقد كان محرّجاً؛ نتيجة تورط كثير من اليهود المصريين في تلك الجريمة البشعة التي راح ضحيتها وزير الدولة البريطاني اللورد موين، والتي كانت تستهدف توريط الحكومة المصرية في هذه الجريمة؛ وبالتالي انعكاس ذلك على العلاقات المصرية البريطانية، والانتقام من اللورد موين نفسه الذي طالب في أحاديث صحفية منشوره له^(١) بالحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، حيث لا يمكن القبول أن يحلّ المهاجرون الجدد محلّ عرب فلسطين...

وتصريحات موين هذه تقضح الدعايات الصهيونية التي دأبت على ترويجها أمام الرأي العام العالمي؛ وخاصة الأوروبي والأمريكي بأن "اليهود شعب يعود إلى أرض بلا شعب". حينها سارع ليون كاسترو في اجتماع الجمعية العمومية للاتحاد الصهيوني في ٣ كانون الأول عام ١٩٤٤، أي بعد الحادث بأقل من شهرين، يستنكر ما ارتكبه هذان اليهوديان من اغتيال اللورد موين، وعدهما متطرفين خارجين عن الصهيونية الرسمية، هما ومن عاونهما من اليهود المصريين^(٢).

ومن جانبه استنكر ونستون تشرشل الحادث قائلاً: "إذا كان لأمالنا للصهيونية أن تنتهي وسط دخان مسدس قاتل وإذا كان النضال من أجل مستقبل الصهيونية سيفرز عصابات جديدة تليق بألمانيا النازية، فإن الكثيرين منا سيصبح عليهم أن يعيدوا النظر في المواقف التي اتخذوها في الماضي.."^(٣) وإذا كان هذا هو الموقف على الجانب البريطاني، فإنه كان مختلفاً على الجانب الأمريكي، حيث تم إنشاء صندوق مالي تم تخصيصه للدفاع عن القاتلين اللذين استتكرت المنظمات الأمريكية إعدامهما، على أساس أنهما يدافعان عن قضيتيها القومية.

وفي إطار تتبّهِ الحكومة المصرية للنشاطات الإرهابية الصهيونية في مصر، فقد كثفت يقظتها؛ نتيجة المعلومات التي تلقتها، بأن منظمة شتيرن ستحاول الانتقام من الحكومة المصرية، نتيجة تنفيذها حكم الإعدام في القاتلين اليهوديين، وذلك بتدبيرها مؤامرة تستهدف نفس قاعة اجتماعات مجلس الجامعة العربية، والمقرر أن تعقد في قصر أنطونيدس في الإسكندرية في شهر تشرين الأول عام ١٩٤٥؛ بهدف التخلص من العديد من الزعماء العرب المجتمعيين، والذي من شأنه إحداث بلبلة وذعر في الأوساط العربية، علاوة على شعور الإحباط الذي سوف يصيب القوى العربية، وبالتالي تيقنها من عدم القدرة على مقاومة المخططات الصهيونية في فلسطين.^(٤)

(١) عواطف، مصر وفلسطين، ص ١٧٦

(٢) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١٢٥

(٣) بدايات الحركة الصهيونية، ص ١٢٧

(٤) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر من مركز يافا، ص ٢٩

ومن جانبه فقد حذر رينيه قطاوي رئيس الطائفة اليهودية في القاهرة، التنظيمات الصهيونية في مصر من تأثير أنشطتها السلبية على العلاقات الممتازة بين السلطة المصرية ويهودها، فأرسل رسالة بهذا المعنى إلى السفارة البريطانية في مصر. (١)

وهكذا لم يحظ المشروع الصهيوني بأي تعاطف من جانب القوى السياسية والاجتماعية المؤثرة في الساحة المصرية، حيث عبّر عن ذلك الدكتور محمد حسين هيكل بقوله: "لم تكن صحيفة مصرية تستطيع أن تؤيد الحركة الصهيونية بحال... فقد بدأت صيحة فلسطين ترتفع شيئاً فشيئاً، وبدأ رجال من ذوي المكانة في مصر يؤيدون هذه الصيحة تأييداً حاراً" (٢)

٣- الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية.

نظراً لافتقار المشروع الصهيوني إلى الأسس الشرعية أو القانونية، فقد عدّت قطاعات كبيرة من الشعب المصري أن قيام دولة على أسس دينية محضة، هو انتكاسة للحضارة الإنسانية والعودة بها إلى الوراء، وعلى الرغم من التعاطف من قبل بعض الأوساط المصرية مع اليهود بعد الاضطهاد الذي لاقوه في أوروبا المتمدنة، فإنهم لم يجدوا سبباً واحداً معقولاً يسوّغ حل هذه المشكلة عن طريق خلق مشكلة أخرى بتشريد شعب لا ذنب له، وعلى أثر ذلك تشكلت معارضة يهودية مقاومة للصهيونية في عقر دارها سمّيت بـ"الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية" (٣) التي عملت كمنبر وسط اليهود ضد الصهيونية. وهي منظمة مصرية شبه علنية معادية للصهيونية، اقتصرت عضويتها على اليهود الشيوعيين في مصر، حتى تكون المعارضة للصهيونية، من داخل الطائفة، وأوضح الشيوعيون اليهود أنهم يعارضون الصهيونية، من منطلقات مبدئية؛ كونها حركة عنصرية، ومن منطلقات وطنية؛ كونها حليفاً للاستعمار. ومع تنامي الخطر الصهيوني في الأربعينيات، نضجت في مصر فكرة تكوين تنظيم يؤكد الاختلاف بين اليهودية كدين، والصهيونية كحركة سياسية موالية للاستعمار ومعادية للحركة الوطنية المصرية، وتأسس هذا التنظيم في صيف عام ١٩٤٦، واستمر نشاطه أقل من عامين.

وكان مؤسسو هذه الرابطة من يهود منظمة "أيسكرا" (الشرارة) الماركسية المصرية السرية (سنأتي على ذكرها بالتفصيل) وضمت اللجنة التأسيسية: عزرا هراري ومارسيل إسرائيلي وإدوارد ليفي وإدوارد متالون وهانزين كاسفلت. وقد وجه سكرتير الرابطة عزرا هراري بياناً نشر في جريدة "صوت الأمة" الوفدية في ٦

(١) عواطف، مصر وفلسطين، ص ١٧٦

(٢) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٢٤٥

(٣) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر، مركز يافا، ص ٢٩

تشرين الأول ١٩٤٦ جاء فيه "إنها ترمي إلى محاربة العنصرية ومكافحة الاستعمار وربيته الصهيونية"^(١)

كما أدانت الرابطة سياسة الهجرة إلى فلسطين، وأشارت في بياناتها إلى عدّ الصهيونية أخطر حركة ظهرت في تاريخ اليهود، وعقبة في طريق حل المشكلة اليهودية. وأعلنت في بيان صدر في أيار عام ١٩٤٧ عن أهم أهدافها، وهو الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التي تتعارض مع مصالح كل من اليهود والعرب.

ونددت بالإرهاب الصهيوني في فلسطين، وواصلت حملاتها ضد ما أسمته "أوكار الصهيونية في مصر"^(٢) كما كشفت الرابطة في صراعها مع اليهود الصهاينة عن استخدام المدارس والأندية اليهودية في النشاط الصهيوني، وإقامة الحفلات لغاية جمع الأموال وتهريبها لليهود في فلسطين. ولكن الصهيونية ثارت في مصر، لمواجهة هذا الخطر القادم إليها من عقر دارها. وفي منتصف حزيران عام ١٩٤٧، أبلغت وزارة الشؤون الاجتماعية - سكرتير الرابطة - عدم الموافقة على تكوين الرابطة لأسباب تتعلق بالأمن، كما أصدر في منتصف أذار عام ١٩٤٨، "محمود فهمي النقراشي باشا" رئيس الوزراء المصري قراراً بحل الرابطة^(٣)، بحجة المحافظة على النظام والأمن العام في البلاد، وعلى أثر ذلك ألقت أجهزة الأمن المصرية القبض على أعضاء اللجنة التأسيسية للرابطة الذين أدوا دوراً في مكافحة الصهيونية، وأمرت بترحيل معظمهم إلى خارج البلاد.^(٤) ويبدو أن القرار الذي اتخذته الحكومة المصرية، كان نابعاً من الشك في النوايا الشيوعية أكثر منه محاباه للصهيونية، حيث إنها لم تدرس أهداف الرابطة ولم تكن بذلك.

(١) البحرة، نفسية اليهودي في التاريخ، ص ١٠٥

(٢) علي، بارونات وبؤساء، ص ١٦٥

(٣) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١١٩

(٤) الشمالي، الظروف التاريخية للهجرات اليهودية، ص ١٨٣

تاسعاً- هجرة اليهود من روسيا إلى مصر ودورهم في نشر الفكر الاشتراكي:

جاءت الهجرة اليهودية المغادرة لروسيا؛ حاملة معها أفكاراً ثورية للبروليتاريا، حيث هناك دراسة تقول بأن اليهود الروس من أصحاب الفكر الثوري قد اندس بينهم كثير من الصهاينة وذلك بهدف الاستفادة من دعم الدول الاشتراكية في حال ضعف الجانب الرأسمالي وبهذا تكسب الحركة الصهيونية طرفي الصراع في الحرب الباردة من أجل دعم هدفهم في الوطن القومي في فلسطين، لذلك شجعت السلطات الروسية من جانبها هجرة اليهود الروس، ربما كحل لمشكلتهم بالتزلف مع إفراغ للحركات الثورية الناشئة من قوتهم؛ لذا فقد اندفعت جماهير عديدة من اليهود الروس المتشربة للأفكار البلشفية للهجرة، ومنهم من هاجر إلى فلسطين، ثم إلى مصر فيما بعد، وخاصة في الحرب العالمية الأولى، وقد كان ممن هاجر من روسيا إلى مصر روزنتال الذي تمكن عام ١٩٢١ من تأسيس "اتحاد العمال".

١- موقف الحكومة المصرية وبريطانيا من الحزب الاشتراكي:

رغم تصريح سعد زغلول بأنه لا يهتم بالمشكلات الاجتماعية، وأن شغله الشاغل قضية التحرر السياسي، إلا أنه وتقديراً منه لدور روزنتال في تأسيس اتحاد نقابات العمال، أوفد له في ٢٨ أيلول عام ١٩٢١ مصطفى النحاس الذي عرض عليه بصفته رئيساً لاتحاد العمال، بياناً يزعم سعد زغلول نشره قبل الانتخابات.^(١) لكن انقسام الحزب الاشتراكي، ونقل روزنتال نشاطه إلى الإسكندرية، بعد طرد المتنفذين المصريين منه في ٣٠ تموز عام ١٩٢٢، أدى إلى بدء السلطات المصرية بالتضييق على الحزب، فأغلقت جريدة "الشبيبة" التي كان قد استأجرها الحزب من أحد أعضائه بعد أن رفضت الحكومة منح روزنتال ترخيصاً لإصدار جريدة للحزب^(٢)

ثم استدعت إدارة الضبط في محافظة الإسكندرية روزنتال في ٨ من كانون الأول عام ١٩٢٢، وأبلغته أنها تفكر في إبعاده عن مصر إن لم يكف عن نشر الشيوعية في مصر، إلا أنه ردّ متحدياً بأنه مصري الجنسية، وإذا كانت الحكومة تريد شيئاً فعليها محاكمته، وإلا فلا داعي للتعرض له. لكن روزنتال اختلف مع قيادات الحزب حول ملازمة الزمن للثورة الاجتماعية، حيث رأى روزنتال أن الزمن غير ملائم لها، بينما رأت أغلبية قيادات الحزب، أنه قد حان وقتها، كان سبباً -كما يذكر روزنتال- في فصله عن الحزب الشيوعي الذي تحول إلى الحزب الاشتراكي، وقد استمرت ابنته شارلوت وزوجها أفيجدور في

(١) البحرة، نفسية اليهودي في التاريخ، ص ١٢٣

(٢) علي، بارونات وبؤساء، ص ١٧٠

إدارة الحزب، حتى تم إلقاء القبض عليهما في ٣ آذار عام ١٩٢٤؛ نتيجة قيام العمال بالاعتصام في بعض المصانع ورفض مغادرتها^(١).

ورغم أن جوزيف روزنتال لم يكن من المقبوض عليهم، فقد قررت حكومة الوفد المنتخبة بزعامة سعد زغلول نفيه، ومعه اثنان من الشيوعيين الروس الآخرين على ظهر السفينة (تمسيس)^(٢). ولكن روزنتال رفض النزول إلى رومانيا، وعاد على ظهر الباخرة إلى الإسكندرية، ورفضت السفينة مغادرة الميناء وعليها هؤلاء الثلاثة الذين يحملون الجنسية المصرية، وادعى روزنتال المرض، فانتقل إلى أحد المستشفيات، ومن هناك رفع قضية على الحكومة؛ مطالباً بتعويضه بألف جنيه نظير تعطيله عشرين يوماً. وأخيراً وافق سعد زغلول على قبوله ثانية في مصر، بشرط أن يتنازل عن دعواه هذه، وقبل روزنتال ذلك، فانتهت معركته مع الحكومة.

ورغم هذه الضربة الكبيرة التي وجهها سعد زغلول للحزب الشيوعي المصري، إلا أن بعض عناصره تمكنت من إعادة تنظيم الحزب؛ خاصة في ضوء تحركات أفيجدور زوج ابنة روزنتال الذي كان قد أفرج عنه في القضية الأولى هو وزوجته شارلوت، لكن تمكنت حكومة أحمد زيوار باشا التي خلفت حكومة الوفد، تمكنت من إلقاء القبض على أعضاء اللجنة التي شكلها أفيجدور الذي كان يحمل اسم فلسطين فائس في هذه القضية وزوجته شارلوت ورفيق جبور وشاكر عبد الحليم في ٣٠ أيار عام ١٩٢٥.^(٣)

وقد ثبتت صلة هذه اللجنة مع الحركة الشيوعية في فلسطين، التي ينظمها اليهود هناك، والتي كان يتزعمها الأشكنازيم الروس، ونتيجة الربط بين الروس بصفة عامة واليهود منهم بصفة خاصة، فقد شنت حكومة زيوار باشا حملة على الروس، فمنعت البواخر الروسية من دخول الموانئ المصرية، على أن تقوم بتفريغ شحناتها تحت المراقبة، وهي راسية خارج الميناء، وقد حكمت بأحكام مختلفة على ثلاثة عشر من المتهمين^(٤) كان خمسة منهم من اليهود. ومن الواضح أن سلطات الاحتلال بالغت متعمدة في إثارة ما أسمته بالثورة البلشفية وشيكة الوقوع، كسبيل لاستثارة الحكومة المصرية، والطبقات المرتبطة بها، ضد ما أسمته التقارير البريطانية الحركة الثورية النشطة للعمال والفلاحين، وكسبيل لإثارة الفزع عند القوى الوطنية، والإيحاء بأن انتشار الشيوعية سيؤدي ببريطانيا إلى رفض منح مصر استقلالها..

٢ - تأثير الفاشية والنازية في الشارع المصري:

(١) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١٣٣

(٢) زناتي، موسوعة تاريخ العالم، ص ٣٣١

(٣) علي، بارونات وبؤساء، ص ١٧٠

(٤) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١٣٣

إذا كان الفرع والخوف من الشيوعية، قد ساد الموقف البريطاني في العشرينيات، فإن البريطانيين في مرحلة سابقة كان لهم موقف غير متشدد في المعاداة، وذلك مع بداية الثلاثينيات، وزيادة الفاشية الإيطالية، واعتلاء الحزب النازي الحكم في ألمانيا، ويمكن القول: إن أحداث الثلاثينيات جاءت لتؤكد الاهتمام بالعمل السياسي والاجتماعي وسط الجاليات الأجنبية للأسباب الاتية^(١): أولاً: الفاشية وامتدادها السياسي والتنظيمي في مصر. ثانياً: التيارات الدينية التي بدأت في الظهور، وانعكاس نموها على وضعية الأجانب في مصر، ثالثاً: الحرب العالمية وتأرجح مصير الأجانب واليهود، مع اشتداد هجمات المحور على مصر.

وفي ضوء هذه التيارات التي بدأت في الظهور، وانعكاساتها في الثلاثينيات، كان من الطبيعي أن يتخذ اليهود في مصر موقفاً حاداً خاصة ضد الفاشية والنازية، وفي الوقت ذاته إن "العدو الواحد" قرب بين التنظيمات اليهودية والصهيونية من جانب، ومثيلاتها اليسارية والشيوعية من جانب آخر، وذلك لأن الاثنين يواجهان المخاطر ذاتها، التي يسببها العدو الفاشستي والنازي، وخاصة أن هذا الاتجاه، قد تبنته القوى الديمقراطية واليسارية في أوروبا، والذي كان يتناقله الأجانب الذين يعيشون في مصر، ويتصلون بأوطانهم الأصلية، وفي الوقت ذاته فقد مثل هذا الأمر توافقاً مع قوات الاحتلال البريطاني في مرحلة لاحقة، كانت تتخوف من تنامي النشاط الفاشستي والنازي في مصر.^(٢)

٣ - إنشاء الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدثو):

في عام ١٩٣٨ بدأ هنري كورييل (١٩١٤-١٩٧٨) الذي يعدّ أبرز زعيم شيوعي يهودي مصري، في إنشاء الاتحاد الديمقراطي، والذي يعرف اختصاراً (ح د)، ومعه أخوه راؤول كورييل ومارسيل إسرائيل وريمون أجيون وأسترسون وهنريت أربييه وعزرا هراري، وكلهم من اليهود، وعقد الاتحاد الديمقراطي، أول اجتماعاته في مقر إحدى الجمعيات الماسونية التي كان يرأسها يهود، وفي عام ١٩٤٣ ونتيجة الخلاف بين أقطاب المجموعة، انقسم الاتحاد الديمقراطي إلى ثلاثة تنظيمات: حيث أسس "هنري كورييل" الحركة المصرية للتحرر الوطني (حمتو)، التي شكلت نواة أكبر منظمة شيوعية مصرية ذات نفوذ في معظم العشرين عاماً التالية. وأسس "مارسيل إسرائيل" حركة تحرير الشعب". وأسس "هليل شوارتز" "حركة أيسكرا (الشرارة)^(٣).

(١) البحرة، نفسية اليهودي في التاريخ، ص ١١٩

(٢) زناتي، موسوعة تاريخ العالم، ص ٣٣١

(٣) البحرة، نفسية اليهودي في التاريخ، ص ١١٩

بدأت (الحركة المصرية للتحرير الوطني) ^(١) تجند المصريين، ونجحت في تجنيد خمسة وعشرين منهم، بينهم طالب أزهرى صاغ قوانين الجدل (الديالكتيك) شعراً على طريقة ألفية ابن مالك، وأيضاً من ضباط الصف في سلاح الطيران وغيرهم، وكان كل طالب يحصل على ستة جنيهات شهرياً، وكانت اجتماعاتهم تتم في عزبة (مزرعة) مملوكة لأسرة هنري كورييل قرب القاهرة.

أما "أيسكرا" فكانت أكبر هذه التنظيمات، وبدأت تتخذ من تلاميذ المدارس الأجنبية عناصر مفضلة لكوادرها، وكان الطلاب اليهود يسعون إلى اجتذاب الأعضاء الجدد، من خلال التركيز على الحرية الاجتماعية والأنشطة المختلطة التي تجمع البنين والبنات في مكان واحد. وفي عام ١٩٤٧ تم دمج اتحاد أيسكرا والحركة المصرية للتحرير الوطني، وكونا الحركة الديمقراطية للتحرير الوطني (حدثو)، وقد ضمت لجنيتها المركزية رئيسي أيسكرا وحمتو شوارتز وكورييل، وفي إطار تحركها لما أسمته درة الخطر الصهيوني عن اليهود في مصر عملت على تحديد أهدافها ^(٢) في:

- ١- الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التي تتعارض مع مصالح كل من اليهود والعرب.
- ٢- الربط الوثيق بين يهود مصر والشعب المصري في الكفاح من أجل الاستقلال والديمقراطية.
- ٣- العمل على التقريب بين اليهود والعرب في فلسطين.
- ٤- العمل على حل مشكلة اليهود المشتتين.

ولم يمض عام على إنشاء حدثو، حتى تصاعد الخلاف بين أيسكرا وحمتو، بشأن الموقف من قيام "الكيان الإسرائيلي الناشئ"، ومفهوم الحرب التي نشأت بين العرب وإسرائيل في أيار ١٩٤٨، حيث أعلن كورييل تأييده لإقامة دولة ثنائية في فلسطين، وأنه لا مسوغ للحرب ضد إسرائيل؛ لأن هذه الحرب من وجهه نظره استعمارية تشن ضد إسرائيل. ^(٣)

وفي أثناء قيام الحرب العربية - الإسرائيلية في ١٥ أيار ١٩٤٨، قامت الحكومة بإعلان الأحكام العرفية، حيث تم إغلاق صحيفة "الجماهير"، وتم القبض على مئات الشيوعيين، ومنهم كورييل؛ فضلاً عن أعضاء من معظم الاتجاهات السياسية المعارضة الأخرى. كما جرى احتجاز عدد كبير من كل من اليهود الشيوعيين والصهاينة بمعسكرات الاعتقال في الهايكستب (وهي منطقة عسكرية في القاهرة، تقع على طريق الإسماعيلية) وأبو قير والطور، خلال عامي ١٩٤٨-١٩٤٩، ثم أفرج عن السجناء السياسيين كلهم، ومن بينهم كورييل وشوارتز عند عودة حزب الوفد إلى السلطة في كانون الثاني ١٩٥٠، ثم قبض عليهما مرة أخرى في عام ١٩٥٠، رداً على إحياء الحركة الشيوعية، ورغم حملهم للجنسية

(١) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١٣٦

(٢) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٢٦٤

(٣) شريف، المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود، ص ٥٢٥

المصرية منذ خمسة عشر عاماً، إلا أن المحكمة أمرت بترحيلهم "بوصفهم أجنب يشكون خطراً على الأمن العام".

وفي ٢٦ آب تمّ وضعهم في قمرة مغلقة على سطح سفينة ايطالية، ألقت بهم في النهاية في مدينة جنوا. إلى أن استقروا في النهاية في باريس.^(١)

٤ - تأسيس الحزب الشيوعي المصري:

بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقاً، كان هناك اتجاه شيوعي رابع، تجمع حول مجلة "الفجر الجديد"،^(٢) أسسه يوسف درويش وأحمد صادق سعد وريمون دويك، وعندما قامت مجموعة الفجر الجديد بتأسيس منظمة رسمية في عام ١٩٤٦، أدركت الوضع الإشكالي في الحركة الشيوعية، الخاص باليهود واليونانيين وغيرهم من المتصرين، الذين لم يتعلموا في بيئة ثقافية عربية مصرية، فقاموا بحل هذه الإشكالية من خلال ما أسموه "الممر"، ويعني أن هؤلاء الذين يجيدون العربية ويشعرون بانتمائهم لمصر، يمكنهم عبور الممر. وبذلك يعدون مصريين ١٠٠%، ويتم السماح لهم بدخول المنظمة، أما هؤلاء الذين لا تنطبق عليهم الشروط السابقة، فيتم استبعادهم، وقد حاز هذا الإجراء رضا فئة العمال في مصر، ولربما كان هذا التأييد للمكانة الرفيعة التي كان يكتفها الوسط العمالي ليوسف درويش الذي عمل مستشاراً قانونياً للعديد من النقابات المهنية، في الأربعينيات والخمسينيات، ولم تقلل أصوله اليهودية من هذا التقدير.

لكن المثقفين في الحركة العمالية، كانوا يميلون إلى الاهتمام بشكل أكبر بالأصول اليهودية، لكل من درويش وسعد ودويك، حتى بعد أن قاموا رسمياً باعتناق الإسلام.^(٣) وكان يتكون الحزب الشيوعي المصري المعروف شعبياً باسم "الراية"، بشكل كبير من المثقفين، وعدد جيد من الأقباط في الصعيد، لهذا كانت المنظمة تتمتع ببعض القوة المحلية، حيث قام زعماء الحزب وهم فؤاد مرسى وإسماعيل صبري عبدالله وسعد زهران، بتوجيه نقد عنيف إلى كل من كورييل وغيره، وذلك لدورهم في الحركة الشيوعية المصرية، وقد تحدث مرسى عن "التجربة السيئة جداً مع اليهود في الحركة الشيوعية المصرية التي كانت رمزاً للانحلال الجنسي والأخلاقي؛ وبالتالي رفض حزب الراية انضمام اليهود إلى صفوفه"^(٤).

كان من المرغوب فيه سياسياً تشجيع الزعماء المصريين المحليين على استلام مراكز في الحركات الشيوعية، لكن هذا لا يعني أنه ينبغي استبعاد الآخرين، ذوي الجنسية أو التعليم والثقافة الأجنبية، كما

(١) زناتي، موسوعة تاريخ العالم، ص ٣١٩

(٢) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٢٦٨

(٣) شريف، المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود، ص ٥٢٥

(٤) اتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٤٠٨

أكد مارسيل إسرائيل أن كورييل قام بشكل نشط بتشجيع تمصير الحركة، وقد قام في ذلك الشأن بتجنيد الكثير من العمال والمتقنين المصريين في "حمتو" و"حدتو"، وكان له أثر بالغ الأهمية في العديد منهم رغم ضعف لغته العربية.

ومن خلال ما ذكر، يمكننا أن نلاحظ الدور المتقلب الذي أدته الزعامات اليهودية في قيادة الحركة اليسارية والشيوعية في مصر في النصف الأول من القرن العشرين، وقد ارتبطت هذه الحركة اليسارية بالمجريات على الأرض الفلسطينية، مثلها مثل باقي الحركات الصهيونية في مصر، التي تأثرت بنظيرتها في فلسطين، فنرى أن التقارب بين القيادات الشيوعية في مصر وفلسطين، يعود إلى بدايات مبكرة. وقد ظهر جلياً في العشرينيات، في الزيارات المتكررة لشارلوت روزنتال إلى فلسطين، والالتقاء مع القيادات الشيوعية هناك، وزيارات مارسيل إسرائيل وغيرهما من القيادات اليسارية والشيوعية لمصر. غير أنه من الملاحظ أن السلطات المصرية لم ترصد من الأنشطة السياسية لليهود في مصر سوى المتعلق منها بالنشاطات اليسارية والشيوعية فقط، وأنها غضت الطرف عن كل الأنشطة الأخرى، وأن تحركها ضد بعض هذه الأنشطة، كان تحركاً وقتياً ومرتبباً بحادث بعينه من دون أن يمثل موقفاً للسلطة ضد الأنشطة اليهودية في مصر، وعلى رأسها النشاط الصهيوني.

وهكذا تبين لنا كيف أن الصهيونية قد أفسدت وجود الطائفة اليهودية التي كانت منصهرة في داخل المجتمع المصري بعد أن خلخلت وجودهم داخل مجتمعاتهم بأساليب مختلفة، وقد عملت جرثومة الصهيونية التي ظهرت في أوروبا ونبتت داخل المجتمعات العربية على اقتلاع يهود هذه المجتمعات قسراً إلى فلسطين بعد أن احتلت فلسطين وهجرت سكانها بأساليبها الإرهابية لتحل بدلاً منهم جماعة من اليهود المغتربين عن مجتمعاتهم الذين ترعرعوا فيها أباً عن جد، ومارسوا فيها جميع حرياتهم المختلفة من السياسية إلى الاقتصادية والدينية. وبعد قيام الكيان الصهيوني في فلسطين العربية عام ١٩٤٨ منهم من هاجر إلى فلسطين والذي كان معظمهم من الطبقة الوسطى أما أثريائها ورجال أعمالها فقد فضلوا الهجرة إلى أوروبا والأمريكيتين.

- نتائج الفصل....

أوضح الفصل أنه لم يحدث ما يعكر صفو العلاقات بين المصريين واليهود حتى حرب ١٩٤٨، على الرغم من الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها السلطات كتأثير مباشر لدخولها الحرب تجاه بعض اليهود المصريين، وخاصة ضد الصهيونيين منهم، ولم يمنع ذلك الحاخام الأكبر لليهود في القاهرة، حاييم ناحوم من إصداره نداء في اليوم الثالث للحرب في ١٨ أيار ١٩٤٨، يدعو فيه للتبرع للجيش المصري؛ إظهاراً للتضامن مع الموقف المصري، ورغم أن هذا النداء قد تم تعميمه على المعابد اليهودية، ووقعه الحاخام وسلفاتور شيكوريل عن الطائفة اليهودية، فقد شككت فيه بعض الكتابات اليهودية، وقالت إنهما قد أجبرا على ذلك.

وجاء ما يؤكد ذلك قيام بعض المجموعات الصهيونية المتطرفة، بانتهاك حرمة التراب المصري، وإقدامها على جرائم إرهابية، حيث أغارت على القاهرة في ليلة من ليالي رمضان، وبعد الإفطار بساعة في ١٥ تموز عام ١٩٤٨، ولكن القيادات الصهيونية استطاعت تصوير ذلك الأمر على أنه تم من يهود غير مصريين متطرفين؛ مما هيج مشاعر العداء عند المصريين، ولم يجدوا أمامهم إلا مهاجمة ممتلكات اليهود المصريين، كنوع من التنفيس عن غضبهم، واستمرت هذه الهجمات المتفرقة، حتى أيلول من العام ذاته، وتراوحت ما بين مهاجمة منشآت أو تفجيرات، ولكن الحكومة المصرية لم تبذل أي مجهود يذكر لحماية اليهود المصريين وممتلكاتهم من هذه الهجمات التي كانت تنسب بشكل عام إلى الإخوان المسلمين، ومن المؤكد أن النظام الحاكم لم يكن متبنياً موقفاً عدائياً حيال الطائفة اليهودية، لكنه كان يخشى مواجهة الإخوان المسلمين الذين لم يميزوا بين اليهود والصهاينة.

حيث ارتبطت الانتفاضات المصرية ضد اليهود باستفزات يهودية كمقدمات لها، وقد بالغت بعض الدوائر اليهودية في تصوير تلك الأحداث، وزادت عليها، رغم الجهود التي بذلتها السلطات المصرية لاحتوائها، حيث إن السلطة احتفظت بعلاقة الودّ الدائم مع اليهود، حتى في أحلك الأوقات وخاصة مع زعمائهم. وتعدّ وساطة شيكوريل في تموز وآب من عام ١٩٤٨ واستضافته في منزله بباريس اجتماعاً ضمّ ممثلين عن إسرائيل وآخرين عن مصر، دليلاً على استمرار هذه العلاقات التي ربطت تلك القيادات بالسلطة في مصر. ومع هذا نرى أن الصهيونية استغلت المناخ الذي ساد الأوساط المصرية، وذلك لتحصل على غطاء شرعي لتحركها في مصر، وساعدها على ذلك الوضع العام الذي ظلل العلاقات الاجتماعية الطبيعية بين طوائف المجتمع المصري. ولم تنتبه السلطة المصرية لتحركات اليهود إلا في بداية العشرينيات، عندما تزعم بعضهم النشاط الشيوعي واليساري في مصر، وإن هذا التحرك المبكر لمحاربة هذه الحركات جاء أساساً من سلطة الاحتلال البريطاني.

ويمكن القول: إن مواقف الودّ والتسامح الذي عاش في ظلها يهود مصر، لم يقابله المجتمع اليهودي المصري بالودّ المتبادل؛ بل انحاز اليهود المصريون أو لنقل معظمهم إلى المشروع الصهيوني وأيدوه، رغم محاولات أصحاب المصالح إيجاد صيغة للملاءمة بين مواظنتهم المصرية وارتباطهم بإخوانهم في العقيدة، ولم نسمع أن أحداً منهم قاوم الصهيونية وأهدافها أمام أبناء جلدته، ولم يرتفع صوت في معبد ليظهر التعارض الواضح بين الصهيونية واليهودية كدين، إلا قلة لا تذكر، أما اليساريون والشيوعيون اليهود، فقد رحبوا بقيام "إسرائيل"، وعدوا مقاومتها عملاً من أعمال الإمبريالية يجب مقاومتها؛ حيث صدمنا بموقف الحاخام حاييم ناحوم في عام ١٩٢٥، بتأكيد على رغبته في خدمة الأهداف الصهيونية خلال لقائه مع وايزمان، كما أن الطائفة القرائية سارعت إلى تأكيد صهيونيتها، عندما شعرت أن هناك اتهاماً لها بغير ذلك.

وهكذا يتبين أن الصهيونية في مصر، وجدت أكبر تأييد لها من رجال الدين اليهود، وهذا ما جعل شرائح الشعب المصري، تربط بين اليهودية كدين والصهيونية كعقيدة سياسية، وتتنظر إلى الصهيونية على أنها أحد روافد اليهودية. وبعد مرحلة من الاستقرار في المجتمع المصري دام لقرون عدة في ظل الحكم العثماني وحتى حرب ١٩٤٨، اضطرت بعدها الطائفة اليهودية المصرية إلى الهجرة من جديد، إما إلى فلسطين بعد استيلاء الصهاينة عليها، أو إلى أوروبا والولايات المتحدة، بعد أن أفسدت الصهيونية العلاقات اليهودية العربية، ومارست الضغوط الشديدة؛ لدفع يهود البلاد العربية إلى الهجرة منها، على الرغم من أوضاعهم العامة المستقرة.

الفصل الثاني

اليهود في مصر ودورهم في الحياة الاقتصادية بين ١٩١٧-١٩٤٨.

تمهيد:

أولاً- النفوذ الاقتصادي ليهود مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ودوره في

النهوض الاقتصادي لمصر:

١- تأثير التوزيع المهني ليهود مصر على الأنشطة الاقتصادية.

٢- الفروق الطبقية بين أبناء الطائفة اليهودية في مصر.

ثانياً- الهيمنة اليهود على المجال الزراعي في مصر:

١- الشركات التي أسهمت بالاستغلال الزراعي.

٢- الشركات التي عملت على استغلال أراضي البناء.

٣- سيطرة اليهود على الصناعات الزراعية.

ثالثاً- مساهمة الشركات اليهودية المصرية في الصناعات الخفيفة الاستهلاكية.

رابعاً- دور يهود مصر في النقل البري والبحري.

خامساً- نشاط يهود مصر في تأسيس البنوك والشركات المالية.

سادساً- نشاط يهود مصر في التجارة الداخلية والخارجية.

سابعاً- قانون تنظيم وتمصير الشركات المساهمة، وأثره في يهود مصر.

ثامناً- أهم العائلات اليهودية وارتباطها بالنشاط الاقتصادي في مصر:

١- عائلة قطاوي باشا (١٨٦١-١٩٤٢).

٢- عائلة شيكوريل.

٣- عائلة موصيري.

٤- عائلة سوارس.

٥- عائلة رولو.

٦- عائلة منشيه.

- نتائج الفصل...

تمهيد:

حدّد يهود مصر اتجاهاتهم نحو حيازة العديد من مصادر القوة والنفوذ، بالاستفادة من مكانتهم كجماعة وظيفية في سياق الهيمنة البريطانية، فكان ليهود مصر نشاط بارز في تجارة الذهب والقطن والمنسوجات والنقل والبنوك...، وقد تمتعت العائلات اليهودية الأرستقراطية بقوة اقتصادية، وجاهة اجتماعية، مكنتها من توطيد علاقاتها بمراكز النفوذ السياسي؛ للوصول إلى قمة الهرم الاجتماعي في مصر..، وإذا كان مفهوم الازدهار يعني مستوى التقدم الاقتصادي والمالي، فقد استطاع يهود مصر أن يحققوا هذا الازدهار في فترة وجيزة من الزمن، بدأت مع افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ ليلبغ ذروته مع بداية القرن العشرين حتى عام ١٩٤٨. على الرغم من أن مصر وقعت بأزمات اقتصادية صعبة جداً بعد افتتاح قناة السويس والأزمة الاقتصادية المصرية التي كانت السبب في تدخل الانجليز والفرنسيين في شؤون مصر سياسياً واقتصادياً ومن ثم تفردت إنجلترا في احتلال مصر بـ ١٨٨٢ وقيامها بالإصلاح الاقتصادي الذي استمر حتى عام ١٩١٤ الذي خدم مصالحها أكثر ما يخدم مصلحة الشعب المصري هنا استغلت الطائفة اليهودية هذا الإصلاح بما يفيد مصالحها من خلال ما تمتعت به من امتيازات منحها الاحتلال لهم لما لهم من صلة وثيقة بالدوائر الحاكمة في مصر بالإضافة إلى رأسماليتهم الاقتصادية التي ضاعوا بها، حيث عبر عن ذلك الرحالة اليهودي "س. صامويل" الذي زار مصر عام ١٨٧٩ في عبارة شاملة: "لا يوجد بمصر خادم أو عامل يهودي... وإن اليهود يفضلون أن يكسبوا عيشهم برؤوسهم لا بأيديهم"^(١)

(١) علي، بارونات وبؤساء، ص ٨٧

أولاً- النفوذ الاقتصادي ليهود مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ودوره في النهوض الاقتصادي لمصر:

تشير المصادر التاريخية إلى أن نفوذ اليهود الاقتصادي في مصر يبدو واضحاً منذ عام ١٨٨٠، حيث كان لليهود صلة وثيقة بالدوائر الحاكمة في مصر، فقد مولوها ودعموها مالياً، وقاموا بدعم المشروعات الصناعية التي أنشئت في ذلك الوقت، ولكن الرأسمالية اليهودية في تلك الحقبة، لم تكن بمعزل عن التطورات الدولية، فبينما قام اليهود الأجانب بتمويل القروض الخارجية لخديوي مصر، قام اليهود المتمصرون بتمويل ديونهم الداخلية التي أدى تضخمها بسبب ارتفاع الفوائد التي حصلوا عليها إلى اللجوء إلى عقد القروض الخارجية، كما كان يقوم بعض اليهود بتأسيس شركات مالية خصيصاً لإقراض الخديوي.^(١)

ونظراً لأن اليهود في غالبيتهم كانوا من أصحاب البنوك، فقد قام المستثمرون اليهود بشراء مساحات واسعة من الأراضي، بمقتضى القانون الصادر عام ١٨٥٨، الذي سمح للأجانب بامتلاك الأراضي، وكونوا شركات كبيرة لاستغلال هذه الأراضي، مثل شركة (كوم أمبو) التي اشغلت بزراعة قطاعات كبيرة من الأراضي، كما قامت بتقسيم هذه الأراضي وبيعها لأغراض البناء. كما شمل نشاط اليهود مجال زراعة القصب وصناعة السكر وتجارة الأقمشة.^(٢) حيث كان سماسرة القطن في البورصة من اليهود، ويبلغون أكثر من ٩٠% من مجموع سماسرة القطن في مصر.

وفي مطلع القرن العشرين، أسهمت الاضطرابات السياسية والاقتصادية التي شهدها العالم في زيادة معدلات الهجرة اليهودية، وخاصة الطوائف اليهودية الروسية التي استقرت في فلسطين، وقامت السلطة التركية بطردهم؛ كونهم أعداء، فاتجهوا نحو مصر. ومع ازدياد معدلات الهجرة اليهودية، زاد إسهام هؤلاء المهاجرين في الاقتصاد المصري، حيث لم يجدوا أي صعوبة في التخلص سريعاً من أشكال العمل التقليدية، فأسهموا من خلال رؤوس الأموال التي جلبوها معهم إلى مصر؛ فضلاً عن نقلهم لبعض الحرف التي توارثوها عن آبائهم في إصلاح الوضع الاقتصادي بمصر، إلى جانب الامتيازات التي منحتها مصر للأقليات الأجنبية حيث شكل هؤلاء الطبقة الثرية في مصر.

(١) نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ٢١

(2) Siegfried Landshat, Jewish Communities in the Muslim Countries of the Middle east, Jewish chronicle London, 1950, p 39

كما ظهرت أيضاً الطبقة الوسطى التي كانت تضم أصحاب المهن الحرة مثل المحامين والأطباء والمدرسين والمهندسين والموظفين، ويفيد الإحصاء الذي أجري في عام ١٩٣٧ أن ١٠,٨% من الموظفين اليهود اشتغلوا في الجهات الإدارية. (١)

١ - تأثير التوزيع المهني ليهود مصر على الأنشطة الاقتصادية:

لم يشكل اليهود كتلة متناسقة وسط المجموعة المختلطة والمتنوعة للأقليات الأوروبية والشرقية، ولم يكن من شأن الهجرة الكبيرة توثيق العلاقات فيما بينهم، حيث كانوا يميلون إلى التجمع وفقاً لفوارق إثنية واجتماعية، مما أدى إلى تأثير كبير في مركزهم الاقتصادي، وكان يقدر عدد اليهود بمصر نحو ٧٥ ألفاً في عام ١٩٣٠، حيث كانوا لا يمثلون سوى ٤% من مجموع سكان البلاد، غير أن تركزهم الذي يكاد يكون محصوراً في المدن، لما لها من النصيب الكبير في الأنشطة الاقتصادية، مكنهم من زيادة ثقلهم الذي مثل قدراً أكبر بكثير مما كان عليه وزنهم الفعلي من حيث عدد السكان. (٢)

وبما أن اليهود كانوا ينتمون إلى الشريحة السكانية المقيمة في المدن على خلاف الشريحة السكانية العامة في مصر التي عمل ثلث عاملها حتى عقد الأربعينيات في الزراعة، نجد أن يهود مصر اشتغلوا في مجالات التجارة، فشكّلوا خلال عام ١٩٣٧ نحو ٥٩,٥% من مجمل المشتغلين بالتجارة، كما شكّلوا خلال عام ١٩٤٧ نحو ٥٧,٧% من المشتغلين بها^(٣)، وكان أغلب هؤلاء من المديرين والموظفين وأصحاب المهن الحرة، وكانت نسبة اليهود في هذا المجال تقدر بضعفي النسبة السائدة لدى السكان المصريين غير المشتغلين بالزراعة.

كما كان مجال الصناعة يشغل المرتبة الثانية من ناحية الحجم، حيث جذبت بمفردها نحو ٢١% من التعداد الكلي للموظفين اليهود. وأسهم يهود مصر في تطوير صناعة الغزل والنسيج، ومصانع السكر، وفي تشييد خطوط السكك الحديدية. غير أن المدة الواقعة بين أعوام ١٩٣٧-١٩٤٧، شهدت انخفاضاً ملحوظاً في عدد اليهود المشتغلين في هذا المجال بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية والأحداث السياسية على الساحة العربية وما لها من تأثير على المشاريع الاقتصادية، ولكن في المقابل فقد شهدت المدة ذاتها زيادة ملحوظة في عدد اليهود المشتغلين في مجال الخدمات الاجتماعية التي تشمل المهن الأكاديمية والمهن الحرة، غير أن نصيب اليهود في مجال إدارة الخدمات العامة كان محدوداً للغاية، كما اشغلت نسب ضئيلة من اليهود في مجال النقل والبناء. (٤)

(١) أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ص ١٩٩

(٢) حاسون، تاريخ يهود النيل، ص ٨٢.

(3) ENCYCLOPAEDIA JUDAICA, SECOND EDITION, VOLUME 06, (Dr-Feu) P P. 233

(٤) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٧٤

كان أهم ما يميز تاريخ يهود مصر في تلك المرحلة، أن أعداداً ضخمة منهم اشتغلت في مجال الشركات المالية والبنوك وإدارتها، مثل: البنك الإنكليزي المصري (المعروف حالياً باسم البنك الأهلي المصري)، والبنك المصري للقروض، والبنك الزراعي. وظهرت خلال هذه المدة فئات من الرأسماليين اليهود، كان من أبرزهم عائلات قطاوي، ودي منشه وهاده، وموصيري، وهراري، وورلو، وسوارس، وشيكوريل ومندلbaum وهوروفيتس.^(١)

ولكن المنظومة المصرية الاقتصادية أخذت في التغير، مع نهاية عقد الثلاثينيات من القرن العشرين، أي حين إلغاء سياسة الامتيازات، وحتى نهاية عقد الأربعينيات، أي مع إقرار أسس جديدة لإدارة اقتصاد الدولة، تلك الأسس التي باشر المصريون فيها مهام متزايدة في الاقتصاد. في الوقت ذاته حدث تحول في النشاط الاقتصادي للبرجوازية المصرية الناشئة، فأخذت تتطلع لوراثة النشاط الاقتصادي الأجنبي المتمركز في ميدان المال والصناعة والتجارة، وتكافح من أجل إنشاء بنك وطني ينافس البنوك الأجنبية، كما ظهرت دلائل اهتمامها بالميدان الصناعي.^(٢)

وبينما لم يتسبب إلغاء سياسة الامتيازات في عام ١٩٣٧ الإضرار باليهود، إلا أن القانون الصادر عام ١٩٤٧، بشأن تسوية وضع الشركات المصرية، أضر كثيراً بيهود مصر؛ إذ نص القانون على أنه من الضروري أن يكون ٤٠% من أعضاء إدارة أي شركة تجارية أو مالية، من حاملي الجنسية المصرية، وقد تسبب هذا القانون بالطبع في فصل أعداد كبيرة من اليهود من العمل في هذه الشركات؛ خاصة أن أعداداً بسيطة من يهود مصر كانت من رعايا مصر. وقد صدر هذا القانون في مصر خلال الفترة التي تزايدت فيها قوة الاتجاهات المعادية لليهود؛ نتيجة قيام الكيان الصهيوني في فلسطين، وكان صدور هذا القانون يمثل بداية نهاية الوجود اليهودي في مصر.^(٣)

٢ - الفروق الطبقية بين أبناء الطائفة اليهودية في مصر:

بدأت تتشكل الفروق الطبقية بين أبناء الطائفة اليهودية في مصر؛ بسبب بروز عائلات لكبار الرأسماليين اليهود، من أصحاب البنوك والأعمال التجارية الكبرى وملاك الأراضي، التي تبوأَت خلال فترة الانتداب البريطاني مكانة اقتصادية تفوق حجمها الحقيقي، وتشير بعض الإحصائيات عام ١٩٤٣، إلى أن اليهود احتلوا ١٥.٤% من المناصب الرئيسية، و١٦% من المناصب الإدارية في مجالس إدارة الشركات، وانخفضت هذه النسبة إلى ١٢.٧% بين عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨.^(٤)

(١) رمضان، الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر، ص ٢٣.

(٢) اتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ص ١٩٩.

(٣) حاسون، تاريخ يهود النيل، ص ٢١١.

(٤) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر، من مركز يافا، ص ١١.

كما قامت هذه العائلات اليهودية بتمثيل المصالح الأوروبية المختلفة داخل مصر، سواء أكانت فرنسية أم بريطانية أم إيطالية، كما قامت بدور الوسيط لرأس المال الأوروبي الباحث عن فرص الاستثمار في مصر، فأدت تلك العائلات دور الجماعة الوظيفية المرتبطة بالاستعمار الغربي. في حين عملت باقي شرائح البرجوازية اليهودية في مصر في مجالات التصدير والاستيراد وتجارة القطن والصيرفة والبورصة، وفي الأعمال الإدارية للمؤسسات الحكومية والخاصة.

لقد كانت البرجوازية اليهودية بكل شرائحها، التي يحمل أغلب أبنائها جنسيات أجنبية، تنتمي إلى البرجوازية الأجنبية اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً، ولم تختلط إلا بأبناء البرجوازية العليا المصرية. في المقابل كان فقراء اليهود من باعة جوالين وصناع حرفيين وعمال في محلات تجارية في الأغلب من اليهود المصريين -بالمولد والجنسية- الذين كانوا الأكثر ارتباطاً بالمجتمع المصري، حيث سكنوا الأحياء الشعبية، وتحدثوا العربية، وسموا أبناءهم بأسماء عربية، وأقاموا علاقات طيبة مع جيرانهم المصريين^(١).

كانت الطائفة اليهودية في مصر تتميز عن غيرها من الطوائف اليهودية في البلدان الإسلامية، بأنها كانت الأكثر ثراءً، ولكن وُجد في داخلها العديد من الفروق الاجتماعية، وقد أدت هذه الفروق الاقتصادية إلى خلق حالة من الانفصال بين فقراء الطائفة الذين عاشوا في الحارة، والأثرياء الذين عاشوا في الأحياء الراقية في كل من القاهرة والإسكندرية ولم تقتصر على ذلك فحسب، وإنما تزايدت نتيجة لبعض الخلافات الطائفية بين اليهود السفارديم واليهود الأشكنازيم. كما كان هناك العديد من الخلافات والتناقضات السياسية التي حدثت نتيجة الانتماءات الثقافية والسياسية. وعلى الرغم من أن الطائفة كانت تبدو للخارجين عنها في صورة الطائفة الموحدة، لكن على الصعيد الداخلي كان يوجد العديد من الخلافات بين العائلات الثرية التي توارثت مهمة إدارة الطائفة، والجيل الصغير الذي كان ينتمي إلى الطبقة المتوسطة^(٢) حتى النساء اليهوديات شاركن في العمل. فحسب الإحصاء السكاني الذي أجري في عام ١٩٣٧، أوضح أنه كان لـ ٩% من النساء اليهوديات اللاتي جاوزن الخمسة عشرة عاماً بعض الأنشطة الاقتصادية، ويبين الإحصاء ذاته أن ٣٣.٨% منهن كن يشتغلن بالتجارة، وأن ٢٨.٩% اشتغلن بالصناعة وأعمال البناء، وأن نحو ١٧% اشتغلن في مجال الخدمات الإدارية.^(٣)

(١) أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٢٠٠

(٢) حاسون، تاريخ يهود النيل، ص ٨٥

(٣) أتينجر، يهود البلدان الإسلامية، ص ١٩٩

ثانياً- الهيمنة اليهودية على المجال الزراعي في مصر:

أثر كبار الرأسماليين اليهود في مجال التوسع الزراعي، بإنشاء العديد من شركات استصلاح الأراضي التي تقوم على امتلاك الأراضي واستغلالها والمضاربة فيها، وتحويل الأراضي للمشروعات العقارية والصناعية من دون الأخذ بالحسبان المصلحة الأساسية للأرض الزراعية، والمزارعين البسطاء.

١- الشركات التي أسهمت بالاستغلال الزراعي:

أ- شركة أراضي الشيخ فضل العقارية في القاهرة: كانت تستغل مساحة من الأراضي تبلغ ٨٨٠٥ فدادين^(١) وكان مجلس إدارتها مكوناً من يوسف قطاوي رئيساً وأصلان قطاوي وروبير رولو وليون سوارس وهنري فيكتور موصيري أعضاء، وأبرامينو أشير مديراً عاماً.

ب- شركة الاتحاد العقاري المصري: وكان عضو مجلس إدارتها أصلان قطاوي، ومن أعضاء المجلس إميل نسيم عدس وشارل شالوم.

ت- شركة البحيرة المساهمة: تأسست عام ١٨٨٦، وكانت تملك عام ١٨٩٤ مساحة من الأراضي الزراعية تبلغ ١٢١,٦٨٢ فداناً، ثم اشترت أراضي أخرى في معظم المناطق المصرية، حيث بلغت مساحة ما تملكه ١٥٠,٠٠٠ فدان، ويشارك في عضوية مجلس إدارتها أشيل عاداه وجوزيف عاداه.^(٢)

ث- الشركة العربية العقارية في الشرقية: ومن بين أعضاء مجلس إدارتها جوزيف عاداه، هنري موصيري، جويد وليفي.

ج- الشركة العربية العقارية في الغربية: وكان من أعضاء مجلس إدارتها يوسف عاداه، هنري فيكتور موصيري، جويدو ليفي.^(٣)

ح- شركة وادي كوم أمبو المساهمة: التي تأسست في ٢٤ آذار ١٩٠٤ بامتياز مدته ٩٩ عاماً، ورأسمال ٣٠٠.٠٠٠ جنيه إسترليني وكان كبار المساهمين فيها السير أرنست كاسل، والسير ألوين بالمر وعائلات سوارس وشركاهم وفيليكس سوارس ورافائيل سوارس ويوسف أصلان قطاوي بك، وامتلكت هذه الشركة ٣٠ ألف فدان في كوم أمبو، وقد شقت ٩١ كم من سكك الحديد، وكان يتولى رئاسة إدارتها روبر رولو، ويشارك في عضوية المجلس ليون سوارس، وهنري فيكتور موصيري، ورالف هراري، ويتولى رينيه قطاوي مهمة مديرها العام.^(٤)

(١) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٩٣

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٧٥

(٣) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٩٣

(٤) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٥١

خ- الشركة المساهمة للمحاريث والهندسة: ومن أعضاء مجلس إدارتها أصلان قطاوي، وموريس كورييل، وفيليكس موصيري، وهنري موصيري^(١).

٢- الشركات التي عملت على استغلال أراضي البناء:

لم يكتف الرأسماليون اليهود بالسيطرة على الأراضي الزراعية، فانطلقوا إلى ميدان استغلال أراضي البناء، حيث أقاموا وأداروا شركات لتقسيم الأراضي وبيعها، وشراء المباني واستغلالها، وإعادة بيعها. ونذكر منها:

أ- الشركة العقارية لحي محطة مصر: ويرأس مجلس إدارتها إيزاك ليفي، ومن أعضائها جيمي ليفي، وإيزاك يانير.

ب- الشركة العقارية المالية بالقاهرة: كان جويدو موصيري عضو مجلسها المنتدب، وكان أعضاء مجلس إدارتها جميعهم من اليهود الرأسماليين، وهم: سالمون نحيماس، وأصلان قطاوي، وهمبرت موصيري^(٢).

ت- الشركة المساهمة المصرية المالية والعقارية في الإسكندرية: تأسست عام ١٩٣٤، وكان جميع أعضاء مجلس إدارتها من اليهود، وهم: موريس كورييل رئيساً، ماكس أجيون نائباً للرئيس، وفيتا إبراهيم فرحات، ورالف هراري أعضاء.

ث- شركة أراضي الدقهلية: وكان رئيس مجلس إدارتها ومديرها الفني موريس جريوعة، ونائب الرئيس رينيه أسمالوم، ومن أعضاء مجلس إدارتها إسحق مزراحي^(٣).

ج- الشركة المصرية للأراضي والمباني في القاهرة: ومن أعضاء مجلس إدارتها: إيلي عدس، وأمیل عدس، وجاستون عدس، وكليمان عدس. وجميعهم من اليهود.

ح- الشركة المصرية الجديدة ليمتد: ومن أعضاء مجلس إدارتها روبير رولو^(٤).

خ- الشركة الزراعية بمصر: ومن أعضاء مجلس إدارتها أصلان قطاوي وإميل عدس.

د- شركة العقارات الشرقية المساهمة: كان رئيس مجلس إدارتها فيكتور عاداه، والعضو المنتدب يوسف عاداه وعضو مجلس الإدارة فرنان عاداه^(١).

(١) شاحاك، التاريخ اليهودي، ص ٢٠٢

(٢) أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٢٠١

(٣) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٥١

(٤) شاحاك، التاريخ اليهودي، ص ٢٠٢

ذ- شركة الأشغال والمباني المصرية بالإسكندرية: من أعضاء مجلس إدارتها؛ فيكتور عاداه وجوزيف عاداه.

ر- الشركة العقارية العمومية بمصر: ومن أعضاء مجلس إدارتها روبير رولو، وموريس نسيم موصيري، ورالف هراري وإميل نسيم عدس^(٢).

ز- شركة المباحث والأعمال المصرية: ومن أعضاء مجلس إدارتها جوزيف عاداه وجويدو ليفي.

س- شركة مشروعات الأراضي والبناء: ومن أعضاء مجلس إدارتها جوستاف اجيون وارمون موستاكي.

ش- شركة المباني المصرية المساهمة (إيجيكو): ويعد المهندس صموئيل كورييل من أعضاء مجلس إدارتها.

ص- شركة المقاولات الأهلية المصرية: ومن أعضاء مجلس إدارتها روبير رولو^(٣).

ض- الشركة العقارية لتجفيف المستنقعات: أسستها عائلة سموحة في الإسكندرية بزعامة عميدهم يوسف الذي أنشأ حياً باسمه.

ومما لاشك فيه أن هذه الشركات مارست نشاطاً ضخماً وفاعلاً لا ينتقص منه شكاوى فلاحين وعمال مصريين إزاء ظلم بعض هؤلاء المستثمرين اليهود، والذين استفادوا من هذا النشاط إلى أقصى درجة، إلا أنهم قدموا التجربة الناجحة والنموذج العلمي بمقاييس ذلك الوقت.

٣- سيطرة اليهود على الصناعات الزراعية :

تُعد تجارة القطن من الأعمال التجارية الرائجة التي مارسها يهود مصر بدءاً من زراعته وعمليات حله وكبسه واستخراج الزيوت إلى تسويقه عالمياً، من خلال نفوذهم في البورصة وشركات التصدير. وإلى جانب تجارة وتصدير الأقطان نشطوا أيضاً في مجالات تصنيعه وتحويله إلى منسوجات وملابس جاهزة، فأسسوا عدداً من الشركات والمعارض والمحال الضخمة التي أحكمت قبضتها على تلك التجارة، منها شركة محلات شملا الكبرى لتجارة الملابس، وشركة المحلات الصناعية للحريز والقطن التي أسستها أسرة منشه، وشركة النسيج والحيافة المصرية التي أسستها كل من عائلة قطاوي وموصيري وعدس^(٤).

(١) اتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٢٠١

(٢) رمضان، الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر، ص ٢٤

(٣) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٥٣

(٤) رمضان، الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر، ص ٢٤

وشركة محلات الملكة الصغيرة التي تأسست في القاهرة عام ١٩٢٩ برئاسة عائلة كوهين ومزراحي وكانت لها فروع في الإسكندرية وبور سعيد، وشركة محلات شيكوريل التي أسستها عائلة شيكوريل سنة ١٨٨٧ وبلغ رأسمالها عام ١٩٤٩، (٥٠٠) ألف جنيه مصري.^(١)

تبين مما سبق أن نسبة كبيرة من تجارة الأقمشة كانت بأيدي اليهود، وإن علمنا أن تجارة القطن ومنتجاته كانت تشكل نحو ٨٨% من تجارة مصر الخارجية حتى عام ١٩٥٢^(٢)، فهذا يوضح مدى تحكم يهود مصر في عصب الكيان المالي والاقتصادي المصري. ومن أهم الشركات التي أسهمت في السيطرة على صناعة القطن والنسيج.

أ- شركة صناعة نسيج الألياف: كان من أعضاء مجلس إدارتها روبير. ج. رولو.

ب- الشركة الصناعية لخياط الغزل والمنسوجات: وكان جاك أصلان ليفي رئيس مجلس إدارتها، وفكتور أصلان ليفي العضو المنتدب.^(٣)

ت- شركة كابا المساهمة المصرية: ومن أعضاء مجلس إدارتها جوزيف عاداه.

ث- مصانع نسيج القاهرة: ومن أعضاء مجلس إدارتها فيلوس ليفي.

ج- شركة المنسوجات المصرية "ماتكسا": ويقدر رأسمالها بـ ١٥ ألف جنيه، وكان ماكس رولو وكيل مجلس إدارتها ومن أعضائها أرمان موستاكي، إيلي باتينو، جوستاف أجيون.

ح- شركة صباغي البيض: وكان جوزيف سموحه من أعضاء مجلس إدارتها^(٤).

خ- شركة النسيج والحياكة المصرية: وكان عضو مجلس إدارتها رالف هراري ويضم المجلس أصلان قطاوي، وموريس نسيم موصيري، وسيمون رولو، وكليمان عدس، وإميل نسيم عدس، وجاستون نسيم عدس كأعضاء فيه، وكان إبراهيم ساسون مديرها العام.

د- شركة الملابس والمهمات المصرية: كان من أعضائها موريس ليبوفيتش.

ذ- شركة أقطان بنتو: من أعضائها جوستاف موربورجو.

ر- الشركة الإنكليزية كونتنتال للأقطان: وكان من أعضاء مجلس إدارتها موريس ساسون^(٥).

(١) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٩٧

(٢) أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٢٠٢

(٣) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٥٤

(٤) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٩٧

(٥) شاحك، التاريخ اليهودي، ص ٢٠٤

كما أسهم الرأسماليون اليهود في السيطرة على الصناعات الزراعية الحيوية ومن أهمها صناعة السكر وتكريره وغيرها من الصناعات الغذائية، فأقاموا لهذه الصناعات عدة شركات، منها:

أ- شركة أسواق الخضر المركزية المصرية المساهمة: وكان يرأس مجلس إدارتها يوسف قطاوي وخلفه رينيه قطاوي عام ١٩٤٣، ويضم المجلس أصلاً قطاوي وجويدو موصيري وشارل عاداه، وتولى أبرمينيو أشير إدارتها.^(١)

ب- شركة صناعة الطحين بالإسكندرية: وكان عضواً مجلس إدارتها المنتدبان جيمس كوهين وادوارد كوهين.

ت- شركة مطاحن المحمودية: ويرأس مجلس إدارتها دافيد ساكس.

ث- الشركة المصرية للمطاحن وتخزين الغلال: وكان ماكس أجيون رئيساً لمجلس إدارتها، ومن أعضائها فيتا فرحات، وفيكتور حنان، وايفون احيون^(٢).

ج- شركة الملح والصودا المصرية (ليمتد): وكان أصلاً قطاوي من أعضاء مجلس إدارتها.

ح- شركة الملح المتحدة (ليمتد): كان أصلاً قطاوي عضواً بمجلس إدارتها.

خ- شركة مضارب الأرز بالرشيد والإسكندرية: وكان من أعضاء مجلس إدارتها سلفاتور سلامة ورفائيل نحمان^(٣).

(١) أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٢٠٥

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٥٧

(٣) شاحك، التاريخ اليهودي، ص ٢٠٤

ثالثاً - مساهمة الشركات اليهودية المصرية في الصناعات الخفيفة والاستهلاكية:

في مجال الصناعات الخفيفة أسهم اليهود في إنشاء عدد من الشركات، كما سيطروا على غيرها، ومن هذه الشركات:

- ١- الشركة المساهمة لصناعة السيوف: كان مديرها المنتدب إيلي فرج شماع.
- ٢- شركة الطوب الأبيض الرملي: ويعد ج.ج.كاكو دي كومب من أعضاء مجلس إدارتها.
- ٣- شركة كاريير إيجبت: وكان سلفاتور شيكوريل نائباً لرئيس مجلس إدارتها.
- ٤- شركة مصر للمواسير والأعمدة والمصنوعات من الأسمنت المسلح: وتولى موريس نسيم موصيري رئاسة مجلس الإدارة، الذي اشترك فيه فيتا إبراهيم فرحات ورالف هراري وفكتور حنان.^(١)
- ٥- شركة التبريدات المصرية: ويعد أصلان قطاوي من أعضاء مجلس إدارتها.
- ٦- الشركة المصرية للإضاءة بأشعة النيون: وكان شارل عاداه رئيس مجلس إدارتها، وكل من إيزاك ناكامولي والدكتور أ.ج.ليفي من أعضاء مجلس إدارتها.^(٢)
- ٧- شركة توريد الكهرباء والتلج: وكان ج.ج.جاكو دي كومب نائب رئيس مجلس إدارتها، وكان سمحا أمباخ مديرها العام.
- ٨- شركة نسطور جانا كليس للسجائر: وكان أصلان قطاوي من أعضاء مجلس إدارتها.
- ٩- شركة الشيلان المساهمة المصرية: وكان مارك.س.كوهين من أعضاء مجلس إدارتها.
- ١٠- شركة الصناعات الكيماوية الإمبراطورية: وكان أصلان قطاوي من أعضاء مجلس إدارتها.^(٣)
- ١١- شركة الصناعات المصرية للكيماويات والعقاقير الطبية: وكان جورج موريورجو من أعضائها.
- ١٢- الشركة المصرية لصناعة الخرداوات: وكان جاك دره عضو مجلس إدارتها المنتدب، ويشترك معه في المجلس حاييم دره.
- ١٣- الشركة العمومية للكهرباء والميكانيك: تشكل مجلس إدارتها من يوسف كامبوس رئيساً، وبنغنتو كامبوس عضواً منتدباً، ورفائيل نحمان وافينعام هوروفيتش وأندريه شماع أعضاء.^(٤)

(١) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٩٧

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٥٧

(٣) شاحاك، التاريخ اليهودي، ص ٢٠٤

(٤) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٩٧

- ١٤- شركة مصانع النحاس المصرية: ومن أعضاء مجلس إدارتها سيجموند هيرش، وهنري موصيري، وفليكس نسيم موصيري.
- ١٥- شركة مصر للمستحضرات الطبية: ويعد حاييم دره أحد أعضائها البارزين.
- ١٦- شركة البترول الوطنية: وكان إيلي نسيم عدس عضواً في مجلس إدارتها المنتدب^(١).
- ١٧- الشركة التجارية الاقتصادية: كان ف.ه. كوهين رئيس مجلس إدارتها، وكل من هارون كوهين وإيمانويل مزراحي أعضاء في مجلس إدارتها.
- ١٨- شركة التسليفات التجارية: وكان كل من ألفريد كوهين وأوفاديا سالم أعضاء في مجلس إدارتها.^(٢)
- ١٩- شركة التوريد والتصدير السودانية: وكان ألفريد كوهين رئيس مجلس إدارتها، ومن أعضاء المجلس أوفاديا سالم.
- ٢٠- شركة الشرق الأدنى للمراجعة: وكان زكي مواس من أعضاء مجلس إدارتها.
- ٢١- شركة محل موبيليات بونتر يمولي: وكان هارون كوهين رئيس مجلس إدارتها، وفيكتور كوهين من أعضائه.
- ٢٢- الشركة المساهمة لمخازن الأدوية المصرية: ومن أعضائها أوفاديا سالم جوزيف بانكوفتش.^(٣)
- ٢٣- شركة فنادق مصر الكبرى: ومن أعضاء مجلس إدارتها مورييس نسيم موصيري، وجوستاف أجيون.
- ٢٤- شركة الفنادق المصرية (ليمتد): من أعضائها البارزين فيليكس موصيري.
- ٢٥- شركة المناجم والبحث المصرية: من أعضاء مجلس إدارتها روبير رولو وكليمان عدس^(٤).
- ٢٦- شركة بلتورس للنقل والسياحة: من أعضاء مجلس إدارتها بقرين بركاري، وروبير الفنداري.
- ٢٧- شركة جوزي فيلم: وكان يوسف فيتا موصيري عضو مجلس إدارتها المنتدب، وألبير فيتا موصيري من أعضاء المجلس.

(١) أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٢٠٥

(٢) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٩٧

(٣) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٥٩

(٤) نبيل عبد الحميد، النشاط الاقتصادي للأجانب، وأثره في المجتمع المصري ١٩٢٢-١٩٥٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

القاهرة، ١٩٨٢، ص ١١٣

٢٨- الشركة المالية والصناعية المصرية لإنتاج الأحماض الكيماوية: ومن أعضاء مجلس إدارتها أصلان قطاوي.

٢٩- شركة نادي سباق الخيل بالإسكندرية: وكان من أعضاء مجلس إدارتها إيلي نسيم عدس.^(١) وقد أسهمت كل من الصناعات القائمة على الأسمنت بمشاريع مهمة منها: إنارة ميناء الإسكندرية، وتوريد المواسير الضخمة لقناطر محمد علي، وإقامة أعمدة الأسلاك التليفونية من الأسمنت المسلح، وإنشاء طريق خرساني لمجاري مدينة الإسكندرية، كذلك كان لها إسهامها في حل أزمة المساكن إثر الزيادة المطردة في عدد سكان المدن.

رابعاً- دور يهود مصر في النقل البري والبحري:

في ميدان النقل البري والبحري، سيطر الرأسماليون اليهود على إدارة وتوجيه، العديد من الشركات، ومنها:

- ١- شركة الإمينيوس العمومية المصرية: كان من أعضاء إدارتها روبيير رولو.
- ٢- شركة سكة حديد الفيوم: كان من أبرز أعضاء مجلس إدارتها جويدو موصيري وهنري فيكتور موصيري.^(٢)
- ٣- شركة ترام الإسكندرية: من أعضاء مجلس إدارتها موريس نسيم موصيري.
- ٤- شركة سكك حديد الرمل (ليمتد): كان موريس موصيري من أعضاء مجلس إدارتها.
- ٥- شركة سكك حديد قنا- أسوان المساهمة: من أعضاء مجلس إدارتها رينيه عاداه.
- ٦- الشركة المصرية للنقل بالسيارات: وكان ج ج جاكو دي كومب نائباً لرئيس مجلس إدارتها^(٣).
- ٧- شركة بواخر البوسنة الخديوية: ويعد أصلان قطاوي وروبيير رولو من أعضاء مجلس إدارتها.
- ٨- شركة لافوفيال: وكان أرمان نحمان من أعضاء مجلس إدارتها.
- ٩- شركة الملاحة بالمنزلة: وكان جويدو ليفي عضو مجلس إدارتها المنتدب^(٤).

(١) أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٢٠٥

(٢) عبد الحميد، النشاط الاقتصادي للأجانب في مصر، ص ١٢٢

(٣) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٩٨

(٤) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٥٦

ويبدو مما سبق مدى تغلغل سيطرة الرأسمالية اليهودية على ميدان المال والاقتصاد في مصر.

خامساً- نشاط يهود مصر في تأسيس البنوك والشركات المالية:

سعى اليهود المصريون إلى تحسين أوضاعهم الاجتماعية، وقد ساعدهم على ذلك الاتجاه السائد في النصف الأول من القرن العشرين الذي لم يفرق بين المصريين على أساس ديني؛ بل إن اليهود تفوقوا حيث كان كثير منهم كما ذكر سابقاً يحملون جنسيات أجنبية غير مصرية، ساعدتهم في ظل الامتيازات الأجنبية التي حملها الاحتلال البريطاني لمصر، وظلت لها اليد العليا حتى عام ١٩٣٧، والتي بدأت تخف وطأتها بعد مؤتمر مونترال^(١). (والذي سيتم شرحه بالتفصيل فيما بعد من هذا الفصل) وأيضاً كانت هناك ظروف موضوعية ساعدت اليهود، منها ارتفاع نسبة التعليم العام وخاصة الأجنبي والفني بينهم، وصلتهم بالعديد من البلدان الخارجية، بحكم حمل جنسياتها، أو لأنها بلاد المنشأ، وإتقان العديد منهم للتعاملات المالية؛ نتيجة أعمالهم في الصرافة والجمارك، ثم في البنوك؛ خاصة على ضوء تجاهل العديد من المصريين العمل في البنوك؛ التزاماً بالتقاليد الإسلامية التي تحرم الربا؛ فضلاً عن ما فرضته طبيعة التعاملات الدولية، وخاصة في مجال تجارة القطن، من إقامة نظام بنكي محلي مرتبط بالبنوك الأجنبية، التي وجدت في مصر فرصة سانحة لتحقيق المكاسب، فقد استفاد استفادة ضخمة من هذا التطور، فانضم كبار أثريائهم إلى مجالس إدارات البنوك، أو قاموا بإنشاء بنوك خاصة بهم وبعض الشركات المالية. كان أهمها:

١- البنك العقاري المصري: أسسه ثلاثة من كبار البيوتات الرأسمالية اليهودية التي استطاعت عن طريق ممارسة النشاط الربوي لفترة طويلة أن تحصل على ثروات ضخمة، وهي عائلات سوارس ورولو وقطاوي، بحيث اتفقت مع ثلاثة من كبرى البنوك الفرنسية في فرنسا، وهي بنك (الكريدي ليونيه والسوسيتيه جنرال والكونتور ناسيونال ديسكونت) على تأسيس البنك بمصر عام ١٨٨٠، برأسمال قدره ٤٠ مليوناً من الفرنكات، زادت بعد ذلك إلى مائتي مليون^(٢).

وكانت القروض التي قدمها للملاك الزراعيين المصريين من تاريخ إنشائه في ١ كانون الثاني ١٨٨٠ حتى آخر تشرين الأول ١٩١٠ تبلغ ١٤٦٥٣ قرصاً، قيمتها ٥٢,٥ مليون جنيه، وبلغت أرباحه ١,٦٥٥,٣٣١ جنيهاً، وفي سنة ١٩٤٢ بلغ رأس مال البنك ٧,٧١٥,٠٠٠ جنيهاً، وكان روبير رولو من

(١) عبد الحميد، النشاط الاقتصادي للأجانب في مصر، ص ١٢٤

(٢) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٧١

أهم الأشخاص الذين يقودون سياسته المالية. ^(١) وقد أدى هذا البنك دوراً ملحوظاً في الاقتصاد المصري منذ إنشائه.

٢- البنك الأهلي المصري: الذي تولى إصدار الأوراق المالية النقدية، بمقتضى الامتياز الممنوح له في ٢٥ حزيران ١٨٩٨، وقد كان يشترك في مجلس إدارته (فيكتور هراري وروبير رولو).

٣- البنك البلجيكي والدولي بمصر: من أعضاء مجلس إدارته (أميل نسيم عدس وروبير رولو).

٤- البنك التجاري المصري : من أعضاء مجلس إدارته جاك سوارس.

٥- بنك موصيري: أسسته أسرة موصيري وأسرة كورييل عام ١٨٨٠ كشركة تضامن، ثم تحول في عام ١٩٤٢ إلى شركة مساهمة مصرية، ومع هذا يكاد يكون مملوكاً ملكية كاملة لعائلي كورييل وموصيري، وتولى رئاسته إيلي كورييل، ومن أعضاء مجلس الإدارة نسيم وفليكس موصيري وفيتا أبراهام فرحات ^(٢).

٦- بنك سوارس: تأسس عام ١٩٣٦ حيث تولى جاك نجار رئاسة مجلس إدارته، واشترك معه كارلو سوارس وفريدي ساكس ويوسف قطاوي ^(٣).

٧- بنك زلخة: الذي تأسس عام ١٩٤٤، وأسس مجلس إدارته عبد الله خضوري زلخة عراقي الأصل، ومارس نشاطه في الأعمال المصرفية، وبعض المشروعات الصناعية والتجارة وخاصة تجارة القطن.

٨- الشركة المصرية لتوظيف الأموال والتسليف: التي يضم مجلس إدارتها يزاك إيمانويل ناكاملولي رئيساً، وألبير ناكاملولي عضواً منتدباً.

٩- شركة الشرق الأدنى المالية: تأسست عام ١٩٣٧ برأسمال قدره ٥٠ ألف جنيه، ويضم مجلس إدارتها جاك يانكوفتش وسمحا أمباخ.

١٠- الشركة المصرية المالية: وكان كل أعضاء مجلس إدارتها من اليهود، وهم كليمان عدس، وسيمون رولو، وهنري فيكتور موصيري، وموريس نسيم موصيري، وراف هراري، وأصلان قطاوي. ^(٤)

(١) عبد الرسول، البنوك التجارية في مصر، ٦٤

(٢) نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ٢٣

(٣) عبد الرسول، البنوك التجارية في مصر، ٦٤

(٤) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٤٦

١١- شركة الإسكندرية للتأمين: كان من أعضاء مجلس إدارتها روبير رولو، وإميل عدس، وجوستاف أجيون، وأدوين حبار، وألبير مزراحي.

١٢- شركة الإسكندرية للتأمين على الحياة: بلغ رأسمالها ٧٥ ألف جنيه، وكان يشترك في مجلس إدارتها روبير رولو، وأدوين جعار^(١).

١٣- شركة التأمين الأهلية المصرية: بفرعيها الحريق والحوادث والتأمين على الحياة، وكان رأسمال الفرع الأول ١٩٥ ألف جنيه، وحقق ربحاً قدره ١٤٧٢٩ جنيهاً، بينما كان رأس مال الفرع الثاني مائة ألف جنيه، وكان من أعضاء مجلس الإدارة روبير رولو، وأصلان قطاوي، وموريس نسيم موصيري.^(٢)

وقد أدى النشاط المصرفي خلال تلك الفترة إلى حدوث الأزمة المالية الحادة في مصر عام ١٩٠٧؛ نتيجة قيام هذه البنوك بتمويل المضاربات في الأراضي الزراعية، وأراضي البناء. وقد أسفرت هذه الأزمة عن نزع ملكية الأراضي لكثير من المزارعين المصريين، حيث تمكن "البنك العقاري المصري" وحده خلال الفترة من ١٩١١-١٩١٧ من نزع ملكية ١٥٧٠٠ فدان وفاء لديون قدرها ١.١٠٠.٠٠٠ جنيه مصري؛ مما اضطر الحكومة إلى التدخل بإصدار القانون رقم ٣١ لسنة ١٩١٢ الذي يقضي بعدم جواز الحجز على الملاك الذين يحوزون خمسة أفدنة حماية لصغار الملاك من الفلاحين من نشاط المرابين الأجانب واليهود^(٣).

مما تقدم يتضح أن اليهود في مصر أدوا دوراً مهماً في تأسيس البنوك والمصارف. وهذا دليل على أنهم تمتعوا بحرية الحركة والاقتصاد، وهم وإن شكلوا جزءاً ضئيلاً من السكان في مصر، لكن كان لهم حرية إقامة البنوك والشركات والتأمين والشراء والبيع.... وذلك بالطبع بسبب الرعاية البريطانية التي منحت لهم.

سادساً- نشاط يهود مصر في التجارة الداخلية والخارجية:

سيطر اليهود منذ فترة مبكرة على جزء كبير من التجارة الداخلية والخارجية في مصر، وقد عملت البرجوازية اليهودية الناشئة، ويتضح مدى سيطرة اليهود على ميدان التجارة، إذا علمنا أنهم كانوا يسيطرون على اتحاد منتجي الإسكندرية العام، المعروف باسم شركة المحاصيل العمومية بالإسكندرية، كما أنهم تولوا رئاسة الشركة المالية للبورصة الخديوية بالقاهرة، (بورصة التثمين) ولكون أغلبية العاملين

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٧

(٢) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٤٤

(٣) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٤٦

في البورصة، كانوا من اليهود، كانت البورصة تغلق أبوابها في الأعياد اليهودية، كما كانت البنوك تخفض نشاطها إلى الحد الأدنى^(١).

وفي ميدان التجارة الداخلية، كان اليهود تجاراً للجملة في حي الحمزاوي، كما كان بينهم تجار للتجزئة، امتلكوا المحال الكبرى في الأحياء التجارية بالمدن المصرية الكبرى، وانحصرت تجارتهم بصفة رئيسة في الأقمشة والمنسوجات -كما ذكرنا- التي كانت من أهم موارد الاقتصاد المصري، كما وجد منهم بعض المشتغلين بالحيكة ولف السجائر والبقالة والدخان والسكر واللحوم الخاصة بطائفتهم. كما سيطر اليهود على تجارة الذهب، وتوارثوا حرفة الصياغة، وجاء وقت كانت تدرّ فيه هذه الحرفة على أربابها الأرباح الموفورة، لذا أقبل اليهود على صناعة الذهب وتجارته، حتى أنه كان من النادر أن ترى يهودياً قرائياً قد احترف غير هذه الحرفة، وأن حي الصاغة كان يغص بمحلات الجواهرجية المتجاورة. والأغلبية كان من اليهود القرائين؛ فضلاً عن أنهم انتشروا في الأحياء المختلفة، مدفوعين بعاملين: وفرة الربح، وتوارث الحرفة^(٢).

كما استطاعوا بمهارتهم وخبرتهم في مجال التجارة، أن يحلوا محل البيوت المصرية التجارية الكبرى التي كانت تعمل على أوسع نطاق قبل مطلع القرن العشرين، مثل: عائلات الماوردي والجمال وعبد الخالق مذكور، فعن طريق اتفاق السماسرة اليهود مع المصانع الأوروبية، وأخذ الوساطة بين المورد الأجنبي والمستورد المصري، أخذت البيوت المصرية تتراجع ليحل محلها العائلات اليهودية، التي أخذت تسيطر على تجارة الصادر والوارد^(٣).

كما أقامت العديد من عائلات السفارديم مشروعات تجارية بالتعاون مع شركاء أوروبيين، وذلك في ظل الحكم البريطاني الاستعماري لمصر بين عامي ١٨٨٢ و ١٩٢٢، وفي العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين قاموا بتوسيع شبكة علاقاتهم ليشكلوا علاقات شراكة مع المصريين المسلمين. فأصبحت هذه التحالفات مؤسسات بارزة في القطاع الاقتصادي الرأسمالي الحديث خلال النصف الأول من القرن العشرين، وربطت طبقة الصفوة التجارية اليهودية بمصر ومستقبلها^(٤).

وبهذا وضع اليهود التجارة محط اهتمامهم في مصر، وامتلكوا المحلات الكبرى، مثل: محلات شيكوريل وعدس وبنزايون وبونتريمولي وصيدناوي وشملا وعمر أفندي وجاتينيرو وهانو وغيرها؛ فضلاً عن الكثير من محلات الجملة والتجزئة، وبلغ عدد اليهود الذين يعملون بتلك المهنة ١٣,٠٤٢ % حسب تعداد

(١) عبد الرسول، البنوك التجارية في مصر، ص ٦٦

(٢) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٧

(٣) نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ٢٦

(٤) عبد الرسول، البنوك التجارية في مصر، ص ١٨

سنة ١٩٤٧. أما فيما يتعلق بالأعمال والخدمات الشخصية، فقد مارسها عدد غير قليل من يهود مصر، حيث بلغ عددهم ٢٢,٠٠٩ أشخاص، مثل الهندسة والطب والمحاماة والصحافة ومكاتب الخدمات، وكل ما يتبع هذه الأعمال. وفي ميدان السياحة أسهم اليهود في إنشاء الفنادق والكازينوهات ودور السينما والملاهي، كما دخل كثيرون منهم مجالات تصدير العاديات والتحف والهدايا واستيرادها^(١).

ومن خلال ما تقدم يتبين الدور الاقتصادي المهم الذي أداه اليهود بمصر سواء في التجارة الداخلية أو الخارجية.

أما فيما يتعلق بيهود الإسكندرية، فقد كان لهم نشاط اقتصادي كبير كإخوتهم في القاهرة، حيث مارسوا مجموعة من المهن والأعمال التي يأتي في مقدمتها أعمال الخدمات الشخصية، وأهمها أعمال البنوك وشؤون المال، ومهن الطب والمحاماة والهندسة والفندقة وأعمال الترفيه، وكل ما يتصل أو يتبع هذه الأعمال. وقد بلغ عددهم فيها ٧٣٩٤ نسمة، يلي ذلك أعمال التجارة والتوزيع وجملتها فيها ٤٢٢٦^(٢).

وجاء في إحصاء سنة ١٩٤٧ أنه كان لليهود بالإسكندرية أعمال غير منتجة وصناعات غير واضحة، بلغ عددهم فيها ٤٠١٧، أما في القاهرة فبلغ عددهم فيها ١٢,٩٢١%؛ فضلاً عن عملهم بالإدارات العامة والخدمات الاجتماعية والنقل والمواصلات وغير ذلك من الأعمال، بأعداد أقل وذلك حسب تعداد سنة ١٩٤٧.^(٣) وقد قام اليهود المصريون بمغامرة محسوبة، حيث دأبت الشركات والبنوك الأجنبية العاملة في مصر، بتحويل أرباحها وبعض رؤوس أموالها إلى بلادها، عقب انتهاء السنة المالية التي تعقب موسم جمع القطن، واتبع الرعايا الأجانب في مصر المنهج نفسه، حيث فضلوا الاحتفاظ بأموالهم في المدن الأوروبية.

ويظهر تغلغل اليهود في الشركات بشكل كبير، حيث كانوا يسهمون في إدارة ١٠٣ شركات وتوجيهها من مجموع الشركات المصرية البالغ عددها وقتئذ ٣٠٨ شركات، هذا بالطبع إلى جانب نشاطاتهم الاقتصادية الفردية، سواء في ميادين المضاربات المالية والعقارات والمباني أم في مختلف فروع المهن الحرة، كما مارسوا أعمالاً أخرى مثل مجال الصناعات التحويلية، وكان عددهم فيها ٤٠٧١ شخصاً، ومجال الإدارات العامة والخدمات الاجتماعية وعددهم ٢٧٧٩، والنقل والمواصلات ٥٧١ وغير ذلك، وواضح هنا من خلال مؤشرات الأعداد، تركّز عمل اليهود في مهن تعود عليهم بأكبر الأرباح، مثل: التجارة وأعمال الخدمات التي يكثر فيها الاجتهاد وتزايد فرص الربح^(٤).

(١) بنين، مشنات اليهود المصريين، ص ٩٦

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي على مصر، ص ١٧٧

(٣) نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ١٩

(٤) عبد الحميد، النشاط الاقتصادي للاجانب في مصر، ص ١٧٩

ورغم أن كثيراً من اليهود المصريين تمتع بجنسية أجنبية، إلا أنهم حرصوا على استثمار رؤوس أموالهم في مصر؛ مستفيدين من مناخ التسامح الذي يمكّنهم من ممارسة أنشطتهم بكل حرية، وعلى هذا فقد أدوا دوراً في إنتاج رأس المال الوطني، ولكن لصالحهم الشخصي الذي نتج عنه تملك اليهود لأصول العديد من الشركات في المجالات المختلفة، والتي سببت ازدياداً في نسبة السيطرة اليهودية على الاقتصاد المصري، وقد تمكن اليهود في مصر من تحقيق أرباح طائلة؛ نتيجة استغلالهم لظروف الحرب العالمية الثانية، حيث سيطروا على ثلث الشركات المسجلة في مصلحة الشركات، والعاملة في مناحي الاقتصاد المصري كافة، وقد أحسن اليهود استغلال علاقتهم بالسلطة في مصر في اتجاه تدعيم سيطرتهم على الاقتصاد المصري^(١).

سابعاً- قانون تنظيم وتمصير الشركات المساهمة، وأثره في يهود مصر:

يعد قانون تنظيم وتمصير الشركات المساهمة لسنة ١٩٤٧، من أهم القوانين التي أثرت على أوضاع اليهود في مصر، ذلك أن هذا القانون وضع ليوأكب تيارات المد الوطني في تمصير النشاط الأجنبي، لإعطاء الفرصة لنظيره الوطني في النمو والصعود، وما يتبع ذلك من تمصير الوظائف والأعمال المختلفة.

ومن مواده ذات العلاقة بالأجانب المادة -٤- التي جاء فيها: "يجب أن يكون ٤٠% على الأقل من أعضاء مجلس الإدارة لأي شركة مساهمة من المصريين، وإلا بطلت جميع قراراته؛ فضلاً عن الحكم بغرامه لا تزيد عن ألف جنيه.^(٢) وجاء أيضاً في المادة -٥- "يجب ألا يقل عدد المصريين المستخدمين في الشركات المساهمة عن ٧٥% من مجموع المستخدمين، ولا يقل مجموع ما يتقاضونه من أجور ومرتبات عن ٦٥% من مجموع الأجور والمرتبات، وجاء في المادة -٦- "يجب تخصيص ٥١% على الأقل من أسهم الشركة للمصريين."^(٣) والواضح مما جاء في اختصار هذه المواد، أن المقصود منها إعطاء الفرصة للمصريين سواء كان في الإدارة العليا أو المستخدمين، وما يخصهم من أجور ومرتبات، وكذلك إعطاؤهم الفرصة في المشاركة في حصص التأسيس والأسهم.

ولما كان الكثير من النشاطات الاقتصادية تحت سيطرة اليهود، سواء أكانوا أصحاب عمل أم مشرفين عليه، فإنهم بلا شك سيتأثرون بمواد هذا القانون؛ ذلك لأن اليهود إما أنهم يهود أجانب أو يهود

(١) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٤٦

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٤٦

(٣) هيلين أن رغلين، الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر، ت: أحمد عبد الرحيم مصطفى، ومصطفى

الحسيني، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧، ص ١٧٧

مصريون، وعلى الرغم من أن اليهود الأجانب أقل من اليهود المصريين عدداً إلا أنهم الأكثر تحكماً في الكثير من نشاط مصر المالي والاقتصادي. فقد حاول بعضهم التحايل عليه والتهرب من تطبيقه، ولكن باءت كل محاولتهم بالإخفاق، وأدى هذا لتضييق الخناق على نشاطهم وأرباحهم ومكاسبهم الأمر الذي هدد نفوذهم، وبالتالي وجدوا أن مصر لم تعد كما كانت؛ مما جعل بعضهم يفكر بالرحيل، لكن بالنسبة لليهود المصريين لم تكن لديهم أي مشكلة مع تطبيق القانون.

ولكن المشكلة كانت في وجود طائفة ثالثة من اليهود غير محددة الجنسية، وهي مشكلة من صنعهم واختاروا لأنفسهم هذا الوضع؛ حيث إن البرجوازية اليهودية في مصر لم تحرص على اكتساب الجنسية المصرية، إلا بعد البدء في إلغاء الامتيازات الأجنبية (١٩٣٧) حيث كانت نسبة حاملي الجنسية المصرية من اليهود نحو ٥٠% في عام ١٩٢٧، ثم ارتفعت في عام ١٩٣٧ إلى ٦٤% ثم قفزت إلى ٧٧% مع صدور هذا القانون عام ١٩٤٧ المنظم للشركات؛ فضلاً عن قوانين أخرى أصدرت فيما بعد، دفع كل ذلك أعداداً كبيرة من اليهود المقيمين في مصر إلى التجنس بالجنسية المصرية، ورغم أن قانون الجنسية المصرية الصادر عام ١٩٢٩ قد فتح الباب أمام الأجانب لاكتساب الجنسية المصرية، لكن أعداداً قليلة منهم من أقبلت على التجنس، وظلت العائلات الرأسمالية الكبيرة محتفظة بجنسياتها الأجنبية حتى من ولدوا بمصر من أبنائها، فعائلة هراري توزعت بين الرعاية السويسرية والبريطانية، وعائلة موصيري استمرت في الرعاية الإيطالية. وعائلة سوارس كانت من رعايا فرنسا وكاسترو من رعايا اليونان. فبالنسبة إلى تعداد سنة ١٩٤٧، فقد بلغ عدد اليهود الأجانب في مصر ١٤٨٠٨، وهم أقل بكثير من اليهود المصريين، الذين وصل عددهم إلى ٦٥٦٣٩، فتكون نسبة اليهود الأجانب ٢٣% واليهود المصريين ٧٧%، وفي عام ١٩٤٧ جاء قانون الشركات المساهمة مؤثراً على الأجانب في مصر بصفة عامة، واليهود الأجانب بشكل خاص^(١).

ففي عام ١٩٤٧ وُجد شركات تكاد تكون يهودية في هيكلها التوظيفي والإداري، لما يقرب من مائة في المائة في الإدارة ورأس المال والموظفين، ومنها مثلاً الشركة المصرية الجديدة، وشركة ترام الإنكليزية، وشركة سكك حديد قنا وأسوان، وبنك زلخه وغيرهم. وكان قد بدأ اليهود يتقدمون للحصول على الجنسية المصرية؛ خوفاً من خسارتهم لأعمالهم وأموالهم^(٢).

وهنا نرى بعض الأمثلة لشركات ذات أصول يهودية في الإدارة ورأس المال، كيف كان تقبلها للقانون إما من خلال تطبيقه، أو محاولة التحايل عليه وعلى قرارته، أو من خلال التجنس بالجنسية المصرية خوفاً من فقدانهم لنفوذهم الاقتصادي، أما بعض الشركات فقد اختارت تصفية أعمالها والرحيل.

(١) سهام نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية ١٨٩٧-١٩١٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٧٥

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر منذ قيام إسرائيل حتى العودان الثلاثي، ص ٥٦

فبالنسبة لبنك زلخة اليهودي، فإن ما حدث فيه يُعد مثلاً واضحاً للتحايل لتفادي مواد القانون والهروب من تطبيقه، وبالرغم من أن هذا البنك شركة مساهمة مصرية، إلا أنه أجنبي يهودي بدرجة كبيرة في الإدارة ورأس المال، ويعطي هذا البنك صورة واضحة للتحايل بالإبقاء على كل الموظفين اليهود من الأجانب فعدد موظفي البنك مائة موظف منهم سبعون موظفاً يهودياً أجنبياً، والمفروض حسب نسب قانون الشركات لعام ١٩٤٧، أن يكون ٧٥ موظفاً مصرياً و ٢٥ موظفاً أجنبياً، أيًا كانت عقيدته، إلا أنهم جميعاً هنا من اليهود الأجانب^(١)، وقد كشف هذا التلاعب وتحايل الإدارة، بعد أن قدم موظف مصري في البنك شكوى لوزير التجارة والصناعة جاء فيها: (يوجد بنك إسرائيلي يسمى زلخة، يعمل في هذا البنك مائة موظف، ولم يقم البنك بتعيين إلا ١٥ موظفاً مصرياً ضمن هذا العدد، والباقي من اليهود الأجانب، وكان من المفروض أن يكون عدد المصريين ٧٥ والأجانب ٢٥، ومدير البنك هنا يتلاعب بأن أعلن أنه فصل ٧٠ موظفاً أجنبياً، والواقع أنه لم يفصلهم، وكل ما حدث أن هذا المدير اليهودي حول السبعين موظفاً يهودياً أجنبياً إلى قسم واحد، وهو قسم يقوم بأعمال التأمين، وبالطبع إن اليهود المذكورين يمارسون عملهم بشكل طبيعي في البنك، وفي أماكنهم ومواقع عملهم نفسها، والدليل على ذلك توقيعاتهم على الكمبيالات المخصصة لأعمال البنك. وبالطبع شكوى الموظف الشاكي ثابتة، ومؤكدة من خلال تصفح أوراق البنك وملفاته^(٢) .

تطور الوضع بعد ذلك عندما أخذ الموظفون اليهود الأجانب بتقديم طلبات للحصول على الجنسية المصرية، حيث تم الكشف عن ٣٣ موظفاً يهودياً من البنك تقدموا للحصول على الجنسية المصرية. أما عن رأسمال هذا البنك فيكاد يكون ملكاً لرئيس مجلس إدارته، الذي يدعى خضوري عبده زلخه، ويمارس البنك نشاطه المالي والمصرفي؛ فضلاً عن قيامه بتجارة استيراد وتصدير القطن، وكذلك الاشتراك في أي مشروع مالي أو تجاري أو صناعي، وللبنك فروع في الإسكندرية والموسكي علاوة عن مركزه الرئيسي في قصر النيل^(٣) .

وفي مثال آخر عن عائلة موصيري التي فضلت الرحيل على تطبيق القانون أو محاولة التحايل عليه، حيث عين مورييس موصيري مصفياً لشركاته ذات الأصول اليهودية في الإدارة ورأس المال، لتبدأ أعمال التصفية، وكان إقدام عائلة موصيري على التصفية والرحيل، هو ترجمة لواقع لم يعد يلائم هؤلاء اليهود في النشاط والحركة وفرص الربح...

(١) عبد الرحمن فريد، الحراسة على أموال ورعايا الاعداء، دار المعارف، مصر، ١٩٥٧، ص ١٤٤

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر منذ قيام إسرائيل وحتى العدوان الثلاثي، ص ٥٨

(٣) عبد الرسول، البنوك التجارية في مصر، ص ١٥١

وبتفحص مواد قانون الشركات المذكور لسنة ١٩٤٧ ومتابعته، يتبين أن المشروع قام بوضعه وتطبيقه مراعاة لمصالح مصر الاقتصادية، وحفاظاً على حقوق أبنائها من المصريين، خاصة أن عدد سكان مصر قد أخذ في التزايد المطرد؛ إذ وجب على الحكومة تأمين فرص العمل والإنتاج الاقتصادي. ولم يقصد بذلك أبداً وضع العراقيين أمام الأجانب، أياً كانت عقيدتهم. وخير تأكيد على ذلك، هو تقرير الوكالة اليهودية المرفوع عام ١٩٤٧ إلى لجنة التحقيق الأنجلو الأمريكية، والذي يقر أن اليهود حافظوا على مكانتهم في الحياة الاقتصادية حتى بعد صدور قانون الشركات لعام ١٩٤٧.^(١)

إلا أن رد الفعل عند المستثمر الأجنبي من القانون لم يكن مرضياً أبداً، وما يهمننا هنا هو رد فعل اليهود الأجانب الذين عمل بعضهم على التحايل والمماطلة في تطبيق القانون، ومن لم يستطع أن يساير تطبيقه فإنه قد رفضه -على الأقل- نفسياً ومعنوياً لكي لا يعطى للمصريين تلك الفرص المتاحة في القانون. وكان على بعض اليهود من ذوي النفوذ الاقتصادي أن يترجموا أسلوب الرفض بأشكال مختلفة، وأهمها:

إقدام بعضهم على ترك مصر والرحيل منها (كما ذكرنا عائلة موصيري)، فكان خروجهم ضمن من خرجوا بأعداد ليست قليلة وصلت إلى ربع عدد اليهود عام ١٩٤٧ على وجه التقريب. وبالتطبيق ومتابعة هؤلاء المهاجرين أو المستبشرين، فإننا نلاحظ من خلال فحص سجلات الشهر العقاري حركة زائدة في بيع الملكيات ونقلها لأفراد وعائلات يهودية منذ سنة ١٩٤٧ وحتى سنة ١٩٤٨، ولما كانت ظاهرة البيع ونقل الملكيات لم تكن بالضبط بهذا الشكل قبل عام ١٩٤٧،^(٢) فإن السبب في تغييرها يعود غالباً إلى مجمل الظروف التي عاصرتها من (تأثير ظروف الحرب العالمية الثانية وأحداث الصدام بين العرب واليهود في الساحة الفلسطينية وردود فعل الشارع المصري عليها؛ فضلاً عن قانون إلغاء الامتيازات لعام ١٩٣٧، وصدور قانون الشركات لسنة ١٩٤٧) والتي أثرت بمجملها على يهود مصر. ومن أمثلة نقل الملكيات اليهودية، نجد أعمال نقل لبعض ملكيات شركة المقاولات القديمة ليون رولان وشركاه، وبعض ممتلكات البنك العقاري المصري، وشركة أراضي الدلتا والأنفستمنت ليمتد وغيرها.^(٣)

وبذلك يمكن الجزم بأن القانون لم يسن ضد اليهود كأقلية إثنية موجودة في مصر، لاضطلاعها وسيطرتها على أصعدة الحياة الاقتصادية كافة، أو لما كان يعيشه الوضع العربي والإقليمي من تطورات عربية، خاصة على الساحة الفلسطينية، كما ادعت جماعة كبيرة من اليهود الأجانب التي تضررت أوضاعهم المالية بسبب مواد هذا القانون.

(١) فريد، الحراسة على أموال ورعايا الأعداء، ص ٨٢

(٢) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر من مركز يافا، ص ١٢

(٣) أن ريغلين، الاقتصاد والإدارة في مصر، ص ١٣

وهنا لابد من ذكر نقطتين مهمتين وهما، إن عام ١٩٤٦ وهو العام الذي سعت فيه بريطانيا لتدويل القضية الفلسطينية وعام ١٩٤٧ وهو عام تقسيم فلسطين، أي أن إعلان الكيان أصبح وشيك الانجاز. والنقطة الثانية اقتراب الأحداث في مصر من إعلان الثورة مما يفرض أن الشعب أصبح قريباً جداً من الخلاص من النظام الملكي وراعيته وحاميته بريطانيا ولابد لهذان الجانبان من انعكاسات بشكل أو بآخر على واقع اليهود ونشاطاتهم في مصر.

ثامناً - أهم العائلات اليهودية وارتباطها بالنشاط الاقتصادي في مصر:

برزت في مصر أسماء تجار ورجال أجنبية ويهود وضعوا أيديهم على جزء كبير من ثروة مصر حتى أن العديد من العائلات اليهودية أثرت بشكل واضح في المجال الاقتصادي المصري ومن هذه العائلات قطاوي، وشكويريل، وموصيري، ورولو ومنشيه.. وسوف نستعرض بعض الشركات التي أسست هذه العائلات معاً في إنشائها مثل؛ مشاركة عائلة قطاوي لعائلة موصيري في شركاتها المالية، ومع عائلة سوارس في بناء مصانع السكر، ومشاركة عائلة دي منشيه في تجارتها الدولية، وافتتاح مكاتب للتصدير والاستيراد في كل من الإسكندرية وباريس، كما أسسوا العديد من البنوك الأجنبية بالمشاركة مع بعضهم، مثل بنك إيزاك ليون، وأولاد إيلي بعبيس والبنك البلجيكي الدولي وغيرها؛ فضلاً عن العديد من الشركات المالية؛ مثل: الشركة المصرية المالية التي تملكها أسرة عدس وموصيري وقطاوي، والشركة المصرية لتوظيف الأموال، وشركة التأمين الأهلية، وشركة إسكندرية للتأمين، وشركة الشرق الأدنى المالية. وقد مثلت هذه الشركات سيطرة شبه كاملة على النشاط البنكي أو ما يمكن أن نسميه تجارة الأموال، لتصبح في يد يهود مصر.

وسندرس في هذه الفقرة أهم العائلات التي كان لها أثر ونفوذ على الحياة الاقتصادية في مصر...

١ - عائلة قطاوي باشا (١٨٦١-١٩٤٢)

من أبرز العائلات التي ظهرت على الساحة الاقتصادية آنذاك، وهي عائلة مصرية يهودية برز عدد من أفرادها في النشاط السياسي والاقتصادي في مصر في أواخر القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين، وترجع أصولها إلى قرية قطا شمالي القاهرة. بدأ دور العائلة مع نزوح أليشع حيدر قطاوي إلى القاهرة أواخر القرن الثامن عشر، بعدما حصل ابنه يعقوب على امتيازات من الحكومة للقيام بأنشطة تجارية ومالية، وكان أول يهودي مصري يمنح لقب "بك" كما حصل على لقب "بارون"^(١) من الإمبراطورية النمساوية المجرية التي حملت العائلة جنسيتها. وقد تولى في أواخر أيامه رئاسة

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٩٥

الجماعة اليهودية في القاهرة، وبعد وفاته في ١٨٨٣ خلفه ابنه موسى قطاوي رئاسة الطائفة حتى عام ١٩٢٤. كما أختير عضواً في البرلمان المصري ومنح لقب الباشوية. كان موسى من كبار رجال المال والبنوك، وتولى إدارة عدد من الشركات، وأسهم في تمويل مشروعات السكك الحديدية في صعيد مصر وشرق الدلتا، ومشروعات النقل العام في القاهرة بالتعاون مع عائلات سوارس ورولو ومنشيه.

كما أسهم في ميلاد بورصة القاهرة، حيث قامت اللجنة الخاصة في عام ١٩٠٣ برئاسة موريس قطاوي بك باختيار المبنى القديم للبنك العثماني كمقر رسمي^(١) للشركة المصرية للأعمال المصرفية والبورصة حديثاً ولكن بصفة مؤقتة. وكان الأعضاء المؤسسون لبورصة القاهرة عام ١٩٠٣ ؛ موريس قطاوي بك، وكوكسن، وجناروبولو أوزبول، وماكليفري، وأدولف قطاوي؛ فضلاً عن ممثل عن كل من بنك كريدي ليونيه، وبنك مصر، والبنك الامبراطوري العثماني، والبنك المصري البريطاني والبنك الأهلي المصري، وضمت قائمة رؤساء بورصة القاهرة على فترات متوالية كلاً من جوزيف حاييم بيريز، وإيلي نجار، وصامويل ليفي.

ثم تولى من بعد موسى قطاوي "يوسف أصلان قطاوي" رئاسة مجلس طائفة اليهود السفارديم من عام ١٩٢٤ إلى ١٩٤٢ والذي يعد أكثر شخصية يهودية مصرية ذات حضور عام، في فترة ما بين الحربين العالميتين، ولا يعود ذلك فقط لرئاسته للطائفة، لكن ربما أكثر إلى نشاطه التجاري والسياسي المكثف، حيث درس يوسف الهندسة في فرنسا ثم عاد إلى مصر ليعمل في وزارة الأشغال العامة^(٢). ثم غادر مصر ثانية لكي يقوم بدراسة صناعة تكرير السكر في مورافيا، وفور عودته إلى مصر أصبح قطاوي باشا مديراً لشركة السكر المصرية، ورئيس شركة كوم أمبو التي قامت باستصلاح الأراضي لزراعة السكر في مساحة من الأرض الصحراوية تقدر بـ ٢٨٠ ألف فدان في محافظة أسوان، كما أنشأ كل من أصلان ورينيه قطاوي شركة العقارات المصرية، وشركة المياه في طنطا، وشركة الملح والصودا، وشركة التبريد المصرية، وخط الملاحة الخديوية، والشركة المصرية للنسيج، وشركة الفنادق المصرية الراقية^(٣). ثم قامت العائلة بتأسيس العديد من المشروعات الصناعية والمالية والعقارية بالتعاون مع عائلة سوارس وغيرها من العائلات اليهودية، مما مكّنها من الحصول بشكل متراكم على نفوذ اقتصادي وسياسي هائل. وقد بدأ طلعت حرب (وهو رائد الحركة القومية الاقتصادية المصرية) مساره الوظيفي بالعمل لدى عائلتي سوارس وقطاوي أولاً في شركة الدائرة السنية ثم كمدير تنفيذي في شركة كوم أمبو^(٤).

(١) جرجس، تاريخ مصر منذ العصر المملوكي، ص ٣٢

(٢) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٧٦

(٣) الطويل، يهود في برلمان مصر، ص ٧٦

(٤) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٩٦

ثم قام كل من "يوسف أصلان قطاوي" و "يوسف شكوريل" بمشاركة طلعت حرب عضوية اللجنة التنفيذية لغرفة التجارة المصرية، ولجنة التجارة والصناعة، وكان الهدف من هاتين الهيئتين تشجيع التنمية الاقتصادية والصناعية في مصر، كما عملتا كحاضنتين لمبدأ الرغبة الاقتصادية الذي أكسب طلعت حرب شعبية هائلة؛ لذا عندما قام طلعت حرب بتأسيس بنك مصر عام ١٩٢٠،^(١) احتفى بهذا البنك على نطاق واسع؛ بوصفه تجسيداً في بناء الخطوة الأولى للاقتصاد المصري القومي الخالي من السيطرة الأجنبية، وقبل زميلاه اليهوديان السابقان دعوته للانضمام إليه كمديرين مؤسسين، وأصبح قطاوي نائب رئيس مجلس الإدارة. كما كان سكرتيراً عاماً لمصلحة الأملاك الأميرية، ومندوباً عن الحكومة المصرية في شركة قنال السويس، وعضواً بمجلس الشيوخ.

وقد حافظت عائلة قطاوي على علاقات تجارية واسعة، مع كل العائلات المسلمة الرئيسة من طبقة الصفوة التجارية المصرية الناهضة في فترة ما بين الحربين العالميتين، وبالمثل كانت هناك تحالفات تجارية بين أبناء الطائفة، حيث كانت هذه الظاهرة مألوفة بين العائلات اليهودية من طبقة الصفوة التجارية ذات النفوذ والثراء، ومن بينها عائلات عدس وأغيون وجور وموصيري ونحمان وبينتو ورولو ونيلش، أما العائلات اليهودية الأخرى من الطبقة نفسها، وخاصة صفوة طائفة القرائين، فقد كانت تعمل من خلال "اقتصاد عرقي"^(٢) كان شركاؤهم التجاريون وعملاؤهم في الغالب من اليهود الآخرين.

٢ - عائلة شيكوريل:

في منتصف القرن التاسع عشر هاجر مورينو شيكوريل إلى القاهرة قادماً من أزمير، عندما كانت المدينتان كلتاهما، تشكلان جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، وكانت عائلة شيكوريل في ذلك الوقت تحمل الجنسية الإيطالية، حيث عمل شيكوريل لسنوات عديدة في متجر خرداوات يملكه أحد اليهود في منطقة الموسكي، وفي سنة ١٨٥٩ قام بشراء المتجر من مالكه، ثم قام مورينو بافتتاح متجر كبير ذي أقسام، (فيما يعرف الآن بشارع ٢٦ يوليو في القاهرة)^(٣) كان ابن مورينو الثاني، المدعو يوسف بك شيكوريل، المولود في القاهرة عام ١٨٨٧، عضواً في غرفة التجارة القاهرية، واحداً من العشرة الأعضاء الأصليين في مجلس إدارة بنك مصر عام ١٩٢٠، ولا بد أن عائلة شيكوريل في ذلك الوقت كانت قد حصلت على الجنسية المصرية. شارك يوسف كذلك بالعديد من مشروعات بنك مصر في العشرينيات، لكن مشاركة العائلة في القطاعات الأوسع من الاقتصاد بعيداً عن متجرها، قد ضعفت بعد العشرينيات.

(١) فريد، الحراسة على أموال ورعايا الاعداء، ص ٤٤

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٤٥

(٣) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٤٥

كان سلفاتور أصغر أبناء شيكوريل، وقد تلقى تعليمه في سويسرا، وعمل بشركة العائلة بشكل مستمر بعد أن انتهى من دراسته عام ١٩١٢، وفي النهاية أصبح المدير التنفيذي ورئيس مجلس إدارة الشركة، كما أصبح رئيساً لجمعية التدريب المهني وعضواً بمجلس الطائفة اليهودية. كما أنه اشترك مع طلعت حرب وعائلة قطاوي -كما ذكرنا- في رؤيتهما ذات التوجه التجاري للمشروع القومي؛ ولذا فقد أصبح مثلهما عضواً في اللجنة التنفيذية لغرفة التجارة المصرية عام ١٩٢٥، وبناء على طلب الحكومات غير الوفدية، انضم إلى المجلس الأعلى للعمل، وشارك في بعثة اقتصادية إلى السودان.

كما كان سلفاتور شيكوريل راعياً للرياضة، فقد كان بطلاً قومياً في المبارزة، ورئيس فريق المبارزة الأولمبي عام ١٩٢٨، حيث تم الاعتراف بهذه الإسهامات عام ١٩٣٧ عندما تم منحه لقب "بك" (١)؛ فضلاً عن إدارته للعمل التجاري الخاص بالعائلة، وحياته الرياضية النشطة. عمل سلفاتور بمجلس طائفة اليهود السفارديم بالقاهرة ما بين عامي ١٩٢٧-١٩٢٨، ومن عام ١٩٣٩ إلى عام ١٩٤٦، وفي عام ١٩٣٤ أصبح عضواً مؤسساً في جمعية أصدقاء الجامعة العبرية بفلسطين، وقد عدّ هذا الأمر نشاطاً خيرياً، ذلك لأن سلفاتور لم يبد كصهيوني سياسي.

كما أنه تولى رئاسة طائفة اليهود السفارديم بالقاهرة خلفاً لرئيسه قطاوي من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥٧. وكان أخوه الكبير دافيد شيكوريل عضواً في بورصة البضائع، وعضواً في مجلس إدارة جمعية المصدرين. (٢)

أما متاجر شيكوريل فقد تطور ليصبح أكبر سلسلة من المتاجر ذات الأقسام في مصر وأحدثها، وذلك تحت اسم "متاجر شيكوريل وأوريكو الكبرى" فلقد تخصصت في تجارة الملابس الجاهزة للرجال والنساء والأحذية والأدوات المنزلية وكماليات الزينة والحياسة وما إليها، وكانت أغلبية هذه البضائع يتم استيرادها من أوروبا، حيث حازت متاجر شيكوريل على سمعة ممتازة نظراً للجودة العالية لبضائعها؛ مما جعلها المتعهد الرئيس للقصر الملكي في أثناء فترة حكم كل من الملك فؤاد وفاروق، أما الفرع الخاص بمتاجر أوريكو في الشركة، فقد تكون من متاجر اقتصادية تخدم الطبقات الوسطى والسفلى (٣).

كانت متاجر شيكوريل ذات طابع ثقافي أجنبي؛ نظراً لوجود أغلبية من الموظفين اليهود غير محددي الجنسية؛ فضلاً عن أن أغلبية البضائع كانت مستوردة، وكذلك استعمال الموظفين والزبائن للفرنسية في جميع طوابق المتجر، ورغم ذلك فإن أفراد عائلة شيكوريل عدوا أنفسهم مصريين، كما نظروا إلى نشاطاتهم على أنها تسهم في الاقتصاد القومي المصري.

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٠٠

(٢) الطويل، يهود في برلمان مصر، ص ١٨٩

(٣) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٤٦

وعلى عكس المتاجر الكبرى الأخرى ذات الأقسام التي كان يمتلكها اليهود، كانت شركة شيكوريل تتمتع بعطف وتأييد الأسرة المالكة، فيذكر عندما تم القبض على سعد زغلول وترحيله إلى جزيرة سيشيل بالمحيط الهادئ، دعا حزب الوفد المصريين فيما بين عامي ١٩٢١-١٩٢٢ إلى شراء احتياجاتهم فقط من "متاجر وطنية" وكان متجر شيكوريل ذو الأقسام، قد أدرج ضمن تلك المتاجر الوطنية، وفي مذكرة سلمت إلى وزارة التجارة عام ١٩٤٨ وصفت شركة شيكوريل ذاتها بأنها "إحدى أعمدة الاقتصاد الوطني (المصري)" (١) ورغم ذلك فقد أحرق متجر شيكوريل بالقنابل النارية في أثناء الحرب العربية - الإسرائيلية عام ١٩٤٨، رغم أنه لم يتم وضعه تحت الإدارة الحكومية في أثناء الحرب، كما أن متجر القاهرة الرئيس أصيب بأضرار من جراء قنبلة ألقيت عليه في ١٩ تموز ١٩٤٨. لكن سرعان ما أعيد افتتاح المتجر، ثم تم تدميره في حريق القاهرة الذي اندلع في ٢٦ آذار ١٩٥٢، وهو إشارة إلى أن المناضلين كانوا ينظرون إلى متجر شيكوريل بوصفه مؤسسة أجنبية. وفي ١٩٥٧ بيعت الشركة وغادر سلفاتور شيكوريل مصر إلى فرنسا (٢).

٣- عائلة موصيري:

هي عائلة يهودية من أصل إيطالي، استقرت في مصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وقد حقق مؤسسها يوسف نسيم موصيري ثروته من التجارة، وبعد وفاته عام ١٨٧٦، أسس أبناؤه الأربعة مؤسسة يوسف نسيم موصيري وأولاده.

وبرزت أعمال هذه المؤسسة بإنشاء شركات في المحاريط والهندسة ومصانع النحاس المصرية وشركة مناجم البحر الأحمر، كما أبدت اهتماماً بمرافق النقل (٣)، فأنشأت سكة حديد الإسكندرية والرميل عام ١٨٨٣، وشركة سكك حديد الفيوم الزراعية عام ١٨٩٨. كما استثمرت العائلة نشاطاتها بشكل أساسي في قطاع الفنادق؛ إذ أسهمت في تأسيس شركة فنادق مصر الكبرى برأسمال ١٤٥.٠٠٠ جنيه، وضمت فنادق كونتيننتال، ومينا هاوس، وسافوي، وسان ستيفانو (٤).

تزوج الابن الأكبر نسيم بك موصيري من ابنة يعقوب قطاوي، وأصبح نائب رئيس الطائفة اليهودية في القاهرة، وهو منصب توارثته العائلة فيما بعد. لم تحقق عائلة موصيري انطلاقتها الحقيقية إلا في

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٠٢

(٢) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٧٧

(٣) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٠٢

(٤) نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية، ص ٢٧

أوائل القرن العشرين، عندما أسس إيلي موصيري ابن نسيم بك بالتعاون مع أخوته الثلاثة يوسف وجاك وموريس بنك موصيري عام ١٩٠٤ وعين جوزيف موصيري مديراً لهذا البنك^(١).

وحقق إيلي موصيري مكانة مرموقة في عالم المال والأعمال في مصر، وكان قد درس الاقتصاد في إنجلترا، وتزوج من ابنة فليكس سوارس، وربطته علاقات وثيقة بإسماعيل صدقي، كما كانت له مصالح عديدة في فرنسا، وعلاقات وثيقة ببيوت المال الأوروبية اليهودية، مثل: بيوت "روتشيلد" و"لازار" و"سليجمان"، كما كان يمثل المصالح الإيطالية في مصر. أما فيليكس موصيري فيعد من أشهر أفراد هذه العائلة، فكان مهندساً زراعياً مرموقاً حيث كان يملك جزءاً كبيراً من شركة المحارث والهندسة^(٢). وكانت له إسهامات مهمة في مجال زراعة القطن وصناعة السكر. كما أسس جوزيف موصيري شركة "جوزي فيلم" للسينما عام ١٩١٥^(٣) التي أقامت وأدارت دور السينما الأتية: في القاهرة: سينما كليبر، وماجستيك، ومتروبول، والأهلي، والبسفور. وفي الإسكندرية: سينما ايزيس، ومحمد علي، والأمباسادور. وفي السويس: سينما شانتكليبر. وفي بور سعيد: سينما باتيه. وأستديو للإنتاج السينمائي ومنذ عام ١٩٢٩ بدأت شركة جوزي فيلم تحتكر استيراد الأفلام الخام وبيعها، وكذلك طبع الترجمة على الأفلام الأجنبية التي كانت تستوردها، كما أقامت أستوديو للإنتاج السينمائي، وبهذا تحولت إلى واحدة من أكبر الشركات العاملة في صناعة السينما المصرية. وبذلك كان للعائلة نفوذ قوي في فترة ما بين الحربين العالميتين^(٤).

٤ - عائلة سوارس:

كانت من أوائل الأسر اليهودية التي اقتحمت ميدان الاستثمار، وفدت إلى مصر من ليفورنو في إيطاليا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، أسس فيها الأخوة الثلاثة، رافائيل ويوسف وفليكس مؤسسة "سوارس" عام ١٨٧٥، وفي عام ١٨٨٠ قام رافائيل سوارس بالتعاون مع رأس المال الفرنسي ومع شركات رولو وقطاوي بتأسيس البنك العقاري المصري، وكان رأس مال البنك عند تأسيسه ٤٠ مليون فرنك فرنسي، وصل إلى ٨ ملايين جنيه عام ١٩٤٢ وقد أدى هذا البنك دوراً مؤثراً في الاقتصاد الزراعي المصري؛ إذا إنه نتيجة القروض التي منحها للملاك الزراعيين أصبح يتحكم في أكثر من مليون فدان مصري، كما قام بالتعاون مع رأس المال البريطاني الذي مثله البريطاني اليهودي الرأسمالي سير أرنست كاسل بتأسيس البنك الأهلي المصري عام ١٩٩٨ وتمويل بناء خزان أسوان^(٥).

(١) أن ريغلين، الاقتصاد والإدارة في مصر، ص ٢١١

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٤٥

(٣) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٧٧

(٤) عبد الرسول، البنوك التجارية في مصر، ص ٣٩

(٥) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٧٤

كما اشترك "سوارس" مع "كاسل" وعائلة قطاوي في شراء ٣٠٠ ألف فدان من أراضي الدائرة السنية، وإعادة بيعها إلى كبار الملاك والشركات العقارية، كذلك اشترك سوارس مع رأس المال الفرنسي في تأسيس "شركة عموم مصانع السكر والتكرير المصرية" عام ١٨٩٧ والتي ضمتها عام ١٩٠٥ شركة "وادي كوم أمبو المساهمة" وكانت من أكبر المشروعات المشتركة بين شركات "قطاوي" و "سوارس" و"رولو" و "منشيه" كما كانت واحدة من أكبر الشركات الزراعية في مصر. كما شاركت "سوارس" في تأسيس شركة مياه طنطا. وفي الفترة ما بين (١٩١٤-١٩١٧) وبمبادرة من إدجار سوارس اشترت شركة مساهمة في الإسكندرية كان من مؤسسيها آلاف الأفدنة، وبعد استصلاحها تم بيعها بمساحات صغيرة للمزارعين وبقروض طويلة الأجل^(١).

وفي مجال النقل البري أوجدت عائلة سوارس خدمة النقل بالسيارات في مدينة القاهرة، فأنشأ فيليكس سوارس سكة حديد حلوان عام ١٨٨٨، كما أسس شركة السكة الحديد الاقتصادية بالشرقية عام ١٨٩٦، وتوج نشاطه بتأسيس "شركة سوارس لعربات نقل الركاب في القاهرة" والتي سميت باسمهم (قطارات سوارس).

كما أنشأ خطوط السكك الحديدية الضيقة في الدلتا، وفي عام ١٩٢٦ تم تأسيس بنك سوارس، بالتشارك مع يوسف قطاوي باشا، وكان مقره الإسكندرية، وله فرعان أحدهما بالقاهرة والآخر بطنطا، وكان يوسف قطاوي نسبياً لعائلة سوارس حيث كان متزوجاً من أليس سوارس ابنة إدجار سوارس^(٢)؛ ولذا نجده يشترك معهم في كثير من الشركات والأعمال المالية، منها: البنك التجاري المصري الذي أسسه جاك سوارس ويوسف قطاوي، كما امتلكت العائلة مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، وأراضي البناء في وسط القاهرة، حيث سمي أحد الميادين باسم "ميدان سوارس" لكن اسم الميدان تغير إلى مصطفى كامل عام ١٩٣٩. كما امتلكت عائلة سوارس حصصاً وأسهماً في العديد من الشركات، واحتل كثير من أفرادها مواقع رئاسية وإدارية، فتولى ليون سوارس إدارة "شركة أراضي الشيخ فضل" وإدارة شركة "وادي كوم أمبو" وعند وفاة أبيه فيليكس ترك ليون مؤسسة سوارس ليخلف أباه في إدارة البنك الأهلي والبنك العقاري^(٣).

٥ - عائلة رولو:

هي عائلة يهودية جاءت إلى مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر من بريطانيا، واحتفظت بجنسيتها، وقد امتلك رولين مؤسسة تجارية تخصصت أساساً في استيراد "النيلة" وهي

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٠٣

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٤٧

(٣) عبد الظاهر، دراسة في الجانب السياسي، ص ٧٤

إحدى أنواع الصبغات. وفي عام ١٩٧٠ أسس ولداه يعقوب وسيمون مع بعض الشركاء مؤسسة مالية وتجارية باسم "روبين رولو وأولاده وشركاهم"^(١)، وتعاونت عائلة رولو من خلال هذه المؤسسة مع عائلتي "قطاوي" و "سوارس" في العديد من المشروعات التي أقاموها بالتعاون مع المالي البريطاني سير أرست كاسل خصوصاً مشروعات الدائرة السنية، وإقامة سكك حديد حلوان، وتأسيس البنك العقاري المصري والبنك الأهلي المصري.

وفي أثناء الأزمة الاقتصادية التي حدثت عام ١٩٠٧ صفى يعقوب المؤسسة، ثم أنشأ مع أبنائه الثلاثة مؤسسة "رولو وشركاه" التي جمعت بين الأنشطة المصرية والمالية وتجارة الجملة في القطن والسكر والأرز والفحم والبن، كما امتلكت حصصاً كبيرة في بعض الشركات العقارية الكبرى، مثل شركة كوم أمبو المساهمة، كما امتلكت حصصاً لا بأس بها في شركة "أراضي الشيخ فضل" وشركة "مصانع السكر"^(٢).

وقد أنشأت شركة محالج القطن في الصعيد وصناعة الكتان وخيوط الغزل والنسيج. كما اشتركت مع عائلة موصيري في تأسيس الشركة المصرية لاستيراد المحفوظات والمعلبات وتصديرها وشركة البحيرة المحدودة. وعند وفاة روبين ترك يعقوب رولو ثروة من العقارات تقدر بنحو ٧٠ ألف جنيه. وقد انتخب ابنه الأكبر روبير يعقوب رولو رئيساً للطائفة اليهودية في الإسكندرية في الفترة (١٩٣٤-١٩٤٨)، لكنه استقال من منصبه عام ١٩٤٨ قبل اندلاع حرب فلسطين، على أثر خلافه مع حاخام الإسكندرية؛ بسبب تأييد هذا الأخير للصهيونية^(٣).

٦ - عائلة منشي (دي منشى):

عائلة "منشى" والنطق الشائع لها في مصر هو "منشه"، ومنشه عائلة يهودية سفاردية جاءت إلى مصر من إسبانيا، ويعود أول ذكر لوجودها في مصر إلى القرن الثامن عشر حيث بدأ يعقوب دي منشى (١٨٠٧-١٨٨٧) حياته صرافاً في حارة اليهود، ثم تدرج في عمله حتى أصبح "صراف باشا" للخديوي إسماعيل، ثم أسس بالتعاون مع يعقوب قطاوي "بيت منشى وأولاده" وهي مؤسسة مالية تجارية أصبح لها أفرع في مانشستر وليفربول ولندن وباريس ومارسليا وإسطنبول، كما اشترك بالتعاون مع الخديوي إسماعيل في تأسيس البنك التركي المصري، وارتبط نشاطه بكثير من شركات عائلتي قطاوي وسوارس ومشروعاتهما^(٤)، حتى حمل أحد شوارع الإسكندرية اسم عائلته "شارع منشه".

(١) الطويل، يهود في البرلمان المصري، ص ٦٧

(٢) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٠٣

(٣) أن إيغلين، الاقتصاد والإدارة في مصر، ص ١٩٧

(٤) عبد الحميد، النشاط الاقتصادي للأجانب، ص ٧٥

وما بين عامي (١٨٧٢-١٨٧٣) منح يعقوب دي منشى الحماية النمساوية، وفي عام ١٨٧٥ منح لقب البارونية والجنسية النمساوية المجرية، تقديرًا للخدمات التي قدمها للتجارة النمساوية المجرية المصرية. وعقب وفاة يعقوب دي منشى تولى ابنه جاك أعمال الأسرة، ونقلها من الأعمال المالية والمصرفية إلى تجارة القطن والسكر المربحة، واشترى مساحات واسعة من الأراضي في دلتا مصر وصعيدها، حيث وصلت ثروته عند وفاته إلى ما بين ٣٠٠ و ٥٠٠ ألف جنيه مصري، أما الشقيق الأصغر فليكس يهودا (١٨٦٥-١٩٤٣) فدرس في فينا، وأسس فرع "بيت منشى" في لندن، وترأس الطائفة اليهودية في الإسكندرية في الفترة ما بين عامي (١٩٢٦-١٩٣٣)^(١).

وبهذا أبرز الفصل أهم العائلات اليهودية التي أدت دوراً بارزاً في الحياة الاقتصادية المصرية.

نتائج الفصل:

كان يهود مصر مندمجين في حياة المجتمع المصري، وكانوا على قدر كبير من النشاط في المجال الاقتصادي، حيث إن أنشطتهم شملت مجالات الاقتصاد كافة، وكانت الروابط الاقتصادية بين اليهود والمجتمع المصري، تعتمد على حجم الرعاية التي كان يقدمها المجتمع لهم.

وكان للعلاقات التي نشأت بين الرأسماليين اليهود والمسؤولين المصريين داخل الشركات والمؤسسات اليهودية تأثيرها ليس على النشاط الاقتصادي فحسب؛ بل على النشاط السياسي. حيث استطاعت الطائفة اليهودية في مصر - من خلال بعض أفرادها النشيطين - أن تسيطر على قطاعات المال والتجارة والصناعة والزراعة والمرافق والخدمات في مصر، خلال قرن من الزمان، ولأن باعثهم الأول من هذا النشاط كان تحقيق أكبر قدر ممكن من الربح، حيث أسهم الرأسماليون في إنشاء البنوك والشركات المالية والإئتمانية وإدارتها وتوجيهها، التي كانت تتولى عمليات الخصم والعمولة، وتقديم القروض الربوية مقابل التأمينات وبيع الأوراق المالية وشراءها، والسندات والإتجار في العقارات والأراضي الزراعية وامتلاكها واستغلالها كما أسهموا في إنشاء شركات التأمين، كونها مكملة لأعمال البنوك. وقد كان لكل هذا دور وراء أزمة الديون الخارجية التي أدت إلى وقوع مصر تحت الاحتلال البريطاني، ووراء عمليات نهب الاقتصاد المصري وتدميره.

وإذا كان النشاط الاقتصادي لليهود في مصر قد أضر بالبلاد سياسياً واقتصادياً، فمما لا شك فيه أنه قد أفاد الحركة الصهيونية في فلسطين، خلال سعيها الدؤوب لإنشاء كيائها هناك؛ كونها اعتمدت على التبرعات التي أسهمت بها معظم العائلات اليهودية الثرية؛ فضلاً عن اعتمادها بشكل كبير على تحقيق الاستقلال الاقتصادي للوجود اليهودي هناك.

(١) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٤٤

ويمكن القول: إنه منذ تولي الخديوي إسماعيل الحكم سنة ١٨٦٣ حتى ١٩٧٠، أصبحت العائلات اليهودية الكبرى التي استقرت بمصر أغنى طبقة يهودية في الشرق الأوسط، ولم يؤثر في تلك المكانة إلغاء الامتيازات الأجنبية سنة ١٩٣٧، وانخفاض معدلات الهجرة اليهودية إلى مصر، أو صدور عدة تشريعات قانونية، تهدف إلى مضاعفة إشراف الحكومة المصرية على الشركات والمشروعات الأجنبية، والتي كان أهمها قانون الشركات رقم ١٣٨ الصادر عام ١٩٤٧، حيث أمكن التحايل على هذه القوانين والإجراءات بطرق شتى، بيد أن قيام "إسرائيل" سنة ١٩٤٨، ونشوب الحرب بينها وبين العرب، حتم مصير الطائفة اليهودية في مصر، حيث بدأ هؤلاء في تصفية أملاكهم وأعمالهم والهجرة إلى الخارج. ومع ذلك فإننا نرى أن معظم أبناء طبقة الصفوة التجارية من اليهود الأكبر سناً، ونظراً لوضعهم المتميز والمريح، فإن معظم أبناء هذه الطبقة من اليهود، اختاروا البقاء في مصر بعد عام ١٩٤٨.

بالرغم من التدهور الواضح في أعدادهم، فقد ظلوا يشغلون أماكن مهمة في الحياة الاقتصادية، لكن فيما بعد بدأ دورهم بالانكماش تدريجياً، ومع ذلك فإن تلك الصفوة من اليهود لم يهاجروا إلى "إسرائيل" بعد مغادرتهم مصر، مثل معظم اليهود في جميع أنحاء الشرق الأوسط الذين تركوا أوطانهم الأصلية في فترة الخمسينيات؛ وذلك بسبب ازدياد حدة الصراع العربي - الإسرائيلي، فإن معظم هؤلاء الذين كان باستطاعتهم الاختيار ذهبوا إلى أوروبا أو الأمريكيتين.

وكان من أهم السمات التي ميزت نشاط اليهود في مصر خلال تلك الفترة، هي: محافظتهم على المركزية، حيث تركز نشاطهم في المدن الكبرى وعواصم الأقاليم وخاصة القاهرة والإسكندرية، حيث القوة الشرائية الأضخم احتواء السلطة بالمال، وكان أسلوبهم في ذلك يعتمد على استقطاب شخصيات مصرية، مثل: عدلي يكن في البنك العقاري المصري الذي كان رئيساً للوزراء، وأحمد زيور في بنك الأراضي المصرية وكان رئيساً للوزراء، ومحمد طلعت حرب وكان مشاركاً في الشركة العقارية المصرية؛ فضلاً عن التكامل القطاعي مع التوجه الرأسمالي من خلال تغطية جميع قطاعات الاقتصاد المصري أو المشاركة فيها، وحرصهم الشديد على توجيه رؤوس أموالهم إلى الأنشطة التي تحقق لهم الربح الأوفر والسيطرة الأكبر. وكان العامل الثالث المحافظة على الطابع العائلي. بما يعنى أن تسيطر عائلة يهودية على قطاع إنتاجي معين أو احتكاره. من أمثال عائلات (قطاوي - موصيرى - سوارس - جرين - جانتيو - رولو - عدس) وغيرهم من العائلات المعروفة؛ فضلاً عن التراكم الرأسمالي من خلال إنشاء الشركات العقارية والمضاربة في البورصة والارتباطات الآجلة بتصدير القطن، والتلاعب في رتب الأقطان والتعاون مع القوى الاقتصادية الأوروبية خارج مصر، إلى جانب تحويل العملة المحلية بأنواعها إلى سندات ورقية، ورفع سعر فائدة الأقراض. والحرص على امتلاك الذهب حيث عدوه السلطة الأولى في العالم، أما السلطة الثانية في نظرهم فهي الصحافة. ومن وجهة

نظرهم، فإن السلطة الأولى من دون السلطة الثانية غير مجدية؛ لذلك حرصوا على احتكار هاتين السلطتين في يدهم، حتى يكون تغلغلهم في القطاعات كلها أكبر وأسرع وأكثر ربحاً.

الفصل الثالث

اليهود في مصر ودورهم في الحياة الاجتماعية ما بين ١٩١٧-١٩٤٨

تمهيد

أولاً- السكان (أعدادهم وتوزيعهم):

١- الزيادة السكانية ليهود مصر من ١٨٨٩-١٩٤٨

٢- مؤشرات توزع اليهود في مدن مصر.

٣-تباين الظروف بين يهود القاهرة ويهود الإسكندرية.

ثانياً- تصنيف يهود مصر:

١- التصنيف العقائدي ليهود مصر (قراؤون وريانيون)

٢- التصنيف الطائفي (اليهود السفارديم والأشكنازيم).

ثالثاً- يهود مصر والرعاية الأجنبية وموقفهم من الجنسية المصرية.

رابعاً- بنية الطائفة اليهودية في مصر:

١- المؤسسة الحاكمة.

٢- مسميات الحاخامات (انتخابهم وصلاحياتهم).

٣- تعيين كبير الحاخامات وصلاحياته.

٤- المحاكم.

٥- القيادة المدنية (البرناسيم)

٦- العاملون في خدمة الطائفة ومناصبهم.

٧- إقامة لجان لتنظيم الطوائف في القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين.

٨- التوزيع الطبقي للطائفة.

٩- الأنشطة والمؤسسات المعاونة للطائفة.

خامساً- الضرائب والأمور المالية الصادرة عن المؤسسة الدينية.

سادساً- المعابد اليهودية في مصر:

١- المعابد اليهودية في القاهرة.

٢- المعابد اليهودية في الإسكندرية.

٣- المحافل اليهودية التي أقيمت في مصر.

٤- الجمعيات والمؤسسات الصحية والاجتماعية للطائفة اليهودية في مصر.

٥- الجمعيات والمؤسسات الخيرية للطائفة القرائية.

سابعاً- الزواج ومؤسسة العائلة:

١- الجنس والعمر.

٢- معدلات سن الزواج في الطائفة اليهودية في مصر.

٣- الزواج ومراحله عند اليهود في مصر.

٤- عقد الزواج.

٥- الطلاق.

٦- تعدد الزوجات والزواج المختلط.

ثامناً- العادات والتقاليد ليهود مصر:

١- الاحتفال ببلوغ سن الرشد (البارمتسفا)

٢- الختان.

٣- أيام الصيام.

٤- عادات الدفن والحداد.

٥- الأمراض والوفيات.

٦- المظهر الخارجي للرجال اليهود في مصر.

٧- الملبس والمظهر الخارجي للنساء.

نتائج الفصل.

بصرف النظر عن الإشكالية المتعلقة بتاريخ الوجود اليهودي في مصر، من الثابت تاريخياً أن الطائفة اليهودية في مصر عاشت أزهى عصورها خلال العصر الحديث، وبالتحديد منذ مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨ وحتى قيام "إسرائيل" عام ١٩٤٨.

ويذكر لنا حاييم كوهين في كتابه "يهود الشرق الأوسط" أن مستقبلاً مشرقاً بدأ لصالح اليهود عندما استولى بونابرت على البلاد عام ١٧٩٨، حيث أصدر بعد احتلاله مصر بوقت قصير مرسوماً يعترف للسكان جميعهم بما فيهم اليهود بحقوق متساوية، وبذلك كانت الطائفة اليهودية في مصر من بين الطوائف اليهودية في الشرق التي تمتعت بهذا الحق^(١).

ويعد أن تستلم محمد علي السلطة في مصر (١٨٠٥-١٨٤٨) والذي يعد مؤسس مصر الحديثة، عاش اليهود في المجل فترة جيدة، خاصة بعد أن عمّ هذه الفترة الإحساس بالاستقرار والأمان، بعد استبداد علي بك الكبير والمماليك الذين أتوا قبله، وبعد تلك الحالة من القلاقل التي صاحبت الاحتلال الفرنسي، حيث لم يكن محمد علي متعصباً دينياً، ومن المؤكد أن نظرتة العملية وتطلعاته الإصلاحية، كانت في صالح اليهود، فلقد استخدم اليهود في الإدارة، وحررهم من الابتزازات المالية التي فرضت عليهم في الماضي، كما فرض حمايته على اليهود وحذر الأهالي من الاعتداء عليهم بسبب اتهامهم بالتعاون مع الحملة الفرنسية، وأسس المحاكم المدنية، وأعطى لليهود حق التقاضي أمامها، وأسس مجالس البلديات، وعين بعض اليهود أعضاء فيها^(٢).

وبذلك يعد عهد محمد علي عهداً متميزاً بكل أطواره، حيث فتح أبواب مصر نحو المدنية الحديثة بالمجالات جميعها، فتطورت كل مرافق الحياة وأمورها، لكن هذا التطور استلزم استقدام الأجانب ذوي الخبرة والمهارة، لكن محمد علي تعامل معهم بحذر شديد، وانعكس هذا التطور على خلق جو من التسامح العام، الذي كان مؤاتياً لنمو اليهود في مصر؛ لذلك أعطى مساحة أكبر للأجانب في إطار مشروعه التحديثي، ووافق على استخدام غير المصريين ومنهم اليهود الذين قدموا من حوض البحر المتوسط بحثاً عن فرص أفضل للعيش، فتشجع اليهود على الهجرة إلى مصر^(٣).

وكان إلغاء الجزية في بداية حكم سعيد باشا خطوة ذات مغزى مهم جداً لإلغاء التفرقة التقليدية. وبذلك بدأ التحسن في وضع اليهود في كل ما يتعلق بالعلاقات مع السلطات، في فترة الباشوات والخديوية من أسرة محمد علي حتى عام ١٩٥٢.

(1) J.Hayym: The Jews of the Middle East , P89

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ١٤

(٣) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥٠٩

أولاً- السكان (أعدادهم وتوزعهم):

١ - الزيادة السكانية ليهود مصر من ١٩١٧-١٩٤٨م

بدأت أعداد اليهود بالتزايد بعد أن استعان بهم محمد علي في مختلف الأعمال الجديدة والوظائف المختلفة. ونظراً لعدم وجود إحصاءات رسمية لتعداد السكان في مصر قبل عام ١٨٩٧، فقد اختلفت التقديرات خلال تلك الفترة، حيث قدر البعض عددهم بنحو ١٧٧٥ نسمة، عندما استلم محمد علي السلطة، بينما قدر غيرهم عددهم بنحو ٣٥٠٠ نسمة^(١). وفي عهد سعيد وإسماعيل فتحت أبواب البلاد على مصاريعها أمام الأجانب؛ أملاً في أن يسهموا في نقل الحضارة الغربية إلى مصر.

ومع بداية وقائع الاحتلال الإنكليزي تبدأ مرحلة جديدة من تاريخ اليهود وأحوالهم، فزادت البلاد انفتاحاً أمام الأجانب، حيث أعطاهم الاحتلال الحماية الأجنبية التي جعلتهم يمارسون جميع أنشطتهم المختلفة، بعيداً عن أي متابعة أو رقابة، حيث زادت أعدادهم فبلغوا ٢٥٢٠٠ نسمة في عام ١٨٩٧، أما في إحصاء ١٩٠٧ فبلغوا ٣٨٦٣٥ نسمة، وفي ظله انصرف اليهود إلى الدخول في الحياة العامة مؤثرين على الكثير من ظروف مصر وأوضاعها المختلفة، ثم ارتفع الرقم مرة أخرى عام ١٩١٧ حيث وصل إلى ٥٩٥٨١ نسمة^(٢).

ويلاحظ أن أعداد اليهود تأثرت، زيادة ونقصاناً، بالأوضاع التي مرت بها مصر، من تدهور الوضع الزراعي وحدوث بعض الكوارث الطبيعية، وأحداث الاضطرابات التي أدت إلى انخفاض في أعداد السكان في مصر، لكن بدءاً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهدت هذه الفترة زيادة بالنسبة السكانية؛ تبعاً لبشائر الحداثة التي سادت مصر في هذه الفترة من تحسن طرق الري، وافتتاح قناة السويس، وتوسع البنية الاقتصادية، فتدفق أعداد المهاجرين إلى مصر من اليهود وغيرهم الباحثين عن أفاق جديدة للاستثمار.

وقد شهدت الفترة التي دارت خلالها الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) مع حصول مصر على وعد باستقلالها عام ١٩٢٢ ازداد تعداد يهود الإسكندرية بالمقارنة بتعداد يهود القاهرة؛ مما أسهم في تضيق الفجوة العددية مع تعداد يهود القاهرة، وكان ذلك نتيجة لهجرة أعداد كبيرة من يهود فلسطين إلى الإسكندرية التي شهدت خلال هذه الفترة نشاطاً صهيونياً مكثفاً، كان من مظاهره إقامة سلاح الكتائب

(١) نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ١٢

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ٢٠

الصهيوني في شهر أذار عام ١٩١٥، وقد أسهم تدفق أعداد كبيرة من اللاجئين على مصر في حدوث زيادة مؤقتة في عدد اليهود المقيمين خارج مدينتي القاهرة والإسكندرية^(١).

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى استقر نسبياً تعداد السكان اليهود، حيث بلغ تعدادهم عام ١٩٢٧ بـ ٦٣٥٥٠ بزيادة قدرها ٧% خلال عقد واحد، بينما انخفض تعدادهم بنسبة ١% في عام ١٩٣٧ حيث بلغ عددهم ٦٢٩٥٣ نسمة، ثم عاد هذا العدد وارتفع في عام ١٩٤٧ ليكون ٦٥٦٤١ نسمة أي بنسبة زيادة ٤%، وهو العدد الأكبر لليهود في مصر في العصر الحديث^(٢)، وبهذا نلاحظ أن تعداد اليهود في مصر بالنسبة إلى باقي السكان قد زاد زيادة كبيرة وكما ذكرنا كان لعامل الهجرة السبب الرئيسي، فضلاً عن تزايد نسبة التوالد المرتبطة بالطبع بارتفاع مستوى المعيشة.

وبالمقارنة بين عدد اليهود المصريين واليهود الأجانب، يأتي عدد اليهود المصريين أكثر بكثير من اليهود الأجانب، فإذا كان عدد اليهود المصريين ٥٠٨٣١ نسمة، فإن عدد اليهود الأجانب الأوروبيين، بلغ ١٤٨٠٨ فتكون نسبة اليهود المصريين ٧٧% واليهود الأجانب ٢٣% من تعدادهم العام لسنة ١٩٤٧. وعن عدد اليهود العرب فهو قليل جداً، فقد بلغ عددهم ٩٤٩ نسمة فقط، أكثرهم سوريون يليهم لبنانيون ثم فلسطينيون وتبعيات عربية أخرى، فهو عدد لا يقارن باليهود الأجانب الأوروبيين الذي بلغ ١٣٨٥٩ نسمة، وهم بالترتيب حسب أعدادهم؛ يهود إيطاليون، ويهود بريطانيون، فأتراك، فرنسيون، فيونانيون، ثم تبعيات أجنبية أخرى. فتكون نسبة اليهود الأجانب من الأوروبيين مقارناً بنسبة اليهود الأجانب من العرب نحو ٩٤%.^(٣) وإذا كانت مؤشرات أعداد اليهود تشير إلى أي حد كانت أعدادهم قليلة عندما قورنت بأعداد بقية المصريين سنة ١٩٤٧، فإن ذلك من حيث الأعداد فقط، أما من حيث الواقع، فإن تأثير اليهود في حياة مصر الاقتصادية والسياسية يكاد يكون كبيراً، فهم قلة في العدد إلا أنهم شكلوا طبقة اجتماعية، يغلب عليها صفة الإنتهازية وحب الذات.

٢ - مؤشرات توزع اليهود في مدن مصر:

قبل التطرق في دراسة الأوضاع العامة لليهود وعلاقتهم بالمجتمع المصري، سيتوقف البحث عند التوزع الديمغرافي وفقاً للإحصائيات، فكان اليهود أكثر حرصاً بالمقارنة بسائر فئات المجتمع على التمرکز في كبرى المدن، وخاصة في مدينتي القاهرة والإسكندرية، وقد أثرت الزيادة السريعة التي طرأت على تعداد يهود مصر خلال نهايات القرن التاسع عشر والعقدين الأول والثاني من القرن العشرين في تعداد يهود القاهرة والإسكندرية وفي تعداد اليهود في سائر المدن. فقد شكل يهود القاهرة خلال هذه الفترة

(١) عبد الحميد، النشاط الاقتصادي للأجانب، ص ٦٨

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ١٧٤

(٣) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٢٤

نحو نصف يهود مصر، كما شكل يهود الإسكندرية ٤٠% من تعداد اليهود المصريين. وفيما يتعلق باليهود الذين أقاموا خارج هاتين المدينتين فقد تضاعف عددهم بشكل مضطرب، بالرغم من أنه قد ازداد تعدادهم حتى فترة الحرب العالمية الأولى بسبب ظروف الحرب^(١).

ويتضح من هذا أن إقامة اليهود في كل من القاهرة والإسكندرية بنسبة تعدت ٩٠% من عددهم الكلي حسب الإحصائيات، أما النسبة الباقية فقد عاشت في مدن وعواصم الأقاليم، وهذا يثبت عدم وجود يهودي واحد في قرية من قرى مصر عاش فيها واستقر، ومارس مهنة الزراعة كما مارسها الفلاح المصري. هذا وإن كان الأمر لا يمنع من أنهم امتلكوا العزب والأرض الزراعية ككبار الملاك. والتي كانت سمة الاقطاعي بشكل عام في المشرق، وجاءت معيشتهم في القاهرة والإسكندرية في أحياء محددة، وقد شكل الوضع الاجتماعي بعداً مؤثراً في مكان الإقامة بالنسبة لليهود وخاصة في القاهرة، حيث عاش الفقراء ومحدودو الدخل من اليهود في حارة اليهود كاختيار خاص بهم وغير مفروض عليهم، كما حاول البعض أن يصوره، وعاش معهم في الحارة غير اليهود من المسيحيين والمسلمين، حيث إنها لم تكن حارة بمفهومها المعروف؛ إنما حارات متصلة لكل فئة من فئات المجتمع المصري^(٢).

وفيما يتعلق بالسكن، فقد كان لدى الغالبية في أحياء مستقلة، إلا أنه لم يصبح قانونياً في الدولة، كما أننا لا نجد أحياء يهودية في المدن الرئيسية في مصر في ضواحي بعيدة؛ بل كانت في قلب المدينة. ولم تختلف المنازل في الشوارع اليهودية عن تلك الموجودة في باقي أحياء المدينة.

٣ - الظروف البيئية ليهود القاهرة والإسكندرية:

لاشك في أن التغيرات التي طرأت على التوزيع الجغرافي ليهود القاهرة والإسكندرية تحتم إلقاء نظرة على الأسباب التي أدت إلى هذه التغيرات...

ففي حالة دراسة حارة اليهود في القاهرة أو في بعض المدن المصرية الكبيرة يجب توضيح الفارق الكبير بين الجيتو الأوروبي والحي اليهودي أو الحارة اليهودية في المدن المصرية؛ أولاً، من حيث إنها لم تكن حارة مغلقة على أهلها تحيط بها أسوار تمنع من الدخول إلى المجتمع الكبير أو الخروج منه، كما أنها في كثير من الأحيان لم تكن حارة يهودية خالصة بل عاش فيها مسلمون ومسيحيون بجوار اليهود. والأهم من هذا وذاك أن الرغبة في العزلة لم تكن متوفرة في اليهودي المصري فنجدته يعيش في أحياء خارج الحارة اليهودية كما أنه لم يكن ملزماً بالحياة داخل هذه الحارة^(٣). ثانياً إن الرغبة في التجمع في

(١) عبده، قاسمية، يهود البلاد العربية، ص ٩١

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٦١٢

(٣) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ٢٢

حارة قد فرضته الظروف الطبيعية، وهي وجود المعبد اليهودي الذي تدور حوله الأنشطة الخاصة لليهود، أهمها النشاط الديني والاجتماعي.

فأينما وجد المعبد تكونت حوله تجمعات يهودية عن رغبة دينية وعن حاجة إنسانية إلى الاجتماع، ولا ننسى نزعة الأقلية في أي بلد إلى التجمع في منطقة ما؛ لتيسير سبل الاتصال بين أفرادها الذين يكونون في كثير من الأحوال أسراً بينها قرابات ومصاهرات، تحبب إليها الاجتماع في حي واحد أو في أماكن متقاربة، حيث إنهم كونوا جماعة دينية واحدة تنتمي إلى فرقة دينية أو أكثر، ولتيسير حياتها الدينية وممارستها لعبادتها فضلت أن تكون قريبة من بعضها البعض. فهذه العوامل كانت وراء الأسباب الحقيقية لوجود تجمعات يهودية في بعض أحياء القاهرة والمدن المصرية الكبرى، وهي تجمعات تعيش في مجتمع مفتوح^(١). فالحي اليهودي ليس مغلقاً ولا تحيط به أسوار، ولا يتفرد اليهود بالحياة فيه، كما أن حياتهم ليست محدودة فيه؛ بل ممكنة في الأحياء الأخرى التي يغلب عليها سكان مسلمون أو مسيحيون أو الاثنان معاً. حيث سنفصل تركيبة كل حي يهودي في القاهرة والإسكندرية من حيث عدد سكانها وتوزعهم..

أ- القاهرة: كان الحي اليهودي القديم في القاهرة يقع شمالي شرق المدينة، بين منطقتي الجمالية والموسكي، وكانت شوارع هذا الحي ضيقة للغاية وبسيطة جداً. وقد شهد القرن التاسع عشر بداية خروج اليهود من هذا الحي إلى أحياء أخرى غير بعيدة. وبالمقابل شهد الحي القديم نزوح مهاجرين فقراء من اليهود إليه، وقد كانت الحارة خلال عام ١٨٩٧ تقسم إلى قسمين الأول لليهود الرابانيين^(*)، وسكنه ٣٢٥٧ نسمة، والثاني لليهود القرائين^(*)، وسكنه ١٣٨٦ نسمة، بينما قدر عدد اليهود الذين أقاموا في حي البرابرة من العام ذاته بـ ١٩٨٦ يهودياً، بينما عاش الأغنياء من الطائفة في سائر ضواحي القاهرة، كما تركز أكثر من ثلثي أبناء الطبقة المتوسطة في أحياء الوايلي وعابدين والجمالية، ففي الوايلي سكن ٩٣٥٨ نسمة في أحياء القبيسي، السكاكيني، العباسية، غمرة، كوبري، وغيرهم، وفي عابدين سكن منهم ٨١٩١ نسمة في أحياء باب اللوق^(٢)، الإسماعيلية، والساحة، وقصر الدوبارة، ومعروف، والدواوين وغيرهم، كما

(١) سمير عمر إبراهيم، الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٥٣

(٢) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٢٥

(*) الرابانيين: وقد اشتق اسم لطائفة من كلمة رابي بمعنى حبر أو فقيه، لذلك يطلق عليهم أيضاً الحاخاميون وهم يؤمنون بأسفار

موسى والتلمود وشروحه، ويد الرابانيون أكبر طائفة يهودية عدداً وانتشاراً في التاريخ القديم والحديث.

(*) القرائين: وهم تيار في اليهودية يطلق عليه القراوت ويعرف أتباع هذا التيار باسم العنانيين ويرتبط ظهور القرائية كحركة دينية

بشخصية الحاخام "عنان بن داود" في العراق في القرن الثامن ويختلف اليهود القرائين عن اليهود الرابانيين في أنهم لا يقبلون

بتفسير الحاخامات حيث يلتزمون فقط بأقوال التوراة المكتوبة.

سكنوا أيضاً في منطقة الزمالك البحرية والقبلية، أما قسم الجمالية، فقد سكنه ٤٧٨٨ نسمة، بيد أن اليهود الأشكنازيم، فقد تركزوا بصفة أساسية في درب البرابرة بمنطقة الموسكي وباقي أحياء القاهرة.

وقد أوضح علي باشا مبارك مؤلف "الخطط التوفيقية الجديدة"^(١)، أن اليهود أطلقوا في ظل هذه الفترة تعبير حارة النصارى على "حارة زويلة"، نظراً لسكن كثير من الأقباط فيها. وكانت تلك الحارة مقسمة إلى أربعة أحياء، حي اليهود الربانيين، وحي القرائين، ودرب الصقالبة. أما الحي كله فقد سمي حارة اليهود، ويذكر أن الحي يمتد على مساحة نحو ستة هكتارات، وهو يوجد في قلب المينو على مقربة من حي الصاغة، ولم يكن الحي مغلقاً بل كان مفتوحاً وكان يوجد في شارع الرئيس مسجد.

وفي عام ١٩٠٧ شكل يهود منطقة الجمالية ما يقارب ثلثي يهود القاهرة، بينما عاش الثلث الباقي من يهود القاهرة في أحياء الموسكي والأزبكية والدرب الأحمر. ومن الملاحظ أن اليهود كانوا حريصين على التمرکز في بعض الأماكن. حيث شكل يهود الوايلي ٤٥% من سكان الحي. كما شكل يهود درب الأحمر ٣٨% من مجمل السكان، وشكل يهود الموسكي ٣٤% من السكان^(٢).... وقد حرص اليهود على الإقامة في هذه الأحياء حفاظاً على تقاليدهم اليهودية وللاقامة بجوار بعضهم البعض.

ب- الإسكندرية: كان الحي اليهودي في الإسكندرية يقع على مقربة من حي الجمارك على ساحل البحر، وقدر تعداد سكانه عام ١٨٩٧ ب ٣٨٤٨ نسمة. وفي عام ١٩٠٧ كان يقطن ثلث يهود الاسكندرية في حي الجمرک، وهو العام الذي شهد هجرة أعداد كبيرة من يهود الإسكندرية إلى حي المنشية والعتارين^(٣)؛ فضلاً عن قسم محرم بك الذي سكنه ٩٧٣٥ نسمة، يليه قسم الجمارك ٤٤٥٥، ثم قسم المنشية ٤٤٤٠، ثم قسم العتارين ٤٠٨٦، وهذه الأقسام الأربعة تمثل نحو ٩٢% من يهود الإسكندرية البالغ عددهم ٢٤٦٩٠ في تعداد سنة ١٩٣٧. وقد ارتبطت ظاهرة الزيادة التي طرأت على تعداد اليهود في الإسكندرية، بذلك التطور الذي طرأ على ميناء الإسكندرية، وبحالة الازدهار الاقتصادي التي عاشتها هذه المدينة خلال القرن التاسع عشر، وكانت النتيجة هجرة أعداد كبيرة من الصيادين والتجار من رشيد ودمياط والقاهرة، ومن بعض البلدان المطلة على المتوسط بما فيها إيطاليا واليونان وتركيا إلى الإسكندرية.

وقد طرأت خلال عام ١٩١٧ زيادة ملحوظة على تعداد اليهود المقيمين سواء في الأحياء القديمة أم الجديدة من المدينة، حيث توزع معظمهم في هذه المناطق وحسب الأكثرية حي الجمارك، حي العتارين، باب شرق، حي المنشية، الحارة المدورة، سوق الترك، أبو الملاح، محرم بك، رشيد غرب، أبو شوشة،

(١) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥١٥

(٢) شلش، اليهود والماسون في مصر، ص ٢٢

(٣) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٥٦

جنوب الشمرلي، المسلة، الباب الجديد. ويمكن بشكل عام تقدير تعداد اليهود في الأحياء الثلاثة عشر سالفة الذكر بـ ١٥٥٢٦ يهودياً حيث شكلوا ٦٦% من يهود الإسكندرية، ولا يتضمن هذا الرقم تعداد يهود المخيمات الذين فروا من فلسطين^(١).

وفي خلال عقدي العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين طرأت زيادة ملحوظة على عدد اليهود المقيمين في الأحياء الشمالية الشرقية بالإسكندرية التي شيدت فيها مبان حديثة لأبناء الطبقة المتوسطة، وفي المقابل فقد تضاعل تدريجياً عدد اليهود في المناطق القديمة الواقعة شمال غرب الإسكندرية؛ تلك المحيطة بالميناء. وفيما بعد اتسم تعداد يهود الإسكندرية بالانخفاض بالمقارنة بالزيادة السريعة التي طرأت على عدد المصريين في المدينة، فبينما شكل اليهود نسبة ٥% من مجموع سكان المجتمع عام ١٩١٧، فقد شكلوا عام ١٩٣٧ فقط نسبة ٣%^(٢). وفي سنة ١٩٤٧ أصبح عدد اليهود بالإسكندرية ٢١١٢٨ وكان عدد المصريين منهم ١٥٠٥٧ وعدد اليهود الأجانب ٦٠٧١، وانقسم جملتهم -مصريون وأجانب- إلى يهود ربابيين (٢٠٨٨٥ نسمة) ويهود قرائين (٢٤٣ نسمة).

وعند مقارنة الوضع السكاني ليهود القاهرة بيهود الإسكندرية نجد أنه بينما عانى المجتمع اليهودي في القاهرة خاصة خلال الحرب العالمية الأولى من الزحام، لم يكن لمثل هذه الظاهرة وجود في الإسكندرية، كما كان من بين الظواهر المميزة ليهود الإسكندرية أن نسبة كبيرة منهم أقامت في أحياء لم يكن معظم سكانها من اليهود.

وفي المقابل نلاحظ أن بعض المحافظات ارتفع تعداد اليهود فيها، ومن هذه المناطق منطقة قناة السويس وخاصة مدينة بور سعيد التي قدر تعداد اليهود فيها عام ١٩٢٧ بما يربو على الألف نسمة^(٣)؛ فضلاً عن الطائفة اليهودية التي أقامت في مدينة طنطا والتي كانت من أكبر الطوائف اليهودية التي أقامت خارج مدينتي القاهرة والإسكندرية، حيث تزايد تعداد يهود هذه المدينة بعد أن تم تركيب خطوط السكك الحديدية التي تربط بين القاهرة والإسكندرية، ووصل تعداد يهود طنطا إلى الذروة عام ١٩١٧ حيث قدر بـ ١١٨٣ نسمة، ولكن تضاعل فيما بعد بسبب الهجرة اليهودية إلى فلسطين؛ فضلاً عن الطائفة الموجودة في مدينة المنصورة التي قدر عدد سكانها عام ١٩١٧ بـ ٥٨٦. وهناك أيضاً يهود الوجه

(١) نصار، اليهود المصريون صحفهم، ص ٩٨

(٢) ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٥٧

(٣) أحمد أبو كف، اليهود المصريون في الفكر والواقع المصري، جمعية خريجي كلية الاقتصاد والعلوم السياسية المؤتمر العلمي

الاول، دم، دت، ص ٢٦

القبلي الذين قدر عددهم عام ١٩١٧ بـ ١٣٦٢، ثم تقلص عام ١٩٤٧ إلى ٧٩٠ نسمة^(١)، وكل هذا التقلص في عدد اليهود قد لوحظ في أعقاب عام ١٩٤٨، حيث إن الأسباب أصبحت واضحة...

والى جانب الطوائف الموسرة والمتوسطة كان يوجد بعض الطوائف الصغيرة غير أن الحياة اليهودية في تلك المراكز كانت ضحلة، ونذكر من بين هذه الطوائف الصغيرة : دمياط وكفر الزيات وميت غمر وزفتى وبنها، وفي المنصورة لم تتشكل طائفة بالمعنى الصحيح إلا في عام ١٩١٨، وبالرغم من هذا التفاوت الذي ساد بين الطوائف من ناحية الحجم إلا أن الطابع العام لكل الطوائف كان متشابهاً سواء من ناحية البنية أم من ناحية الخدمات التي كانت تقدم لأبناء كل طائفة، حيث كانت الطوائف الصغيرة تتبع خلال القرن التاسع عشر على نحو رسمي للهيئتين الحاخاميتين في القاهرة والإسكندرية، ولكن هذه التبعية كانت قاصرة على الأمور الدينية فقط، ولم تندمج كل الطوائف والتجمعات اليهودية الصغيرة داخل الطائفتين الكبيرتين في القاهرة والإسكندرية إلا بعد الحرب العالمية الأولى، غير أن كل طائفة حافظت على استقلالها في كل ما يتعلق بشؤونها المالية والإدارية^(٢).

ثانياً - تصنيف يهود مصر:

١ - التصنيف العقائدي ليهود مصر (قراؤون وربانيون):

من تحليل الإحصاءات السابقة نجد أن هناك مفاهيم ارتبط بها تصنيف يهود مصر، وذلك طبقاً لعناصر معينة، أهمها: العقيدي، الطائفي، ثم الجنسية والإقامة....، ويقصد بالتصنيف العقيدي هو انقسام اليهود المصريين إلى يهود ربانيين وهم الأغلبية، ويهود قرائين.

وقدّر إحصاء عام ١٩٤٧ اليهود الربانيين بـ ٦٢,١٥٣، والقرائين وهم أقل بكثير بـ ٣,٤٨٦، حيث توزعت إقامة هاتين الطائفتين على مدينتي القاهرة والإسكندرية، فقد عاش فيهما ٢١,١٢٨ حيث كانتا تضمان وحدهما أكثر من ٩٦% من يهود مصر. يلي ذلك أعداد أقل بكثير سكنت في عواصم المحافظات، أكثرهم في منطقة القنال ٨٦٤، يليها الجيزة ٥٨٧، يليها الغربية ٣٢٠، ثم الدقهلية ٣٠٢، فالبحيرة ٩٥، أما بقية المحافظات فكانت أعدادها لا تذكر^(٣).

وسيتّم الحديث عن طائفة القرائين نظراً لارتباطها بالمجتمع المصري.

(١) أبو كف، اليهود المصريون في الفكر، ص ٢٧

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٢٨٥

(٣) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١٨

أ - القراؤون...

شكل اليهود القراؤون عام ١٨٤٠ خمس تعداد يهود مصر، حيث كان عددهم ١٢٠٠ نسمة، بينما وصل عام ١٩١٧ إلى ١٠٨٦ نسمة، أي نحو ٢% من يهود مصر البالغ عددهم ٥٩٥٨١ نسمة، وهذا الفارق في تعداد القرائين مقارنة بالريانيين يعود إلى زيادة الهجرة إلى مصر، التي كانت في إجمالها ربانية. وقد اعترفت الحكومة المصرية في آذار ١٩٠١ بتنظيم مجلس الطائفة القرائية وهو "المجلس الملي".

ومع بداية القرن التاسع عشر هاجر بعض من أبناء الطائفة القرائية في دمشق إلى مصر لما تمتعوا به من حرية اقتصادية في عهد محمد علي، وكان من بينهم بعض قادة الطائفة، حيث يذكر "كلود بك" كبير الأطباء في حكومة محمد علي، أنه وجد نحو ١٢٠٠ قرائي من بين ما يقارب سبعة آلاف يهودي في مصر، أقام أغلبهم في القاهرة. كما يذكر "يعقوب سابير" الذي زار مصر عام ١٨٥٨ عن القرائين أنهم أصحاب مهنة يعملون في صياغة الذهب والفضة. ويعيشون مع الريانيين في ظروف متساوية. وقدّر الإحصاء الذي طبق عام ١٩١٧ بعدد سكان حي القرائين بـ ١٠٩٦ يهودياً، حيث شهدت الفترة الواقعة ما بين ١٩٢٧ و ١٩٤٧ تغيرات في سير نمو القرائين، مقارنة بتعداد اليهود إجمالاً^(١).

حيث وصل عدد القرائين إلى ٤٥٦٧ نسمة، أي أنهم شكلوا ١,٧ من تعداد اليهود في مصر، ثم ارتفع عددهم في عام ١٩٣٧ ليصل إلى ٥٢٦٤ نسمة أي بنسبة ٤,٨% من إجمالي تعداد اليهود في مصر. وفي تعداد عام ١٩٤٧ انخفض عدد القرائين ليصبح ٣٤٨٦ نسمة أي ٥,٣% من تعداد اليهود^(٢)، مع ملاحظة أن اليهود القرائين كغيرهم من يهود مصر حملوا جنسيات أخرى، وتدل هذه المعطيات أن الهجرة كانت بمنزلة العامل الرئيسي الذي أسهم في تقلص حجم هذه الطائفة خلال هذه السنوات، ومن المعروف أنه كان هناك "حاخامية" لكل طائفة، ويرأسها حاخام سواء للريانيين أو للقرائين، وعلى الرغم من قلة عدد اليهود القرائين إلا أنهم امتلكوا الكثير من الصحف والمجلات خاصة التي تصدر بالعربية. كما كانت الحياة اليومية لقرائي حارة اليهود لا يمكن تمييزها عن حياة جيرانهم المسلمين، والذي احتقى بهم نجيب محفوظ في ثلاثيته بوصفهم أروع مثال على القاهريين التقليديين.

حيث تركز القراؤون بشكل رئيسي في حارة اليهود القرائية بالقاهرة، كما اندمجوا في التقسيم العرقي للعمل بالقاهرة، وفي القرن العشرين شرع القراؤون الأكثر ثراء في الانتقال إلى مناطق العباسية، ومصر

(١) فيليب فارح، يوسف كراج، المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، ت: بشير السباعي، سينا للنشر، ط١،

القاهرة، ١٩٩٤، ص ٢٩

(٢) شحاتة هارون، يهودي في القاهرة، دار الثقافة الحديثة، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٣

الجديدة وهي مناطق سكنية خاصة بالطبقة الوسطى، كما أخذوا في تبني عناصر الثقافة العالمية الناطقة بالفرنسية، والخاصة بطبقة الصفوة التجارية، في كل الجوانب باستثناء ممارسة الشعائر الدينية^(١).

كما بدأ الشباب القرائي المتعلم، بتكوين جمعية الشباب اليهودي القرائي عام ١٩٣٧ (اختصاراً: ج ش ي ق)^(٢) بغرض السعي إلى تأسيس هوية حديثة لطائفتهم، وقاموا بنشر صحيفة نصف شهرية تحت اسم "الكليم"، وبقيت تصدر بشكل منتظم حتى عام ١٩٥٦. والتي قامت بالترويج لبرنامج إصلاح طائفي، يتضمن دراسة العبرية، والقيام بأشكال حديثة من النشاط الجماعي، مثل فريق الكشفة القرائي وفرقة الشباب القرائي الموسيقية وعروضاً مسرحية ونشاطات رياضية ونزهات إلى المعالم الأثرية، كما أطلقت الصحيفة حملة لتحسين أوضاع النساء. إن التوجه الإصلاحى لـ (ج ش ي ق) أظهر قوة يعتد بها خاصة بعدما تحدثت الجمعية الحاخام "بابوفيتش" ومجلس الطائفة، عندما أيدت قائمة من المرشحين في انتخابات المجلس عام ١٩٤٦ وقد تم انتخاب سبعة من مرشحيها العشرة.

كما كان رئيس تحرير "الكليم" يوسف كمال ابن داود حسنى (١٨٧٠-١٩٣٧) "الشخصية البارزة في الموسيقى العربية الحديثة"، يحتفل في كل عام في الذكرى السنوية لوفاته بإنجازاته الفنية. وبهذه الروح قام "إيلي أمين ليشع" محرر "الكليم" بين عامي (١٩٣٧-١٩٤٦) بانتقاد العزلة الاجتماعية للقرائين، كما حث أبناء الطائفة على المشاركة في العطلات الوطنية المصرية. هكذا نرى أن محرري "الكليم" قد ربطوا بين مشروع الإصلاح الطائفي وحركة الإحياء الوطني المصري، كما أخذت الكليم تكرر الإشارة إلى القرائين باسم "أبناء البلد"^(٣)، وهو مصطلح شعبي يدل على المصريين الصميمين، كما كان من المؤلف الاستشهاد باللغة والزى والعلاقة بين الرجل والمرأة بوصفها علامات على هوية القرائين المصرية الأصيلة. وقد كان "ليشع" ينظر إلى القرائين على أنهم شرقيون ومحافظةون في عاداتهم الاجتماعية، على عكس الريانيين، حيث يقر بأن النساء القراءات يشتركن في نوايا ثقافية ورياضية مشتركة، من دون أن تنتهك آداب المجتمع الخاصة باللياقة والاحتشام. وطبقاً "للکليم"، فإن الرجال القرائين كانوا تاريخياً يرتدون السراويل والطربوش مثل كل المصريين، ولم يكن هناك فرق في المظهر الخارجي بين المرأة القرائية والمسلمة.

وقد أكد دستور عام ١٩٢٣ ضمانات جديدة للطوائف والأقليات، بإقراره مبدأ المساواة في الحقوق المدنية والسياسية من دون تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين، ومنحه حرية الاعتقاد والرأي والصحافة والتعليم، وتسوية أمورهم الشخصية حسب تقاليدهم على يد سلطاتهم الدينية. ومثل كل الطوائف الدينية

(١) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٦٠٧

(٢) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٨٧

(٣) عواطف عبد الرحمن، الصحافة الصهيونية في مصر ١٨٩٨-١٩٥٤، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٢٩

غير المسلمة، عارض القراؤون إلغاء المحاكم الدينية الطائفية، بالرغم من الانتقادات القومية الموجهة لهذه المحاكم. وقد كانت الصلة بين المحكمة القرائية والدولة يتم تجديدها كل عام، عندما يقوم محافظ القاهرة بالمصادقة على أعضائها الذين كان يتطلب منهم القانون أن يكونوا مواطنين مصريين^(١).

كانت اللغة العربية هي لغة التعليم في مدارس الطائفة القرائية، وحتى عند الإشارة إلى مواقع محل خلاف يستعمل فيها كل من اليهود والعرب أسماء مختلفة، كانت الكلم تستعمل الأسماء العربية لا اليهودية مثل: ("نابلس" (شخيم)، القدس الشريف "أورشليم" فلسطين "أرض إسرائيل")^(٢). ونظراً لأن القرائين كانوا يتحدثون العربية المحلية، ويستعملونها في كل شؤونهم عدا الطقوس الدينية، فقد تم دمجهم تماماً في الثقافة العربية المصرية، حيث غالباً ما كانت "الكلم" تقوم بنشر شعر بالعامية المصرية "زجل" وهو فن من المألوف أن ينظر إليه على أنه علامة على الأصالة الثقافية، وكان شاعر الطائفة الأول "مراد فرج" وهو يقوم بتأليف الزجل العامي وقصائد العربية الفصحى، ويقال إن أسلوبه كان يشبه أسلوب الشاعر أحمد شوقي.

لقد كانت الطائفة القرائية ذات صبغة ثقافية مصرية عربية عميقة، على حين ظلت يهودية حتى النخاع حسب رؤيتها الخاصة لذاتها، لكن لم يكن لها حسب ادعائها أي ارتباط منظم بالصهيونية السياسية، حيث حاولت حركة الشباب الصهيوني الطليعي (هاحالوتس)^(٣) تنظيم الريانيين والقرائين في حارة اليهود، لكنها لم تحرز إلا نجاحاً محدوداً، فلم يكن للاتحاد الصهيوني بالقاهرة أية روابط مع القرائين، كما كانت قلة ضئيلة من المقيمين في حارة اليهود ينتمون إلى حركات الشباب الصهيوني.

لقد حاول الشاعر "مراد فرج" منذ أمد طويل تأييد وجود علاقات أوثق بين القرائين والريانيين، كما شجع بعضاً من الشباب المتعلم المحيطين بـ "الكلم" أن يسعوا إلى فتح قنوات اتصال مع الريانيين الذين كانوا يعدون أكثر "تقدماً"^(٤)، لكن هذا التقدم من قبل الشباب القرائين، خارج نطاق حدود طائفهم، جعلهم عرضة للتوجهات السياسية التي ظهرت في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث أصبح بعضهم صهاينة.

وطبقاً لإحصاء غير رسمي قامت به الوكالة اليهودية ادعت أنه في حلول عام ١٩٣٩ كان قد استقر ١٩ قراء في القدس ذوو أصول مختلفة، لكن بحلول ١٩٤٨ كان الوضع قد تغير حيث لم يبق في القدس سوى قراء واحد فقط (من أصل غير محدد). حيث يذكر أنه لم يشجع حاخام القرائين الأكبر المدعو "توفيا بابوفيتش" الهجرة القرائية إلى "إسرائيل"؛ بسبب الظروف السياسية غير المستقرة، وكذلك وضع

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٨٨

(٢) عبد الرحمن، الصحافة الصهيونية في مصر، ص ٣٠

(٣) عبد المنعم وآخرون، الصهيونية في مصر من مركز يافا، ص ٢٤

(٤) نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ١٩

القرائين الإشكالي هناك، وبالطبع كأمر يتعلق بالعقيدة الدينية كان بابوفيتش يعتقد أن اليهود لديهم ارتباط خاص بالأرض المقدسة وخاصة القدس، ولكن مع ذلك لم يصادق "بابوفيتش" على الصهيونية السياسية، ومما لا شك فيه أن رأيه قد أثر في الكثير من القرائين؛ مما جعلهم يبقون في مصر حتى عام ١٩٤٨، ويواصلون حياتهم الطائفية كالمعتاد. وبعد الحرب العربية- "الإسرائيلية"، بدأ عدد صغير من القرائين مغادرة مصر وتوطيد أنفسهم في "إسرائيل"، وحسب الإحصاءات، كان أول المغادرين أفقر أعضاء الطائفة، أو عائلات استثنائية ذات وسائل تمكّنها من نقل أصولها التجارية خارج مصر. لكن بالمقارنة كان أصحاب المشروعات التجارية والممتلكات، يميلون إلى البقاء في مصر لفترة أطول، ولم يكن القراءون على استعداد لتحويل أنفسهم من تجار ومهنيين مدنيين، إلى مزارعين ريفيين وعمال يدويين، وكان هذا هو المصير المرجح لمن يختار الهجرة "إسرائيل"^(١).

ب- الربانيون....

يعد الربانيون أكبر طائفة يهودية عدداً وانتشاراً في التاريخ القديم والحديث، وقد اشتق اسم الطائفة من كلمة "رابي" بمعنى حبر أو فقيه، لذلك يطلق عليهم أيضاً "الحاخاميون" وهم يؤمنون بأسفار موسى والتلمود وشروحه، على عكس القرائين المقتصرين في إيمانهم وتعاليمهم على التوراة، وكانت الحكومة المصرية تختار رئيس الطائفة اليهودية من الربانيين، وذلك ليكون ممثلاً رسمياً عن الطوائف اليهودية في مصر^(٢).

وقد كان الربانيون والقراءون يعملون معاً في المهن ذاتها في الأحياء المجاورة. فعلى سبيل المثال كان الدكتور اليهودي القرائي "موسى مرزوق" يعمل في المستشفى الرباني الذي كان يتردد عليه العديد من القرائين؛ نظراً لأن طائفتهم لم يكن لديها مرفق طبي خاص بها، وقد خصصت الطائفة القرائية مساهمة مالية سنوية، لدعم هذا المستشفى. كذلك دأب "موريس شماس" القرائي على الكتابة في الصحيفة الربانية "الشمس" فيما بين عامي ١٩٤٦-١٩٤٨، ثم تحول إلى الصحيفة القرائية نصف الشهرية "الكليم"^(٣).

بعدها ازدادت حدة التمييز بين القرائين والربانيين في عام ١٩٣٩، عندما أعلنت وزارة الداخلية الألمانية أن القرائين ليسوا يهوداً، وذلك بعد استشارة سلطات ربانية تقليدية، ويبدو أن ما دفعها لفعل ذلك، هو الرغبة في إنقاذ القرائين من التدمير على يد النازيين. ورغم الجوانب الغامضة التي أحاطت بالهوية اليهودية الخاصة بقرائي أوروبا في العصر الحديث، فقد كان الأمر مختلفاً تماماً في مصر، حيث لم يكن

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٩٢

(٢) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٢٣١

(٣) نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ٥٠

هناك أي شك في أن القرائين يهود. رغم أنه كانت هناك بالتأكيد نقاط توتر بين القرائين والريانيين بشأن قضايا تخص الشريعة والشعائر الدينية؛ لذلك حظرت الفرقتان الزواج بين أتباعهما^(١)، وقد التزم آخر حاخام أكبر للقرائين في مصر "توفيا بابوفيتش" بشكل شخصي بوجهة النظر التي تنص على أن القرائين الذين يتزوجون من ربايين يطردون من الطائفة، كما أنه أيد حظر التحول إلى المذهب القرائي رغم أن هذا التأييد كان يتعارض مع رغبات بعض أبناء الطائفة^(٢).

وبالمقارنة بذلك فإن "مراد فرج" وأتباعه المنتشرين بين المثقفين القرائين الشباب، قد دعوا صراحة إلى الزواج بين الفرقتين وإقامة علاقات أكثر بين القرائين والريانيين، وبالرغم من أنهم لم ينجحوا بشكل منهجي في تغيير الشريعة القرائية، إلا أنهم قد أثروا بالفعل على القرائين حيث جعلوهم يعززون روابطهم مع الطائفة الربانية. ويمكن القول إن كلاً من السلطات الحكومية واليهود الريانيين المصريين لم ينظروا إلى القرائين إلا على أنهم يهود^(٣).

وبلاحظ مما سبق أن تنوع الشعائر الدينية لم يستنزف التعددية التي تميزت بها الطائفة اليهودية المصرية، على الرغم من أن هذه الشعائر لم تراعى بشكل دقيق، ورغم وجود الكثير من اليهود متعددي الثقافات واللغات الذين حرصوا على التحدث بالعربية أو الإسبانية اليهودية أو الإيطالية أو اليايشية أو الفرنسية في المنزل.

إلا أن معظمهم حرص على ممارسة الاحتفالات الدينية التقليدية وشعائر البلوغ (البارمتسفاه)^(٤). وبما أنه عرف عن الإسكندرانيين أنهم يعدون بشكل تقليدي أكثر انفتاحاً على العالمية من القاهريين. لكن وجد آلاف اليهود من أبناء البلد الفقراء المتحدثين بالعربية في الإسكندرية، والذين تم تجاهل وجودهم نظراً لبروز العناصر العالمية والتجارية بشكل هائل، وقد كانت اللغة العربية هي المستخدمة بشكل واسع بين يهود القاهرة في المدرسة والمنزل، فقد كان من النادر العثور على يهود على علم بلغة واحدة فقط، وبالنسبة ليهود الطبقة الوسطى والعليا ذوي الإتجاهات العالمية والأوروبية، فلم يكن التزاوج بينهم وبين المسيحيين والمسلمين أمراً غير مألوف.

٢ - التصنيف الطائفي (اليهود السفارديم والأشكنازيم):

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٣٣٣

(٢) أبوكف، اليهود المصريين في الفكر والواقع المصري، ص ٦٧

(٣) علي، بارونات وبؤساء، ص ٥٤

(٤) البارمتسفاه: وهي كلمة آرامية الأصل تعني الابن المسؤول عن تنفيذ الأوامر والنواهي، وهي تطلق على اليهودي عند بلوغه سن النضج الثالثة عشرة ويوم عند الذكور والثانية عشرة ويوم عند الإناث، ويقام في هذه المناسبة احتفال ديني في المعبد. انظر:

السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ص ٣٦.

المقصود هنا تصنيف اليهود إلى سفارديم أي "يهود شرقيين" وأشكنازيم أي "يهود غربيين".

أ- **اليهود السفارديم:** والمقصود بهم يهود حوض البحر المتوسط والمشرق، الذين قدم كثير منهم إلى مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ بحثاً عن فرص أفضل للحياة في مصر؛ خاصة بعد افتتاح قناة السويس، ولكن بعضهم كان يقيم في مصر منذ قرون طويلة مثل عائلة موصيري. أما الأشكنازيم فقد جاء كثير منهم في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر من دول شرق أوروبا فراراً من الاضطهادات التي لحقت بهم هناك وخاصة في روسيا بعد أحداث ١٨٨٢^(١) (اغتيال القيصر نيكولا الثاني واتهام اليهود بالتخطيط للحادثة) ويمكن القول: إن التركيبة اليهودية في مصر اختلفت كثيراً في بنيتها نتيجة هذه الهجرات.

إن العرف قد جرى خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر على تشكيل لجان الطائفة اليهودية في مصر من أبناء العائلات التي احتفظت بمكانتها في المجتمع المصري، وكانت في إجمالها من السفارديم، وقد أسفر هذا الوضع عن حدوث بعض الانقسامات الطائفية، حيث حدث تصارع بين العائلات على زعامة الطائفة، مثلما حدث في الإسكندرية بين عائلة "أجيون" و"دي منشه"^(٢)، أو دعم وضع عائلي نتيجة اتفاق العائلات، مثلما حدث في القاهرة من تأكيد زعامة عائلة "قطاوي" التي حظيت بدعم عائلة موصيري نتيجة المصاهرة، واستمرت في زعامة طائفة القاهرة حتى الأربعينيات من القرن العشرين.

بيد أن الأشكنازيين لم يقبلوا بزعامة السفارديم، وطالبوا منذ عام ١٨٦٥ بإقامة طائفة أشكنازية منفصلة، وقد استمرت الخلافات بين السفارديم والأشكنازيم، ولكن من المؤكد أن السلطات المصرية نأت بذاتها عن التدخل في الشؤون الداخلية لليهود المصريين، وتكررت محاولات بعض أعضاء الطائفة اليهودية الناقمين على أوضاعها بالمطالبة بإقصاء رئاستها، أو حتى إلغاء طائفة القاهرة كلياً^(٣).

وأرسلوا خطاباً بهذا المعنى في آذار عام ١٩١٧ إلى حسين رشدي باشا رئيس الوزراء؛ موضحين طلبهم خاصة في ظل وجود جمعيات يهودية تقوم بالأعمال كافة التي تقوم بها رئاسة الطائفة، وبما يفوق هذه الأعمال، من خلال التنسيق وتنظيم المؤسسات الخيرية اليهودية مثل جمعية أو رابطة "بناي بريث"، وأنه في ظل وجود سلطة الحاخام الأكبر والمحكمة الحاخامية لا يوجد مسوغ لوجود رئاسة مدنية للطائفة^(٤). ولكن السلطات المصرية آثرت عدم التدخل، ولم ترد على الخطاب.

(١) عرفة، بارونات وبؤساء، ص ٢٠٤

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ١٩١

(٣) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٩٧

(٤) أبو كف، اليهود المصريين في الفكر والواقع المصري، ص ٥٧

لقد تعززت الهوية المصرية لعائلة قطاوي، من خلال روابطها بالأسرة المالكة، والفاعليات السياسية التي تولتها، منذ حصول يوسف أصلان على الباشوية عام ١٩١٢؛ مروراً -كما ذكرنا- بتعيينه في الجمعية التشريعية عام ١٩١٤، ثم تعيينه نائباً في مجلس الأمة عن دائرة كوم أمبو من ١٩١٥ إلى ١٩٢٢. كما قام زملاؤه النواب بانتخابه لعضوية اللجنة التي قامت بصياغة دستور عام ١٩٢٣، كما عمل وزيراً في حكومات زيوار باشا الموالية للملك في عامي ١٩٢٤-١٩٢٥، بالرغم من أنه تم إجباره على الاستقالة؛ لأنه حافظ على علاقة تتسم بالاحترام مع سعد زغلول زعيم حزب الوفد المعادي للملك؛ مما زاد موسى يعقوب قطاوي إصراراً على عدم تقديم استقالته من رئاسة الطائفة؛ متحدياً مجلس الطائفة ذاته الذي طالب بعض أعضائه بذلك؛ مما أدى إلى تقديم استقالتهم رغم مكانة الكثيرين منهم، والتي لا تقل عن مكانة أسرة قطاوي^(١).

ب- اليهود الأشكنازيم: توجهت الطائفة الأشكنازية بالقاهرة خلال عام ١٨٩٣ إلى اللورد كرومر القنصل البريطاني بمصر، وقدمت طلباً ترغب فيه أن تستقل عن الطائفة السفاردية، غير أن رؤساء هذه الطائفة بقيادة قطاوي عرقلوا هذه المحاولات، من خلال الضغط على السلطات المصرية، وذلك حتى لا تخسر الطائفة السفاردية قيمة الضرائب التي يسدها الأشكناز^(٢). حيث يتضح من إحدى الفتاوى التي يرجع تاريخها إلى نهايات القرن التاسع عشر، أنه تمت الاستجابة لرغبتهم، وكانوا قبل حصولهم على هذه الموافقة بفترة وجيزة، قد انفصلوا فعلياً، وأقاموا لأنفسهم طائفة منفصلة عن الطائفة السفاردية. وقد تم تعيين الحاخام "أهارون مندل هكوهين" عام ١٨٩٧، كحاخام للطائفة الأشكنازية، غير أن معارضيه أقالوه من منصبه؛ بسبب تشاوره الدائم مع الحاخامات السفارديم، في كل ما يتعلق بشؤون الطائفة، وعمل الحاخام هكوهين بعد خروجه من منصبه، قاضياً لدى المحكمة السفاردية، وقد تبعه عدد كبير من أبناء الطائفة الأشكنازية؛ إذ انضموا أيضاً إلى صفوف الطائفة السفاردية، وكان ذلك بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير بالنسبة للطائفة الأشكنازية، وتفاقت حدة التوتر في أوساط الطوائف سواء في القاهرة أم الإسكندرية، غير أنه عقب الحرب العالمية الأولى تزايدت حدة الأصوات المنادية بإنهاء تلك الحالة من التوتر والصراع^(٣).

ثالثاً - يهود مصر والرعاية الأجنبية:

(١) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ١٩١

(٢) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٢٧

(٣) شمس الدين الوكيل، الموجز في الجنسية ومركز الأجانب، ط٢، الإسكندرية، ١٩٦٦، ص ١١٢

كان من الأفضل بالنسبة للمرء في مصر أن يكون أجنبياً، حتى يتمتع بالامتيازات التي شملت الإعفاء من الضرائب والحصانة في مواجهة أية عقوبة، وفيما يتعلق بالمهاجرين اليهود الذين قدموا إلى مصر، سرعان ما تنبهوا إلى هذه المزايا التي يتمتع بها المرء عندما يكون أجنبياً، لذلك سعوا مع يهود مصر إلى الحصول على حماية القوى العظمى المتمتعة بهذه الامتيازات، وتزايدت خطورة هذا الوضع نظراً لحرص بريطانيا وفرنسا الدائم على مساندة الأقليات، حيث كان القنصل البريطاني أو الفرنسي يسارع بالتدخل لحماية أي يهودي أو مسيحي، حتى لو كانا من المواطنين العثمانيين عند تعرضهما لأي عمل عدائي^(١)؛ فضلاً عن مسارعة القناصل الأجانب دائماً وبكل سخاء لمنح حق المواطنة لكل من يرغب في الحصول عليها، وفيما بعد يصبح حقهم في التدخل أمراً مفروغاً منه. فعلى سبيل المثال أصبح أبناء عائلة دي منشه يتمتعون برعاية الإمبراطورية النمساوية المجرية، كما أصبح أبناء عائلة بينتو، وموصيري، وليفى، وكورييل، وأجيون من رعايا إيطاليا. وكل من أبناء عائلات عدس، ورولو، وهيراري من المتمتعين برعاية بريطانيا. وقد قدر عدد الأجانب من يهود مصر لعام ١٩١٧ بـ ٣٤٦٠١ نسمة، بينما قدر تعداد يهود مصر في العام ذاته بـ ٥٩٥٨١ نسمة^(٢).

ومن الواضح أن القناصل فضلوا منح حق المواطنة للشخصيات اليهودية المرموقة أو الثرية منهم، أما فقراء اليهود فقد ظلوا مواطنين عثمانيين أو محليين؛ نظراً لأنه لم يكن يوجد في ذلك الحين ما يعرف حالياً باسم المواطنة المصرية. ومع حلول نهاية القرن التاسع عشر كان معظم يهود مصر من الرعايا الأجانب المتمتعين بالامتيازات وبرعايا القوى الأوروبية وبرعايا الولايات المتحدة الأميركية^(٣).

١ - موقف اليهود من الجنسية المصرية:

حرص كثير من اليهود الذين وفدوا إلى مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين على الاحتفاظ بجنسيتهم الأصلية، على ضوء الامتيازات التي ترتبت على الأجانب؛ نتيجة زيادة النفوذ الأجنبي في مصر، وقد رتبت هذه الامتيازات الأجنبية وضعاً متميزاً للأجانب، ومن ضمنهم اليهود الذين هاجروا إلى مصر، ومن الواضح أن البعد النفعي (الاقتصادي) هو الذي ميز طبيعة الحرص اليهودي على التمتع بجنسيات أجنبية، بدليل سعي كثير من العائلات اليهودية المصرية، والمقيمة في مصر منذ أمد بعيد الحصول على الجنسية الأجنبية، مثل عائلة قطاوي التي حصلت على

(١) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٢٨٣

(٢) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٢١٣

(٣) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ١٧٣

الجنسية النمساوية، كما فضل بعض اليهود الذين لم يستطع معظمهم الحصول على الجنسية الأجنبية أن يظل بلا جنسية محددة، على أن يسعى للحصول على الجنسية المصرية^(١).

وكان اليهود ذوو الجنسيات الأجنبية يقومون بشراء تلك الجنسيات من الممثلين القنصليين الأوروبيين؛ سعياً إلى أن تشملهم حمايتها المحلية، بوصفهم وكلاء تجاريين أو ذوي نفوذ، يمكنهم التدخل في الشؤون المصرية في أثناء الفترة الاستعمارية^(٢). فحصلت أعداد كبيرة من العائلات اليهودية في مصر على الرعاية الأجنبية، ورغم ذلك جاء في قانون الرعاية المصرية الصادر في عام ١٩٢٩ "أنه يحق لكل مواطن أن يكون مصرياً طالما لم يثبت أنه ينعم برعاية جهة أخرى". ولكن طرأت بعض التغيرات على هذا القانون في مرحلة لاحقة فأقرت الصيغة الجديدة للقانون "أنه يحق لكل من ولد جده في مصر أو من يثبت أن عائلته كانت موجودة في مصر منذ عام ١٨٤٩ وبشكل مستديم التمتع بالجنسية المصرية"^(٣).

فالأجانب حصلوا على امتيازات أجنبية في التشريع والنظام المالي والضرائبي وحرية الحركة والنشاط، إلى حد خطير يمكن تلخيصه في جملة واحدة، وهي أن تلك الامتيازات جعلت من الأجانب في مصر - دولة داخل دولة - وكان اليهود الأجانب ضمن هؤلاء المستفيدين من الامتيازات الأجنبية وهو أمر طبيعي بالنسبة لهم كونهم أجانب، أما الأمر غير الطبيعي هو لجوء بعض اليهود المصريين (المتجنسين بالجنسية المصرية) للاستفادة من خاصية الامتيازات، من خلال السعي للحصول على الجنسيات الأجنبية أو على الأقل ما يسمى بالحماية الأجنبية، ولها قوة الامتيازات نفسها.

بعد ذلك تغير الوضع عند صدور قانون مونترو عام ١٩٣٧ الذي جاء نتيجة تصاعد حركة التمييز بإلغاء الامتيازات الأجنبية، وما ترتب على ذلك من إلغاء تدريجي للامتيازات الأجنبية، بلغ تطوره في قانون الشركات ١٩٤٧. ومع تغير الأوضاع تتبدل الاتجاهات، فما كان بالأمس متروكاً أصبح اليوم مقبولاً، فالجنسية المصرية لم يهتم بها اليهود سعياً وراء الجنسية الأجنبية لفائدة الامتيازات، ثم يتركون الأجنبية سعياً للحصول على الجنسية المصرية بعد أن تلغى الامتيازات الأجنبية. بيد أن هذا القانون الذي صدر في ١٩٤٧ أظهر بجلاء أن الجنسية المصرية عند بعض اليهود قيمتها من مقدار العائد المادي والأدبي والسياسي بالقياس للجنسيات الأجنبية، والحمايات التي حصلوا عليها.

وبالنهاية تضخم هذا الوضع الشاذ بعد صدور قانون الشركات؛ مما كان سبباً للمطالبة في التمييز. فأصبح الموقف سنة ١٩٤٧ عبارة عن وجود ثلاث فئات من اليهود؛ الأولى واضحة وهم اليهود الأجانب

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٨٣

(٢) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١١٣

(٣) كيوان، اليهود في الشرق الأوسط، ص ٨

وعدهم ٤٨٠٨ نسمة، والفئة الثانية واضحة أيضاً وهم اليهود المصريون وعددهم ٥٠٨٣١ نسمة، إلا أن وثائق مصلحة الشركات تثبت وجود طائفة ثالثة من اليهود عرفوا بأنهم غير معيني الجنسية، ولم تكن أعدادهم قليلة، وذلك ما أثبت في صحف اليهود، إذ كانت هذه القضية أحد الموضوعات التي تطرح من وقت لآخر في أعداد جريدة الشمس والصراخة وغيرها، كما أثبتت في دوريات مصرية غير يهودية^(١).

والسؤال المطروح هنا إلى أي فئة كانت إضافة اليهود غير معيني الجنسية، هل لليهود الأجانب أم لليهود المصريين؟ في الواقع كانت إضافتهم شكلية ومشروطة لليهود المصريين، ذلك أن المشرع أوضح هذا الأمر في المادة ٢٢ من قانون الجنسية المصرية الصادر سنة ١٩٢٩، حيث أتى كون أن كل من يسكن الأراضي المصرية مصرياً ويعامل بهذه الصفة، إلى أن تثبت جنسيته على الوجه الصحيح، مع حرمانه من مباشرة الحقوق السياسية في مصر، إلا إذا تثبتت جنسيته على الوجه الصحيح^(٢).

وهو بهذه الصفة لا يرقى إلى مرتبة المواطنين من حيث مدى تمتعهم بالحقوق وإخضاعهم للتكاليف في الدولة التي ينتمون إليها. وأمام هذه القيود في صفة المواطنة، كان على هؤلاء اليهود غير معيني الجنسية أن يبحثوا بكل الطرق عن وسيلة اكتساب الجنسية المصرية، بعد أن أصبحت المصرية صفة أساسية لولوج ميادين العمل والنشاط العام؛ خاصة بعد إلغاء الامتيازات الأجنبية. ففي إحصاء عام ١٩٢٧ كان عدد المتقدمين للحصول على الجنسية المصرية ٣١٢٣٠ نسمة من مجموع اليهود في مصر البالغ ٦٣٥٥٠ نسمة، وفي عام ١٩٣٧ جاء عددهم ٢٢٦٥٥ نسمة من إجمالي يهود مصر البالغ عددهم ٦٢٩٥٣ نسمة، وبدأنا نلاحظ انخفاض نسبتهم ارتباطاً بالوضع السياسي العام؛ وخاصة بعد توقيع معاهدة ١٩ نيسان ١٩٣٦ بين بريطانيا ومصر، وزيادة الوعي والحس القومي المصري، وتوقيع معاهدة مونترو في ١٩٣٧؛ لذلك نرى أنه في عام ١٩٤٧ كان مجموع اليهود الأكثر في مصر قد بلغ ٦٥٦٣٩ نسمة، مثل الأجانب فيهم ١٤٨٠٨ نسمة أي نسبة ٢٢,٦%^(٣).

وهكذا بعد أن تصاعد الأحداث على الساحة الفلسطينية، إلى حد وقوع الصدام بين العرب من جهة واليهود من جهة أخرى، وإلغاء الامتيازات الأجنبية، أدت هذه الظروف إلى إقدام اليهود الأجانب وغير محددى الجنسية على تقديم طلبات التجنس بالجنسية المصرية؛ مطالبين بفتح باب حصولهم عليه، وكان على رأس المهتمين بهذا الأمر، رئاسة الطائفة اليهودية ذاتها في القاهرة والإسكندرية^(٤)، حيث نشرت إعلاناً في مدينة القاهرة تحت أبناء طائفتها على الإسراع بالتقدم للحصول على طلب الجنسية، الذي وضع إلى أي حد اهتمت رئاسة الطائفة اليهودية بأمر الجنسية المصرية، فهي لم تترك لأفرادها غير

(١) الوكيل، الموجز في الجنسية، ٦١

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ٧٨

(3) Schifra Strisower, Exotic Jewish Communities, T.yoselobb London, 1960, p78.

(٤) بنين، شتات اليهود المصريين، ص ٨٥

الحاصلين على الجنسية مهمة القيام بأنفسهم بطلب التجنس؛ بل فتحت مكتباً أعد خصيصاً في كنيس الإسماعيلية؛ لتوجيه النصح والإرشاد، ومراجعة الأوراق والمستندات المقدمة. ومثلما فعلت رئاسة الطائفة في القاهرة، فعلت أيضاً رئاسة الطائفة في الإسكندرية. وكنتشجيع من رئاسة الطائفة في كل من القاهرة والإسكندرية أنهم قدموا المستندات المطلوبة مقابل نصف الرسوم وأحياناً ربعها، وذلك للمساعدة والتسهيل لمواجهه تلك الظروف التي -كما قلنا- كادت أن تتفجر فجأة بعد صدور قانون الشركات عام ١٩٤٧^(١).

ونتيجة لدراسة هذه القوانين اتضح أنها لم تكن موجهة إلى اليهود تحديداً، حيث كان أبناء الطوائف المتمصرة الأخرى من غير المسلمين والمقيمين لفترة طويلة في مصر من المسيحيين السوريين واليونانيين والإيطاليين والأرمن يعاملون بالمثل. لكن الكثير من أبناء الطائفة عملوا على تفسير القانون بشكل خاطئ، وانصبّ فهمهم لهذا القانون أو لغيره على أنه وضع خصيصاً لإبعاد اليهود، أو لتحديد نشاطهم في مصر. والدليل على ذلك أن المحلات التجارية الكبرى التي يمتلكها يهود، أخذ أصحابها في مطالبة موظفيه اليهود دون سواهم بإثبات جنسيتهم المصرية^(٢).

ولم يتوقف الأمر عند ذلك فقط؛ بل تعداه إلى مغالطات كثيرة تنبأها يهود مصر إزاء موضوع الجنسية المصرية، وخير مثال على ذلك ما كتبه الكاتبة اليهودية "أدا أهاروني" التي ولدت في مصر وعاشت وتربت فيها إلى أن هجرتها عام ١٩٤٩، حيث ذكرت أن من حصل على الجنسية المصرية لم يتعد ٥% من مائة ألف يهودي مقيمين في مصر، وأن هؤلاء من كبار أثرياء اليهود، وحصلوا عليها بالرشوة^(٣).

وبالطبع المغالطة هنا راجعة إلى الجهل بالمعلومات واحتمال الإساءة المتعمدة، فمن ناحية - إن عدد يهود مصر وفقاً لتعداد ١٩٤٧ لم يصل إلى مائة ألف؛ بل كان عددهم ٦٥,٦٣٩ نسمة. وهو أكبر تعداد وصل إليه في كل تاريخ مصر الحديث والمعاصر - ولما كان أسلوب تناول اليهود للجنسية المصرية يأخذ هذا الطابع الحاد، فإن الأمر لا يخلو من وجود ملامح لرد فعل من المصريين غير اليهود، فكتبوا عن طبع اليهود في ازدواجية الولاء لأكثر من دولة واحدة، وأن لهذا المسلك أثره المضاد في عمق الإحساس ودرجة الانتماء إذا ما تصادمت المصالح، وكان لا بد من وضع حد ونهاية، لا للتضييق على اليهود أو الأجانب؛ بل لوضع الأمور في نصابها الصحيح، وحتى يأخذ المصريون حقهم وفرصهم في العمل والإنتاج، سواء أكان هذا المصري مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً...^(٤)

(١) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٢٩

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ٧٩

(٣) الوكيل، الموجز في الجنسية، ص ٦٢

(٤) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٨٦

وواضح أن قانون الشركات قانون عادل، لا ضرر فيه ولا ضرار، من منظور مصلحة الدولة والوطن والمواطن، شأن مصر في ذلك شأن كل الدول والأوطان. ولكن تبين أن سبب كل تلك الضجة التي أثارها اليهود، هو تصادم اللوائح والظروف في وقت واحد متلاحق، بداية مع معاهدة مونترو عام ١٩٣٧، يليه قانون الشركات سنة ١٩٤٧ وقيام دولة "إسرائيل" وحرب فلسطين وانعكاساتها على يهود مصر ١٩٤٨، وإلغاء المحاكم المختلطة وامتيازات الأجانب ١٩٤٩، وغير ذلك من الأنظمة؛ لتشكل ضغطاً كبيراً على يهود مصر.

رابعاً - بنية الطائفة اليهودية في مصر:

كانت الحرية التي منحت للطوائف اليهودية في مصر طيلة فترة الحكم العثماني لها، هي السمة الأساسية المميزة لوجود هذه الطوائف؛ حيث أدارت الطائفة شؤون حياتها على نحو مستقل، فكانت للطائفة قيادة دينية وأخرى دنيوية. كما أسست العديد من المؤسسات الاجتماعية والدينية المستقلة التي كانت صلاحيتها القضائية متشعبة، وبينما كان المجتمع اليهودي شديد التمسك بإطاره الطائفي حتى القرن التاسع عشر، لكنه شهد خلال النصف الثاني من القرن ذاته انشفاقاً، نجم بدوره عن روح التوتر التي خيمت على علاقات أبناء الطوائف المختلفة داخل المجتمع اليهودي، كما نجم عنه ضعف الطائفة اليهودية وتدهور مكانتها وإضعافها من الداخل^(١).

وقد حاولت هذه الطوائف خلال منتصف القرن التاسع عشر - تلك الفترة التي شهدت تزايد قوة حركة الهجرة اليهودية من إيطاليا وألمانيا إلى مصر - الحصول على رعاية بعض القوى الأجنبية، فعقدت الطائفة اليهودية في الإسكندرية عام ١٨٥٥ اجتماعاً^(٢)، قررت خلاله الحصول على رعايا الإمبراطورية النمساوية المجرية، وحظي هذا المطلب بالموافقة.

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن السلطات المصرية لم تتدخل في بنية الطائفة حيث تمتعت بالحكم الذاتي. وقد عكست الصحف اليهودية خاصة "الشمس"^(٣) حرص أبناء الطائفة على اختيار من يمثلهم في مجالس الطائفة، والدعوة إلى الانتخابات، والإعلان عن موعدها، والمشاركة بالرأي لمن يتقدم بترشيح نفسه، كما تبنت الدعوة إلى فكرة "مجلس طوائف مشترك" يضم ممثلين عن جميع الطوائف اليهودية في مدن مصر.

١ - المؤسسة الحاكمة :

(١) أحمد غنيم، أحمد أبو كف، اليهود والحركة الصهيونية في مصر ١٨٩٧-١٩٤٧، كتاب الهلال، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٧٩

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٤٥٥

(٣) أبو النور، دور القصر في الحياة السياسية، ص ٧٦

اعتمدت المؤسسة الحاخامية في مصر على وجود حاخام للطائفة، وقد استمد هؤلاء الحاخامات صلاحياتهم من تبحرهم في الشريعة اليهودية، وليس من انتمائهم إلى مؤسسة بعينها، وقد منح كل من كبير حاخامات القاهرة وكبير حاخامات الإسكندرية خلال القرن التاسع عشر حق الفصل في النزاعات التي تنشأ بين اليهود المقيمين في المدن القريبة من القاهرة والإسكندرية، وأثار عدم وجود قيادة دينية ثابتة بعض الصعوبات، كما سعت بعض الطوائف الصغيرة إلى تعيين بعض الزعماء الدينيين المحليين^(١).

وكان مجلس الطائفة اليهودي بالقاهرة يتكون من: مقر المجلس، والحاخام الأكبر "حاييم ناحوم أفندي"، ورئيس المحكمة اليهودية للدائرة الأولى: الحاخام يهودا مسلتون، ورئيس المحكمة اليهودية للدائرة الثانية: الحاخام نسيم أوحنا، وسكرتير الحاخامباشي: موشي صنوا، وسكرتير الحاخامية وإدارة الطائفة: إبراهيم عزرا. أما مجلس إدارة الطائفة فكان يتألف من رئيسها؛ يوسف قطاوي، ونائب الرئيس ايزاك نكامولي - ايلي موصيري، وسكرتيري مجلس الإدارة ألبير حاييم - يوسف فارحي، وأميني الصندوق: أميل نسيم عدس - ليون يعبيس، وكان من أعضاء مجلس الإدارة: رينيه قطاوي - أ.ج. ليفي - سلفاتورا سكاكي - سليم بيجو - هيكتور قطاوي - عزرا رودريج - موريس موصيري - شيمون كراسو - جاك ليفي جريوعه - حاييم برشيلون^(٢).

أما مجلس الطائفة بالإسكندرية، فكان يتألف من الحاخام باشي دافيد براتو، ونائبه يعقوب توليدانو، ورئيسه روبير رولو، وكان نائب الرئيس أدوين جوهر، وسكرتيره روفائيل توريل. وكان من أعضاء مجلس الإدارة: بنفينو توكاميرس - رينية اسمعلون - د. شليزنجر - فليكس طوبي - موريس أجيون - دافيد شيكوريل - الفريد كوهين - جاك جوهر - ماركو نادلر - روفائيل نحمدان - روفائيل دويك^(٣).

وقد كانت لرئيس مجلس الطائفة سلطات شرعية واسعة في الإشراف على شؤون الطائفة، مثل تنظيم العلاقة بالسلطات الرسمية، والإشراف على مصادر إيرادات الطائفة، من ضرائب وتبرعات، والإشراف على المعابد والمعاهد الدينية وإيراداتها ومخصصاتها من "الهقدش" أو الاوقاف، وإدارة شؤون المقابر والمجازر وتقديم الخدمات الاجتماعية كافة^(٤).

٢ - مسميات الحاخامات (انتخابهم وصلاحياتهم):

(١) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ١٨١

(٢) علي، ملف اليهود في مصر، ص ١٨

(٣) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥٢٠

(٤) ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٢٩٠

أطلقت مسميات عديدة على حاخامات الطوائف اليهودية في عموم نواحي مصر، وكان من أبرزها مسمى "الحاخام" أو "الراف"، ومع هذا فقد أطلقت عليهم مسميات أخرى كان من بينها "الرئيس والضابط" كما أطلق مسمى "معلم التوراة" على كبير الحاخامات في كل من القاهرة والإسكندرية، وفيما يتعلق بمسمى "عرين التوراة" فلم يكن شائعاً في أوساط يهود مصر، ومع هذا فقد أطلق هذا المسمى على كبير حاخامات يهود الإسكندرية خلال القرن التاسع عشر. وكانت مهام الفصل في المنازعات، والتعليم التي كانت تلقى على عاتق الحاخامات، تستلزم توفر صفات معينة فيهم، وكان على الحاخام في مصر، كما يتضح من مؤلفاتهم أن يكونوا متبحرين في شؤون الشريعة^(١).

وقد حرصت كبرى الطوائف اليهودية في مصر على تعيين حاخامات على قدر رفيع من الثقافة، في حين اكتفت الطوائف اليهودية الصغيرة بتعيين حاخامات يستطيعون الفصل في المنازعات وإلقاء الخطب والمواعظ. وعند تعيين الحاخام لم يكن من الضروري أن يكون من نسل أسرة عريقة، كما لم تكن هناك أية قيود على السن، وكان على الحاخامات أن يجيدون على الأقل كلاً من العربية والعبرية.

وكان من صلاحيات الحاخام معاقبة الخارجين عن القانون، وقد ساد وضع شبيه في أوساط يهود الإسكندرية، عندما حصل حاخام القاهرة خلال القرن التاسع عشر على بعض المال نظير إتمامه عقد إحدى الزيجات، ثم أقر المجتمع اليهودي أنه ليس من الجائز قيام أي حاخام بعقد هذه الطقوس، حتى لا يتعدى على حدود كبير الحاخامات، وكان كبير الحاخامات يتلقى خلال القرن التاسع عشر أجره من خزانة الطائفة، وقد ورد في سجلات الطائفة اليهودية في الإسكندرية أن الأجر السنوي لكبير الحاخامات كان يقدر عام ١٨٥٤ بـ ١٥٠٠٠ قرش مصري^(٢). لكن لم يذكر معلومات عن ذلك في مطلع القرن العشرين.

أما بشأن مصدر رزقهم، فقد كان بعض حاخامات يهود مصر شديدي الثراء، ولم يكونوا في حاجة للعيش من مهنتهم، وعلى سبيل المثال، فقد اشتغل الحاخام ديفيد بن زماره بالتجارة، وعلى هذا لم يكن في حاجة للحصول على أجر مهنته كحاخام، إلا أننا لا نعرف الحد الأقصى للأجر الذي كان يتقاضاه الحاخام. وكان الحاخام يحصل في بعض الأحيان على مأوى للإقامة به، حيث حصل الحاخام "موشيه دموهي" الذي كان حاخاماً لطائفة يهود المغرب بالقاهرة على مسكن من الطائفة^(٣).

(١) علي، بارونات وبؤساء، ص ٧٨

(٢) عبده، قاسمية، يهود البلاد العربية، ص ١٨٥

(٣) هارون، يهودي في القاهرة، ص ٩٢

وقد شكلت بالقاهرة لجنة العاريا^(١) برئاسة إيزاك ليفي، ومهمتها جمع هذه التبرعات، بحد أدنى جنية واحد في السنة. وترأس لجنة العاريا بالإسكندرية ألبرت عبود. كذلك شكلت تبرعات أثرياء يهود مصر وأوروبا وأرباح الاستثمارات والمشروعات الخاصة والحفلات الخيرية وإيجارات ممتلكات الطائفة مورداً مهماً لتمويل المؤسسات الاجتماعية والثقافية والرياضية اليهودية؛ مما يؤكد النشاط البارز للطائفة واندماجهم في المجتمع المصري حتى عام ١٩٤٨ ومقوضاً لفكرة "الاغتراب" التي روجت لها الصهيونية العالمية^(٢).

وكان من أهم الحاخامات الذين تقلدوا هذا المنصب في القاهرة، خلال الفترة الممتدة من أواخر القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين: الحاخام ديفيد شبتاي طاراجانو الذي توفي عام ١٨٩٠، والحاخام رفائيل أهارون شمعون الذي شغل هذا المنصب خلال أعوام ١٨٩١ حتى ١٩٢١. أما فيما يتعلق بكبار حاخامات الإسكندرية خلال أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، الحاخام الياهو حازان (١٨٨٨-١٩٠٨) والحاخام أفراهم أفيزير، والحاخام رفائيل دي لاه فرجولاه (١٩١٠-١٩٢٣)، والحاخام دافيد براتو (١٩٢٣-١٩٤٨) أما فيما يتعلق بسائر المدن فلا نعرف شيئاً عن أسماء حاخامات اليهود بها، ولكن من المعروف أن القضاة اليهود في سائر المدن، قاموا في أحيان كثيرة بمهام الحاخامات^(٣).

أما فيما يتعلق بقرار تعيين الحاخامات، فقد كان منحصراً في أيدي رؤساء الطائفة، وأبناء الصفوة من اليهود، كما أن الحاخام كان يوقع عند شغله هذا المنصب على معاهدة مع أبناء الطائفة، وكانت هذه المعاهدة تتضمن تحديد مهامه والفترة التي سيشغل فيها هذا المنصب. وفي بعض الأحيان كان تعيين الحاخامات يثير خلافات داخل الطائفة. وليس هناك ما يدل على أن هذا المنصب كان يشترى بالمال^(٤).

كما أن السلطة لم تتدخل بتعيين الحاخامات أو عند إقصائهم من مناصبهم، وبالرغم من أنه كان من اختصاصات السلطة في القرن التاسع عشر التصديق على تعيين كبير الحاخامات في كل من القاهرة والإسكندرية، فإن الطائفة كانت تتولى مسؤولية انتخاب الحاخام.

وقد شهد القرن التاسع عشر ظاهرة اشتغال بعض الحاخامات اليهود الفلسطينيين في كل من القاهرة والإسكندرية، فقد عمل مبعوثون من يهود فلسطين في القاهرة، منهم الحاخام رفائيل أهارون بن شمعون الذي عمل حاخاماً لمدينة القاهرة خلال الفترة الممتدة من عام ١٨٩١ حتى عام ١٩٢١. والحاخام "إياهو

(١) العاريا: وهي أهم مواد تمويل المؤسسات الاجتماعية والثقافية عن طريق مجالس الطائفة. انظر: علي، ملف اليهود في مصر،

ص ٨٩

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥٣٤

(٣) عبده، قاسمية، يهود البلاد العربية، ص ١٨٥

(٤) أبو كف، اليهود المصريون في الفكر والواقع المصري، ص ١٩١

حازان" الذي تقلد منصبه كبير الحاخامات في مدينة الإسكندرية حيث ساد فيها الوضع ذاته^(١). وكما يبدو فقد كان يتم تعيين الحاخام لفترة زمنية محدودة، ومع هذا فقد كان يتم مرة بعد الأخرى تجديد منصبه. كما أن زعاماتهم لم تتعرض إلى أي انتقادات من قبل الآخرين أو من قبل القيادة الدنيوية. ولا شك في أن الحاخامات الذين شغلوا مناصبهم على مدى سنوات طوال تمتعوا بقدر كبير من الصلاحيات. كما يبدو أن عملية قيام الحاخام بتوريث منصبه إلى أبنائه لم تكن شائعة. ومع هذا فقد كان لهذه الظاهرة وجود شرعي..

وكانت عملية انتخاب كبير الحاخامات في كل من القاهرة والإسكندرية خاضعة لقادة الطائفة المحلية، حيث كانت الطائفة تخبر الحكومة باسم مرشحها. وتكتفي السلطة بإصدار فرمان رسمي للتصديق على انتخابه. وقد جاء في سجلات طائفة الإسكندرية التي تعود إلى عام ١٨٧٢ أن كبير الحاخامات يتمتع بمزايا عديدة كان من بينها منحه حق رفع كتاب التوراة يوم السبت وتلاوة الوصايا العشر أمام المصلين^(٢).

وكانت صلاحيات الحاخام تتحدد خلال فترة شغلهم لمناصبهم، فكان نشاطهم في مجال تدريس الشريعة يعتمد إلى حد كبير على شخصيتهم وكفائتهم ومسؤوليتهم الشخصية، وكان الحاخامات يشعرون بأنهم مسؤولون عن تدريس الآخرين كل ما يتعلق بشؤون الشريعة. كما كان يوجد بجوار الحاخامات من يسمونه بـ"الفقهاء"، وكانت مهامهم تقتصر على تدريس الشريعة فقط، ولم تكن لهم في المقابل أي صلاحيات قضائية. وقد كان لحاخامات الجماعات والطوائف صلاحيات قضائية. ومن الواضح أن حاخامات الطوائف في مصر اشتغلوا أيضاً في فصل القضايا المالية^(٣). وقد ساد في طوائف السفارديم على خلاف الوضع السائد في أوساط الطوائف الأشكنازية ظاهرة إصدار كبير الحاخامات لسندات خاصة به. وقد كان من الضروري أن تحظى قرارات أي جماعة بموافقة الحاخام المحلي حتى تصبح سارية المفعول. فقد كان من الضروري أن يوافق الحاخام على ما تحرّمه أو تجيزه الجماعة. وما تدخله من تعديلات على نظام الصلوات.

فقد وقع حاخامات مصر على العديد من الفتاوى، مثل عقود الزواج التي تم إقرارها في القاهرة من عام ١٩٠١ والتي كان يوقع عليها كبير حاخامات القاهرة والإسكندرية^(٤)، كما قام حاخامات كل من القاهرة والإسكندرية في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، بإصدار كتاب يتضمن كل

(١) لاندو، تاريخ اليهود في مصر في الفترة العثمانية، ص ٥٣٩

(٢) هارون، يهودي في القاهرة، ص ٩٢

(٣) ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٢٨٩

(٤) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٢٠

فتاوى ونظم المجتمع اليهودي في مصر، كما كان من بين أنشطة بعض الحاخامات تلقين التوراة في المدارس الدينية، ورثاء الموتى سواء أكانوا من الشخصيات المهمة أم من عامة اليهود.

كما قاموا أيضاً بالإشراف على الجزارين العاملين في أوساط طوائفهم، للتأكد من طهارة سكاكينهم. وكان يحق أيضاً لكبير الحاخامات إقصاء الموظفين اليهود من مناصبهم، كما كان من بين أنشطة الحاخام بحث بعض المسائل المهمة مثل افتداء الأسرى، وذلك بالتعاون مع القيادة الدنيوية المدنية. وقد كان الحاخام إيلياهو حازان من أكثر الحاخامات تحمساً في الدفاع عن أبناء طائفته في مواجهة أية اتهامات توجه إليها^(١). وكان الحاخام ينظر في القضايا الشخصية الخاصة بأبناء طائفته، فكان يوقع على موثيق الزواج، كما أعطى حاخامو القاهرة والإسكندرية لحاخامات القرى المجاورة حق ممارسة مهامهما في مباركة الزيجات. وفي نهايات القرن التاسع عشر كان حاخام اليهود في القاهرة يقوم بإجراء التحريات اللازمة قبل أن يسجل اعتناق بعضهم لليهودية، وكان من بين اختصاصاتهم الإشراف على فسخ أي خطوبة. وكما يبدو لم تمنح السلطات حتى القرن التاسع عشر للحاخامات حق تمثيل اليهود أمامهم^(٢).

٣ - تعيين كبير الحاخامات وصلاحياته:

فيما يتعلق بصلاحيات كبير الحاخامات، فقد كان مسؤولاً عن المهام التي كان يقوم بها الحاخامات والتي أشرنا إليها مسبقاً، حيث كان الحاخام باشي يمثل أعلى سلطة قضائية في المدينة، وقد كتب الحاخام "رفائيل أهارون بن شمعون" بخصوص كبير حاخامات القاهرة: "يشرف كبير الحاخامات على كل أنشطة اليهود في القاهرة، ولا يحق لأي حاخام آخر أن يصدر أي حكم حتى لو كان ذلك الحاخام أكثر اطلاعاً من كبير الحاخامات، ولا يحق لأحد سوى كبير الحاخامات التصديق على الزيجات"^(٣)، ولكن كما يبدو فقد أراد الحاخام إيلياهو يسرائيل كبير حاخامات القاهرة أن يدخل بعض التعديلات الجزئية على حياة سائر الطوائف التابعة للطائفة اليهودية في القاهرة، فقد طلب من المسؤول عن الشؤون المالية بطائفة المحلة الكبرى نقل فائض الأموال التي تأتيه من التبرعات الآتية من القاهرة والإسكندرية وفلسطين وسورية إلى خزانة الطائفة بالقاهرة، وأثار هذا المطلب حفيظة كبير حاخامات المحلة الكبرى، الذي علق على هذا المطلب بقوله "لسنا عبيداً لكم"^(٤).

(١) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ١٩٥

(٢) ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٢٨٩

(٣) هارون، يهود في القاهرة، ص ١٣١

(٤) علي، ملف اليهود في مصر الحديثة، ص ٢١

أما فيما يتعلق بسجلات الطائفة اليهودية في الإسكندرية^(١)، التي يعود تاريخها إلى عام ١٨٥٤ فقد تضمنت طبيعة مهام كبير الحاخامات فجاء بها: "إن من بين مهام كبير الحاخامات تنفيذ كل ماله صلة بالدين وكل ماله صلة بالحلال والحرام والإشراف على أنشطة الجزارين ورئاسة جلسات المحاكم والاهتمام بتنفيذ كل اليهود للشرائع الدينية" لكن سجلات الطائفة اليهودية في الإسكندرية التي يعود تاريخها إلى عام ١٨٧٢^(٢) تفيد أنه قد ساد في أوساط يهود الإسكندرية اتجاه دعا إلى تقليص صلاحيات كبير الحاخامات حيث جاء فيها أنه يحق لكبير الحاخامات الإشراف على القضايا الدينية، وتلك الخاصة بالتعليم الديني فقط.

٤ - المحاكم:

تمتعت المحاكم اليهودية بنوع من الحرية، كما تفيد مصادر القرن التاسع عشر أن السلطات منحت المحاكم اليهودية حق بحث قضايا الأحوال الشخصية؛ بل ومنحت هذه المحاكم حق الاستعانة بالشرطة لتنفيذ ما تصدره من أحكام.

وفي بداية عام ١٨٨٣ أدخلت بعض التعديلات على النظام القضائي اليهودي في مصر، تم بموجبها منح المحاكم اليهودية صلاحية البت في قضايا الأحوال الشخصية والمواريث، أما القضايا المالية فقد كانت من اختصاص المحاكم المدنية المصرية. كما تم سلب المحاكم الربانية حق بحث القضايا الجنائية^(٣).

وتم تطبيق القوانين المدنية المصرية الخاصة بقضايا الأحوال الشخصية. أما فيما يتعلق بسائر مراكز التجمعات اليهودية، فقد كانت تابعة من الناحية القضائية -بخاصة فيما يتعلق بالمواضيع الدينية- لمحكمة القاهرة أو الإسكندرية. وقد كانت للمحكمة اليهودية في القاهرة في مطلع القرن العشرين صلاحيات واسعة النطاق، ولكنها كانت مرتبطة بالسلطات فيما يتعلق ببعض القضايا^(٤).

وكان من بين الظواهر التي شاعت في أوساط المجتمع اليهودي في مصر لجوء اليهود إلى المحاكم غير اليهودية في بعض حالات القضاء الخاصة، مثل كتابة سندات معينة والتصديق عليها، أو نقل ملكية الأرض، أو تسجيل سندات إيجار، وشراء العقارات وسندات القروض؛ فضلاً عن حالات رفع دعاوى ضد الأغيار، وضد اليهود الخارجين عن القانون الراضين الخضوع لتعاليم الديانة اليهودية. وبالرغم من أن فقهاء الطوائف سعوا دائماً إلى وقف ذلك. حيث كانوا يهددون أبناء ديانتهم باللجوء إلى

(١) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥٣٩

(٢) أبوكف، اليهود المصريون في الفكر والواقع المصري، ص ٢٣

(٣) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والدعوان الثلاثي، ص ١٩٧

(٤) ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٢٠١

القضاء الإسلامي في حال إصرارهم على عدم تسوية الأمور في إطار الطائفة. كما كانت كثيراً ما تعرض القضايا الخاصة بالأحوال الشخصية أمام القضاء غير اليهودي، فكانت المرأة تتوجه على سبيل المثال إلى القضاء غير اليهودي؛ نظراً لرفض المحكمة تزويجها أو تطليقها أو منحها حقها في الميراث^(١).

وقد حاول حكماء الطوائف اليهودية وفقهاؤها عبثاً القضاء على هذه الظاهرة التي أسفرت عن مشكلات ضخمة، ولم تصلنا أي شهادات عن وجود أي محاكم مختلطة بين اليهود والمسلمين.. حيث تقلصت صلاحيات المحاكم اليهودية خلال القرن العشرين أمام المحاكم المدنية، واقتصرت صلاحيات المحاكم الإسلامية على الشؤون الشرعية وقضايا الأحوال الشخصية، حيث كان بوسع اليهود خلال هذه الفترة المثول أمام المحاكم المدنية التي أخذت بشهادة اليهود ضد المسلمين. ومع تأسيس المحاكم الأهلية، انتقلت إليها بعض الصلاحيات القانونية الخاصة بالقضايا المدنية والجنائية، حيث اعتمدت على القانون الفرنسي^(٢).

وفيما يتعلق بأمر الحلال والحرام، فقد كانت هذه الأمور من اختصاصات حاخامات الطوائف والمحاكم اليهودية، ومع هذا أصبح النظر في هذه الأمور من اختصاص كبير حاخامات، وقد كان الإشراف على عملية الذبح من اختصاص المحكمة. وكان من بين القضايا التي بحثتها المحكمة اليهودية، مدى التزام الخبازين اليهود باحترام قداسة يوم السبت الذي يعد عطلة لليهود، ولا يجوز لهم فيه إشعال النار. وقد أشرفت المحكمة أيضاً على عملية الختان، حيث تفيد أحد المصادر أن المحكمة اليهودية بالقاهرة رفضت تنفيذ عملية الختان لأحد أطفال اليهود، نظراً لأن والديه كانا قد تزوجا أمام محكمة غير يهودية^(٣).

كانت أمور الأحوال الشخصية من أهم اختصاصات المحكمة اليهودية، فكان من مهام المحكمة في مطلع القرن العشرين دراسة قضايا الخطوبة، حيث كانت المحكمة تصدر شهادة بالخطوبة، بعد أن تتأكد أن الرجل غير متزوج، وكان حاخام الطائفة يوقع في بعض الأحيان كشاهد على وثيقة الخطوبة، وقد أصبحت أحكام الأحوال الشخصية كلها من اختصاص كبير حاخامات يهود القاهرة، وكبير حاخامات يهود الإسكندرية. وكل منهما مختص بأحوال اليهود في مدينته. وكان من أنشطة المحاكم اليهودية التصديق على الزيجات، حيث تذكر أحد المصادر اليهودية أن المحكمة اليهودية بالقاهرة رفضت عام ١٩٢٨ التصديق على زيجة امرأة يهودية من مسلم كان قد أعلن أنه اعتنق اليهودية، حيث تراءى

(١) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥٣٩

(٢) عبده، قاسمية، اليهود في البلاد العربية، ص ٢١١

(٣) كيوان، اليهود في الشرق الأوسط، ص ٩٦

للمحكمة أنه لم يكن صادقاً في هذا الأمر^(١)؛ فضلاً عن اهتمامها بوثائق الطلاق التي كانت تصدرها محاكم الطوائف اليهودية بالقاهرة، حيث كان لهذه المحاكم بعض المراسلات مع بعض الطوائف غير المصرية؛ بغرض إتمام وثائق الطلاق.

كما بحثت المحاكم اليهودية أيضاً قضايا النساء المتمردات على أزواجهن، وقد حاولت هذه المحاكم تحقيق الصلح بين الزوجين، حيث أشار الحاخام "رفائيل هارون" خلال مدة تعيينه كحاخام، أنه لا يحق للزوج أن يتزوج امرأة أخرى، إلا بموافقة المحكمة التي يتعين عليها في مثل هذه الحالة أن تبحث حالته الزوجية السابقة طيلة السنوات العشر السابقة^(٢).

كما كانت للمحاكم اليهودية صلاحية إنزال العقوبات بالمدينين وفرض العقوبات المالية، وكان من بين العادات التي سادت في أوساط يهود مصر، أن الطائفة كانت تعاقب كل من كان يلغي خطوبته، وكانت العقوبة المالية تسدد لصالح صندوق الطائفة، فكانت عقوبة العريس تقدر بـ ١٠% من المهر، أما عقوبة العروس، فكانت تقدر بـ ٧% من المهر. وكانت المحكمة تحصل على ١٠% من القيمة الكلية للعقوبة المالية. على هذا كان بعضهم يلجأ للمراوغة، ويحرص على عدم إبلاغ المحكمة بإلغاء الخطوبة حتى يتجنبوا تسديد أية غرامة للمحكمة^(٣).

وكان من أنشطة المحكمة الإشراف على مسألة "الييوم"^(٤)، كما اهتمت المحاكم اليهودية بشكل خاص بالأيتام؛ وذلك لأن المحكمة كانت تعد وفقاً لما جاء في العديد من المصادر بمثابة الأب، فكانت تشرف أيضاً على ما كانوا يرثون، وكانت تعين على اليتيم وصياً. كما شملت أنشطة المحاكم اليهودية إصدار السندات ووثائق الطلاق؛ فضلاً عن الفصل في النزاعات بين التجار، وقد كان يحق للمحكمة وقف العمليات التجارية، كما كان للمحاكم اليهودية مهام أخرى مثل تزويد المعابد بالنقود السنوي لكل عام^(٥).

وهكذا منحت المحاكم الحق في النظر في القضايا التي تخص اليهود فيما بينهم؛ باستثناء القضايا الجنائية أو تلك الخاصة بتسجيل الممتلكات والعقارات أو القضايا المالية، فإنها تنتظر أمام المحاكم المدنية المصرية. حتى أنه كان يحق للمحاكم الخاصة باليهود وبموافقة السلطات المصرية بالطبع، إلغاء أحكام أصدرتها المحاكم المدنية المصرية، وخاصة ما يتعلق بالأحوال الشخصية، تلك التي يعدونها غير متفقة مع الشرائع اليهودية. مثلما حدث من إلغاء إحدى المحاكم المليّة اليهودية لحكم طلاق صادر

(١) هارون، يهودي في القاهرة، ص ١١٦

(٢) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٢٢

(٣) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ٢١٧

(٤) اليبوم: أي زواج الأخ من أرملة أخيه... كما يسمى جينولا (الخلاص)، أي أنه يخلص أرملة أخيه مما أحاق بها من فقدان.

انظر: علي، بارونات وبؤساء، ص ٥٩

(٥) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥٠٩

لصالح زوجة يهودية، كانت قد أصدرته محكمة الجمالية الشرعية، وعدته المحكمة المليّة كأنه لم يكن، وألزمت الزوجين بالعودة لحياتهما الزوجية، وهذا يؤكد الطبيعة الاستقلالية التي كفلتها السلطة المصرية لليهود في شؤونهم الخاصة^(١).

أما فيما يتعلق بصلاحيات القضاة الدائمة، فكانت تستمد من موافقة اليهود المحليين. وكان القاضي ينتخب عادة من بين أعيان المدينة. ولم تكن هناك قواعد دائمة لتعيين القضاة. ومع هذا فقد أقر بأنه لا يحق لمن هو دون الأربعين عاماً إصدار الحكم، إلا في ثلاث حالات فقط، وهي: إذا لم تكن توجد بالمدينة محكمة، إذا وافقت الجماعة الأخذ به قاضياً، إذا كان القاضي قد أخذ من الحاخام صلاحية البت في القضايا^(٢).

وفيما يتعلق بأداء الخدمة العسكرية فلم تكن لزاماً على الجميع، فقد فضل اليهود شأنهم شأن الأقليات تسديد المبالغ اللازمة التي كان يعفي الشرع بموجبها من أداء الخدمة العسكرية التي كانت تفرض في المقام الأول على فقراء الفلاحين؛ إلا أنه كان من المحظور على اليهود الاشتغال في جهاز الشرطة أو الجيش.

أما الوسائل التي كانت تلجأ إليها المحاكم إليها لفرض عقوبتها، فتمثلت في فرض المقاطعة على من لا يذعنون لأحكامها. وقد كانت المحكمة تحرص دائماً على سماع الشهود، فكانت تستمع إلى شهود الجيران والتجار الأجانب والأطباء... ، قبل أن تصدر حكمها، وكانت التحريات تستغرق في بعض الأحيان، فترات طويلة قد تستمر لبضع جلسات حيث كانت المحكمة تضطر في بعض الأحيان إلى فرض السرية، مثلما فعلت محكمة الإسكندرية عام ١٨٦٥ حين استغرق تجميع الشهود بشأن إحدى القضايا ثلاثة أعوام^(٣).

٥ - القيادة المدنية (البرناسيم).

تولى قادة الطوائف المدينون الذين يعرفون باسم "البرناسيم"، مهمة إجراء الاتصالات بين الطوائف والسلطات، غير أن عدم وجود قيادة مركزية شكل عيباً على هذه الاتصالات، وقد أطلق على هؤلاء القادة ألقاب ومسميات عدة، كان منها: "رؤساء الجماعة"، "رؤساء الطوائف"، "أعيان الجماعة"، "أمناء الجماعة"، "أخيار المدينة" وأيضاً "المحصل" الذي يحمل دلالة القائد؛ فضلاً عن "رؤساء الأرض". أما مسمى "الباشا" فقد كان يطلق فقط على كبير "البرناسيم"، وكان الشغل الشاغل لهؤلاء القادة يكمن في

(١) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٣٣

(٢) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٣٢

(٣) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥١١

العمل من أجل الحفاظ على وحدة الطائفة^(١). ولم توجد معلومات عن الطرق التي اتبعت في تعيين "البرناسيم" أو المدة التي كانوا يشغلون فيها هذا المنصب، كما أن عدد "البرناسيم" بالطائفة لم يكن محدداً، ولكن قدر في القرن العشرين عدد البرناسيم والأمناء والجبابة في أوساط الطائفة اليهودية بالقاهرة، بـ ١٥ فرداً من العظماء والأثرياء، أما في المنصورة، فقد تولى أربعة أشخاص فقط قيادة الطائفة والتي كان يقدر عدد العائلات فيها بـ ٤٠ عائلة^(٢).

وكانت "البرناسيم" صلاحيات واسعة النطاق، حيث كانوا يتولون مسؤولية سلامة الطائفة، وإدارة شؤونها ونظمها والتزاماتها المختلفة، أما مهمتهم الرئيسية فقد كانت تنحصر في المجال التنفيذي. وكان من بين مهامهم تعيين حاخامات الطوائف، كما كانوا يتعاونون مع حاخامات الطوائف في تعيين القضاة، وقد وصف الحاخام "روفائيل أهارون بن شمعون" الأشخاص الذين تولوا هذه المناصب على نحو إيجابي، وقد جرى العرف على أن يكون رؤساء لجان الطائفة من أبناء العائلات ذات النفوذ، ولكن أسفر هذا الوضع عن حدوث بعض الانقسامات الطائفية، حيث انقسمت الطائفة اليهودية في الإسكندرية إلى معسكرين، تزعم أحدهما بخور أجيون، في حين تزعمت عائلة دي منشيح المعسكر الآخر^(٣).

وقد استمرت المشاحنات الشخصية بين زعمي هذين المعسكرين، حتى بعد انتهاء النزاع وتوحيد الصف. وفي النهاية نجد أن عائلة قطاوي التي حظيت بدعم عائلة موصيري وعائلات أخرى، نجحت دون منازع في إدارة شؤون الطائفة. وقد ساد خلال القرن العشرين تعاون كبير بين زعماء الطائفة وبين حاخاماتها، وكان هذا التعاون يتجلى في تنفيذ الأحكام، حيث أصدر رؤساء الطائفة قرارات عدة، كان من بينها تحريم إقامة حفلات الزواج في الفنادق أو المقاهي. كما أقروا حظر عقد مراسم القران في الليل^(٤).

وكما يبدو لم تحدث أية مشاحنات بين القيادتين الدينية والدنيوية؛ نظراً لالتزام كل قيادة بتأدية مهامها فقط. ويذكر في ظل الفترة التي دارت فيها رحى الحرب العالمية الأولى انتقادات بالغة الحدة كانت في معظمها موجهة لطريقة إدارة شؤون الطائفة وزعمائها، وقد طالب متزعمو حملة الانتقادات تحجيم صلاحيات هؤلاء القادة. حيث نشرت إحدى الجماعات اليهودية خلال عام ١٩١٨ بياناً ضد سيطرة عائلة قطاوي على طائفة القاهرة، وطالبت جماعة "البعث اليهودي" التي كانت قد أصدرت هذا البيان بإدخال بعض التعديلات على مجال التعليم. كما طالبوا بإصدار تقرير سنوي عن ميزانية الطائفة. وبالنهاية طالبوا بإقالة القيادة، وحينما عجزوا عن تحقيق أهدافهم لجؤوا إلى السلطات المصرية طلباً للمساعدة،

(١) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٣٢

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ٢٢١

(٣) كيوان، اليهود في الشرق الأوسط، ص ٦١

(٤) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥١١

غير أن السلطات لم تستجب لهم. أما جماعة "الحلفاء اليهودية" التي تشكلت بالقاهرة في ظل فترة الحرب قد أدت دوراً في الحملة الإعلامية المنادية بإدخال بعض التعديلات والإصلاحات على مؤسسات الطائفة الإدارية وقد نتج عن هذه الاتجاهات العامة التي سيطرت على فكر المعارضين أن قامت الطائفة بوضع لوائح حددت على ضوءها صلاحيات الزعماء^(١).

٦ - العاملون في خدمة الطائفة ومناصبهم:

وجد إلى جانب المناصب المهمة التي ذكرت سابقاً مجموعة من الموظفين الذين كان لهم دورٌ في خدمة الطائفة وعدوا تابعين لها من حيث التعيين والأجر، نذكر أهمهم:

أ- **الجزار والمفتش:** كان قضاة وحاخامات القيادة الدنيوية للطائفة، يتولون في الأغلب مهمة تعيين الجزارين المحليين، حيث كان يطلق على الجزار المعين "جزار المدينة"، وكان الحاخام يتولى مهمة الإشراف على سكاكينهم ومعارفهم في شرائع الذبح، كما كان يحق له إقالتهم من العمل، إذا اتضح له أنهم يخالفون الشرع. وكان الجزار يؤدي في بعض الأحيان دور المفتش^(٢).

وقد تعاون الجزارون فيما بينهم في بعض الأحيان، فأسسوا طائفة خاصة بهم، اهتمت بمصالح أعضائها. وقد شهد القرن العشرون، تدفق عدد كبير من الجزارين اليهود من القدس إلى مصر، حيث كان معظم الجزارين اليهود في القاهرة من أصول فلسطينية، وقد شغل بعضهم منصب الزعماء الدينيين. وكان الجزارون يحصلون على أجر ضئيل من صندوق الطائفة في مقابل ذبح أية بهيمة، كما كانوا يأخذون جزءاً من لحمها، لكن في مطلع القرن العشرين تقرر أن يحصل الجزار على أجر شهري من صندوق الطائفة^(٣).

ب- **كاتب الطائفة وكاتب المحكمة:** كان يوجد لدى الطوائف اليهودية كتبة محكمة، وكتبة آخرون خاصون بالطائفة، ولا نعرف على وجه الدقة الحدود الفاصلة بين الوظيفتين، فقد أشار الحاخام يعقوب سافير خلال رحلته إلى مصر في القرن التاسع عشر إلى أن ابن الحاخام إلياهو يسرائيل الذي شغل منصب كبير حاخامات مصر، عمل أيضاً كاتباً للطائفة، كما كان مشرفاً على إحدى المدارس اليهودية، كما أشار الحاخام يعقوب سافير إلى أن كاتب طائفة الإسكندرية كان يدعى يحيئيل مزراحي^(٤). وكان من مهام الكتبة، كتابة السندات المختلفة، والتوقيع عليها كشاهد لها؛ فضلاً عن تسجيل دعاوى المختصمين، وكان من مهام كاتب الطائفة تسجيل عقود الزواج وتسليم المرأة وثيقة الطلاق، وقد كان الكتبة خاضعين

(١) كيوان، اليهود في الشرق الأوسط، ص ٦١

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ٢٤٤

(٣) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥١٢

(٤) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ٢٤٤

لإشراف المحكمة أو الحاخام المحلي، وكان معظمهم من الطلاب المختصين في دراسة الشريعة اليهودية.

ت- ممثل الجمهور (المنشد): كان يوجد لدى كل طائفة ممثل للجمهور أو (منشد)، وكان من بين مهامه، قراءة أجزاء من التوراة لمن لا يعرفون القراءة، وقد كان يعين لستة أشهر، ويحصل على أجره سلفاً، وكان معظم قارئ التوراة يتعيشون على دخول المعابد التي يعملون فيها، غير أن تضاعف دخول بعض معابد القاهرة، لم يمكن رؤساء المعابد من تسديد أجور قارئ التوراة^(١).

ث- مسؤول خاص: قامت طائفة القاهرة خلال نهايات القرن التاسع عشر بتعيين مسؤول خاص، تمثلت مهمته في إصدار التراخيص اللازمة للمشتغلين في مهنة الختان.

ج- أمين الطائفة: كانت هذه الوظيفة موجودة في أوساط الطائفة اليهودية بالإسكندرية خلال القرن التاسع عشر والعشرين، وقد حرص الحاخام "يسرائيل موشيه" كبير حاخامات الإسكندرية^(٢)، أن يكون أمين الطائفة وأعيانها وزعمائها حاضرين عند الاستماع للشهادات المتعلقة بقضايا الغش والخداع في الزواج.

ح- مسؤولون الحفاظ على قواعد الذبح الحلال: تولى أفراد عدة في طائفة الإسكندرية في مطلع القرن العشرين مسؤولية اتباع قواعد الشرع في الذبح، وكان أحدهم مسؤولاً عن اتباع القواعد في ذبح الرأس في المذبح، بينما عمل الباقون في المذبح بموجب قرار من الطائفة^(٣).

خ- محاسب الطائفة: أولى محاسبو الطائفة اهتماماً كبيراً بالفقراء، وبكل ما يتعلق بافتداء الأسرى، وكان هذا الموضوع من اختصاص زعماء الطائفة الدنيويين.

د- العاملون في مجال تنقية اللحوم من الزوائد المحرمة: حيث تشير إحدى الشهادات^(٤) في نهاية القرن التاسع عشر، أنه كان يتم أسبوعياً تسديد مبلغ للعاملين في مجال تنقية اللحوم يقدر بستين قطعة من الفضة.

ذ- معلم الأطفال: كان يوجد لدى كل طائفة معلم للأطفال، ويذكر أن بعض الأفراد كانوا يستأجرون معلمين لأطفالهم، ولكن يتضح أنه لم يكن الاشتغال في هذا المجال مربحاً على نحو كاف، حيث لم يقتصر عمل معلم الأطفال على ذلك، فقد عمل في بعض الأحيان أيضاً كجزار وككاتب للطائفة^(١).

(١) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٢٦

(٢) عبده، قاسمية، اليهود في البلاد العربية، ص ١٦٧

(٣) إبراهيم، الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة، ص ١٥٧

(٤) كرياج، فاريج، المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي، ص ١٦٦

ر - **خادم المعبد**: كان خادم المعبد يمثل أدنى درجات السلم الوظيفي بالطائفة، وكان خدم المعبد يتولون مسؤولية النظم الداخلية بالمعبد، ويحصلون على أجر ثابت من صندوق الطائفة، ويستنتج من اتفاقيات تعيين الخدم التي تم العثور عليها في وثائق "الجنيزا"^(٢) أن الخادم كان ملزماً بالحفاظ على ممتلكات المعبد، والحفاظ على نظافته وإضاءته، حتى يتمكن المصلون الدراسة فيه ليلاً؛ فضلاً عن مهمة الحفاظ على الهدوء خلال الصلاة، وكان خدم المعبد يعتاشون على دخول المعبد، وحينما تضاءلت دخول بعض معابد القاهرة، عجزت المعابد عن تسديد أجورهم.

ز - **القائمون بالختان**: لم تقم الطائفة بتعيين أفراد خاصين لإجراء عمليات الختان. فكان من الممكن أن يقوم بهذه المهمة جزار المدينة أو موظف آخر. وكان المكلفون بتنفيذ عمليات الختان يتلقون أجراً مقابل عملهم، رغم انتقاد الحاخام "رفائيل أهارون بن شمعون" لهذه الظاهرة، كما ويتضح أيضاً أن المحكمة اليهودية بالقاهرة لم تسمح للأفراد المكلفين بهذه المهمة بإجراء عمليات الختان للأطفال الذين ولدوا لأباء لم يتزوجوا وفقاً لتقاليد الشرع اليهودي^(٣).

٧ - إقامة لجان لتنظيم الطوائف في القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين:

ساد في أوساط الطوائف اليهودية في مصر اتجاه تمثّل في حرص كل طائفة على تعيين لجنة، تتمثل مهمتها في جباية الضرائب والإشراف على نفقات الطائفة، ومتابعة أمورها المادية، وقد أقيمت أول لجنة للطائفة في الإسكندرية عام ١٨٤٠، أما في القاهرة فقد تشكلت فيها لجنة الطائفة في مرحلة لاحقة من القرن التاسع عشر، وفي الواقع كان الغرض من تأسيس هذه اللجان العمل على تقليص صلاحيات كبير الحاخامات. وقد تمثلت مهام هذه اللجنة في متابعة كل ما يخص الطائفة من الأمور الدنيوية، وقد عرفت هذه اللجنة في المصادر العبرية باسم "لجنة الطائفة"^(٤).

وتولى إدارة لجنة الطائفة بالقاهرة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر من أبناء العائلات اليهودية العريقة. وعند النظر إلى الصلاحيات التي كانت لهذه اللجنة في العصر الحديث، فإننا نرى بوضوح تأثير الطوائف الأجنبية في مصر من ناحية، وتأثير الطوائف اليهودية بأوروبا من ناحية أخرى.

(١) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٤٢

(٢) الجنيزا هي الوثائق اليهودية التي تم اكتشافها في معبد ابن عزرا في القاهرة، وتعود إلى القرن العاشر الميلادي.. انظر ملحق رقم

١٣، انظر: لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٤٠٦. ونظراً لاهتمام الحكومة المصرية بالوثائق تم إنشاء موقع

لنشرها على شبكة الإنترنت تحت مسمى "موقع تراث اليهود المصريين. انظر صورة لهذا الموقع في (ملحق رقم ١٢)

(٣) ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٢٥٠.

(٤) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٢٨٨

كما ارتبط انتماء الفرد إلى الطائفة بوجوده في معبد معين ويتسديده للضرائب والتبرعات، وبالمقابل تمتع العضو بخدمات مؤسسات الطائفة طيلة حياته، وقد تم خلال القرن العشرين تحديد شروط العضوية بالطائفة، فجاء في لائحة طائفة الإسكندرية التي يعود تاريخها إلى عام ١٩٢٤، أن الطائفة تضم في عضويتها كل اليهود المقيمين في المدينة دون النظر إلى مسقط رؤوسهم، أو الجهة التي يتمتعون برعايتها أو الطائفة التي ينتمون إليها. وكان يحق لكل من بلغ الثامنة عشر عاماً من عمره المشاركة في انتخابات رئاسة الطائفة، كما يحق لكل من بلغ واحداً وعشرين عاماً، أن يتم انتخابه في المجلس؛ شريطة أن يكون ملماً بأصول القراءة والكتابة^(١).

٨ - التوزيع الطبقي للطائفة:

كان أفراد الطائفة اليهودية موزعين بين الطبقات العليا والمتوسطة والدنيا، وكانت الطبقة العليا تضم في صفوفها كبار التجار والأغنياء والمرابين والصيارفة وموظفي وزارة الخزانة وعمال سك العملة والملتزمين وغيرهم، أما الطبقة الوسطى، فكانت تضم في صفوفها متوسطي التجار والوكلاء التجاريين والحرفيين، بينما كانت الطبقة الدنيا تتكون من صغار التجار وأصحاب الحرف والفقراء. ومن هنا كانت الطائفة تتحمل مسؤولية إعالتها وتسديد الضرائب المستحقة عليها للسلطة^(٢).

٩ - الأنشطة والمؤسسات المعاونة للطائفة:

أ- المقابر: حرصت كل طائفة على أن تكون لديها مقبرة يهودية خاصة بها. وكانت المقابر تقع عامة بالقرب من المدينة أو القرية التي كان يقطنها أبناء الطائفة. وفي عام ١٨٥٦ حصلت الطائفة اليهودية في الإسكندرية على إذن رسمي يخولها بناء مقبرة في المنطقة التي اعتادوا فيها دفن موتاهم على مدى ما يقارب من ربع قرن. ومع حلول ١٩٠٨ كانت للطائفة أربع مقابر. في القاهرة وحدها ثلاث مقابر لليهود، وفي المقابل كانت توجد مقبرة واحدة فقط للطوائف الصغيرة. وكانت الطائفة تشرف على المقابر، وعلى نظم الدفن، وكانت رسوم الدفن تعد مصدراً من مصادر دخل صندوق الطائفة^(٣).

ب- مؤسسة دفن الموتى: كانت لهذه المؤسسة مكانة بالغة الأهمية في أوساط مؤسسات الطائفة، وتكاد لا تخلو أية طائفة في مصر من وجود مثل هذه المؤسسة. وخلال القرن التاسع عشر كانت توجد بالقاهرة جمعية واحدة لدفن الموتى، تكفلت بمهام الدفن كافة، حيث كان يحصل أعضاؤها على أجرهم من صندوق الطائفة، وكانت هذه الجمعية تعرف باسم جمعية حافري القبور، أو جمعية

(١) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٣٤

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٢٦٤

(٣) كريباج، فارج، المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي، ص ٢٣٤

الإحسان، حيث كان يدفن الفقراء من الموتى على حساب صندوق الطائفة. وكان حاملو النعوش، وكل عضو يسير في جنازة المتوفى حتى المقابر يحصل على أجر من خزينة الطائفة^(١).

(١) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥١

خامساً - الضرائب والأمور المالية:

حرصت السلطات العثمانية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على تحصيل الضرائب التي فرضتها على أهل الذمة بمنتهى الصرامة. حيث ذكرت بعض المصادر الأوروبية معلومات عن الضرائب التي كانت تسدها الطوائف المختلفة للسلطات خلال الفترة المذكورة. وقد جاء في إحدى لوائح وزارة المالية التي يعود تاريخها لعام ١٨٥٥ أنه تمّ التنازل عن تحصيل ضريبة العمل المفروضة على الرعايا من المسيحيين واليهود، بعد تعرض اليهود -حين تولى محمد علي مقاليد السلطة، مثل سائر رعاياه- لضغوط عنيفة؛ إذ ألزمهم بتسديد الكثير من الضرائب إلى خزانته، في حين تمتع اليهود في أحيان نادرة ببعض الهبات المالية، فحصلوا على ١٥ ألف قرشٍ من مجمل الهبة التي قدرت بـ ٩٠٠ ألف قرش، التي أمر السلطان العثماني عبد العزيز بتوزيعها على الطوائف الدينية في ختام زيارته لمصر عام ١٨٦٣^(١).

ومن بين العوامل التي شكلت عبئاً على إدارة الطائفة في مصر، في ظل الفترة التي تعود إليها وثائق الجيزا (القرن التاسع عشر) عدم وجود صندوق عام للطائفة، حيث إن مديري الحسابات هم من أشرفوا خلال هذه الفترة على الميزانية السنوية والنفقات المالية، حيث كان يوجد لدى لكل طائفة صندوقان مستقلان، أحدهما يسمى "صندوق الصدقة" (الجماعة) والآخر "الصندوق الدائم"^(٢). وكانت الطائفة تدعم من خلالهما الفقراء، وقد تولت كل طائفة من طائفتي الإسكندرية والقاهرة، إدارة شؤون الصندوق العام، وقد تم استخدام أمواله في القاهرة في صيانة مبنى معبد تركية وتجديده، وقد تحمل صندوق الجماعة أيضاً نفقات دفن الموتى من الفقراء، وقد استمرت مؤسسة إطعام الفقراء من اليهود في ممارسة أنشطتها بالاعتماد عليه، كما وزعت الطائفة اليهودية في الإسكندرية الخبز على الفقراء أسبوعياً^(٣).

وعلاوة على الضرائب التي كانت تفرضها الطائفة، كانت الطائفة تتلقى يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع أموالاً من بعض القادرين، كانت تخصصها لافتداء الأسرى، حيث كانت هذه الأموال تدخل خزانة صندوق الجماعة، ومع اقتراب عيد الفصح، كان المسؤولون عن كيس الجماعة بالقاهرة، يوزعون الأموال وفطائر العيد على فقراء المدينة^(٤).

كان صندوق الجماعة يعتمد في دخله على تلك الغرامات التي كانت تفرض على من يفسخون عقد الزواج؛ فضلاً عن رسوم دفن الموتى، التي كانت تسدها عائلة المتوفى؛ فضلاً عن ضريبة الدخل التي

(١) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ٢٥٣

(٢) كرجاج، فارح، المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي، ص ٢٣٤

(٣) إبراهيم، الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة، ص ١٤٤

(٤) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٢٥٣

تعد أحد مصادر دخل الطائفة، حيث إن تسديد هذه الضريبة كان شرطاً أساسياً للحصول على عضوية الطائفة والمشاركة في جمعيتها العمومية، ومع هذا فقد كان من الصعوبة تحصيل هذه الضريبة^(١). وقد يكون خير دليل على هذا أن قيمة الضريبة التي حصلتها الطائفة اليهودية في الإسكندرية عام ١٩١٢، لم تتعدى ٥٠٠ جنيه، في حين أن عدد أفراد الطائفة كان يقدر بـ ٢٠ ألف نسمة.

كما عدت الأوقاف من أحد أهم أشكال دعم اليهود للفقراء، من حيث وقف عقارات للطائفة، على أن يتم استخدام الدخل التي يتم تحصيلها من الإيجار كصدقة للفقراء، أو لأغراض دينية، وكانت مسؤولية الإشراف على الوقف تقع على عاتق محاسب الوقف الذي كانت تطلق عليه مسميات عديدة، كان من بينها موظف الوقف، أو أمين الوقف، وكان تعيين هذا المسؤول من اختصاص من يهب الوقف^(٢).

سادساً - المعابد اليهودية في مصر:

تمتع يهود مصر بكامل حريتهم في ممارسة شعائرهم الدينية، وفي بناء معابدهم وإقامة محافلهم. كما استفادوا كثيراً من الضمانات الجديدة التي أقرها الدستور المصري عام ١٩٢٣ فيما يتعلق بمبدأ المساواة في الحقوق المدنية والسياسية من دون تمييز بالأصل أو اللغة أو الدين...، وقد توزعت المعابد اليهودية في المدن المصرية، لكنها تركزت بشكل خاص في مدينتي القاهرة والإسكندرية، وسنأتي على ذكر أهمها:

١ - المعابد اليهودية في القاهرة:

على الرغم من الوجود المتدني للطائفة اليهودية المصرية في منتصف القرن العشرين، إلا أنه لا يزال ممكناً زيارة الآثار اليهودية في القاهرة التي تعد شاهداً على وجود طائفة كانت تقدر بعشرات الآلاف، حيث كانت المعابد تعج بآلاف المصلين، ولكنها اختفت لأن بعض هذه المعابد، وبعضها بيع أو هدم، وبعضها الآخر تدهور لدرجة لا يمكننا التأكد من هويتها، وبقي بعضها كمبانٍ مهجورة.

أ- معبد الحاخام حاييم كافوسي:

يعد هذا المعبد أقدم المعابد الموجودة إلى الآن في القاهرة داخل الأسوار، وربما كان هذا المبنى موجوداً فعلاً منذ نهاية القرن السابع عشر، حيث يذكر "الحاخام بن شمعون" أن هذا المعبد كان قد أعيد بناؤه في أوائل القرن التاسع عشر، بفضل إسهامات البارون جاكوب دي منشه، وجاكوب منشه قطاوي،

(١) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٢٨

(٢) هارون، يهودي في القاهرة، ص ٧٩

وب.جرين، وفيما بعد أصبح هذا المعبد موضع عناية دائمة من "أبرامينو كارو" وعائلته، وقد شيدوا بجوار ضريحه مصلى رحب يسمح للزوار بالاستراحة وتأدية الصلوات^(١).

ب- معبد الحاخام موسى بن ميمون في القسطة:

أول ذكر لهذا المعبد ورد في كتاب "تاريخ يوسف" ليوسف سامبري حيث يسميه في كتابه "معبد المغاربة" أي معبد الطائفة المغربية. حيث أقيم داخل أسوار القاهرة، ويبدو أن موسى قد بنى على مقربة من هذا المعبد مدرسة، وقد تبين فيما بعد أن هذه المدرسة ظلت مهجورة بعد وفاة موسى بن ميمون؛ خاصة أنه لم يجرؤ أحد على وراثتها بعد وفاته، وفيما بعد اتضح أن هذه المدرسة المجاورة للمعبد كانت موقعاً لضريحه، ونظراً للمكانة الخاصة التي تمتع بها بن ميمون، فقد تم تخصيص مغارة خاصة لقبره، وفيما بعد تم نقل قبره من مصر إلى طبريا، بناء على وصيته وعلى أثر ذلك هجرت المدرسة وتحولت إلى مدفن. وفي منتصف ثلاثينيات القرن العشرين، كان المبنى لا يزال سليماً، لكن الآن يبدو مكتشف السقف، وذلك بعد مغادرة أغلب اليهود للقاهرة، حيث لم يتمكن من بقي من الطائفة الفقيرة من إصلاح السقف، فانهار السطح وسقط، ومع ذلك لا يزال من الممكن أن نرى منصة المعبد^(٢).

ت- معبد "معبد عزرا" الكائن في القسطة:

من أهم المعابد المعروفة في ضواحي القاهرة، وحافظ على وجوده حتى أيامنا هذه، ولهذا المعبد تسميات عدة منها؛ عزرا الكاتب، أو معبد الشاميين (الفلسطينيين)، كما سمي في الأجيال المتأخرة "معبد الجينزا"؛ لأنه تم العثور في داخله على جينزا القاهرة الشهيرة، ويذكر الحاخام الأكبر لمصر رفائيل أهارون بن شمعون فيقول: "انهارت في الآونة الأخيرة حوائط المعبد بفعل الزمن، فوضعوا له الدعائم، وبنوا ما تهدم منه وطلبي بزيت "الليك" الأحمر، وبالعديد من الألوان الأخرى وصار جميلاً جداً....؛ بل لأنهم اشتروا من الحكومة أرضاً واسعة أخرى حوله، أضيفت إلى الساحة المحيطة به^(٣).

ث- معبد المصريين:

أقيم هذا المعبد في حي زويلة داخل أسوار القاهرة ويطلق عليه "معبد الأستاذ"^(٤)، ويعد هذا المعبد أقدم معبد أقيم في مصر، وفي منتصف القرن التاسع عشر، جدد المعبد تماماً. ويُعد المعبد بمنزلة المعبد

(١) إبراهيم، الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة، ص ١٤٤

(٢) علي، ملف اليهود في مصر الحديثة، ص ٦٠

(٣) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٤٢٦

(٤) معبد الأستاذ: نسبة إلى الحاكم الأستاذ إبراهيم باشا الذي كان قد أغلقه عام ١٥٥٤م أعيد فتحه عام ١٥٨٥. انظر: ولفستون،

تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٢١٦

الرسمي للطائفة في القرن العشرين. ويذكر أنه كان مأوى لبعض يهود الإسكندرية الذين فروا إبان القصف الألماني للمدينة عام ١٩٤١. ثم هدم عام ١٩٧٥ بعد أن باعته طائفة يهود مصر الفقيرة^(١).

ج- معبد تركية في القاهرة:

وهو ثاني معبد من حيث الحجم والجمال بعد معبد المصريين، ويذكر الحاخام رفائيل بن شمعون، - ووفقاً لما سمعه عنه- أن التي شيدته امرأة تدعى تركية، ويوجد في حي الصقالبة، وأن هذا المعبد شيد وجدد مرات عدة، كما أنه جدد في عصره بأموال من صندوق الطائفة^(٢). وكانت هذه المعابد الفخمة أول ما باعته الطائفة في عصرنا لتحقيق أرباح طائلة من جراء ذلك.

ح- معبد ربي زمارة:

ويدعى معبد ربي دافيد بن أبي زمارة، والذي يسميه العامة "معبد ربي زمارة"، ورَبِي دافيد بن أبي زمارة، شخصية حاخامية، وكان قاض مشهور من أشرف إسبانيا عام ١٤٩٢، وذكر الحاخام بن شمعون أن هذا المعبد في عام ١٨٦٥ تم تجديد بنائه من جديد^(٣).

خ- معبد ذو المعجزة:

يقع في درب الصقالبة في حي اليهود، وهو أحد المباني القديمة اليهودية في مصر، ويذكر الحاخام شمعون أن هذا المعبد لم يعد له وجود، ويبدو مما ذكر أنه كان مبنى صغيراً وبسيطاً، ولكنه كسائر مباني المعابد رُم أكثر من مرة، ويذكر أنه سمي بمعبد "ذو المعجزة"^(٤). لأن ظهر فيه بعض القوة الغيبية.

د- معبد الحاخام إسماعيل ومعبد الحاخام يعقوب أبو غرة:

اندمج هذان المعبدان الصغيران معاً في عصر الحاخام بن شمعون، ولا يعرف أفراد الطائفة الآن مكانهما ويبدو أنهما كانا في شارع درب الدهان، حيث كان النموذج القديم منهم مشيداً تحت الأرض، ثم بني فوقه بعد ذلك معبد كبير في أيام بن شمعون. وعندما تمّ الشروع في ترميم المعبد في الأربعينيات، اكتشفت به مخطوطات وبعض الكتب النادرة المحفوظة الآن بمكتبة التراث اليهودي بمحفل الإسماعلية^(٥).

ذ- معبد البرتغاليين:

(١) هارون، يهودي في القاهرة، ص ١٦٨

(٢) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٥٩

(٣) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ٢٥

(٤) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٤١٢

(٥) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ٢٥٥

ويذكر الحاخام بن شمعون أن مهاجري البرتغال على ما يبدو هم الذين شيّدوه، وكان مقره في شارع خمسة بعطفه القضة في القاهرة، غير أن تاريخ تشييده غير محدد، ويعرف هذا المعبد بجماله الفريد^(١).

ر - معبد تلمود تورا:

ويذكر ابن شمعون أن هذا المعبد استخدم في البداية كمدرسة دينية، ثم تحول بعد ذلك إلى معبد، وكان يوجد في درب الحمصاني، ولم يترك انطباعاً كبيراً على من رأوه ووصفوه. ويذكر أنه عندما انهار سقفه، وتداعى بنيانه، هدم، ولم يعد له وجود الآن، وبني مكانه مركز اجتماعي خاص بالجمعية الخيرية للمسنين من أبناء الطائفة^(٢).

ووجد في بداية القرن العشرين إلى جانب هذه المعابد القديمة، معابد حديثة في القاهرة، بلغ عددها نحو ٢٩ معبداً، من أهمها معبد "أسهايم" (شجرة الحياة) في حي غمرة عام ١٩٠٠ في العباسية، أو كما يطلق عليه معبد "حنان" نسبة إلى مؤسسه "باروخ حنان" وكان ذا تصميم عصري. ومعبد الإسماعيلية الكبير "شعر هاشاميم الكبير" الذي قام بوضع حجر أساسه عام ١٩٠٥ فيتا موصيري، في وسط القاهرة بشارع عدلي، في حي ميدان التحرير، وقد بني على طراز عثماني وزخارف ترجع إلى العصر المصري الحديث، وليس لهذا المعبد أي ماض تاريخي، حيث سمته الأساسية هي بناؤه الرائع وتشكيل الزخارف^(٣).

كما شيد معبد تقليداً لمبنى "بازيليكي" لكن بخطوط مصرية، حيث إن تصميمه استوحى من معبد "موسى بن ميمون"، وقد أسهم هذا المعبد في إيواء اليهود المهاجرين ومساعدتهم، وقد اختير "حاييم وايزمان" رئيس المنظمة الصهيونية العالمية رئيساً شرفياً لهذا المعبد عام ١٩٤٤. فضلاً عن المعبد "الأشكنازي" في شارع المنسي بحي الظاهر بالقاهرة، الذي افتتح في ١٩ أيار ١٩١٢. ومعبد "باعد إسحاق" الذي أسسه زكي كرايم في عام ١٩٢٥، وكذلك معبد "فيتالي حجار" بمصر الجديدة ومعبد "حلوان" ومعبد "راب إسماعيل" ومعبد "راب يعقوب" ومعبد "راب حايين كابوسي" ومعبد "المعادي"^(٤) وغيرها.....

وبهذا يمكن القول: إن معظم المعابد، قد شيدت في منتصف القرن التاسع عشر حيث يذكر الحاخام "رفائيل بن شمعون" "أنه لم تشيد مبان على هذا النمط في كل الأراضي المصرية لفترة طويلة جداً؛ وذلك لأن كل مباني مصر مشيدة من اللبن وقد جددت مبانيها في الأجيال الأخيرة، واتسمت بالبهاء والعظمة..."^(٥).

(١) كراج، فارج، المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي، ص ٢٣٤

(٢) علي، ملف اليهود في مصر الحديثة، ص ٦١

(٣) أتينجر، اليهود في البلاد العربية، ص ٣٠٥

(٤) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٢٩

(٥) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ١٨٩

٢ - المعابد اليهودية في الإسكندرية:

- أقيم في الإسكندرية التي تركزت فيها العائلات اليهودية الرأسمالية، أكثر من عشرين معبداً، أهمها:
- أ- معبد "الياهو حنابي" الذي أعيد بناؤه عام ١٨٥٠ بعد هدمه في أثناء الحملة الفرنسية على مصر.
- ب- معبد "عزوز" الذي أعيد بناؤه بعد سقوطه عام ١٨٥٣.
- ت- معبد "زراديل" ومعبد "منشه" الذي أقامهما البارون يعقوب منشه.
- ث- معبد "يعقوب سادسون" الذي دعا إلى بنائه جاكوب سادسون عام ١٩١٠ في حي جليمو نوبلو.
- ج- معبد "كاسترو" الذي أوصى موسى كاسترو بمبلغ أربعة آلاف جنيه، فأقيم عام ١٩٢٠ بحي محرم بك.
- ح- معبد "الطائفة الإسرائيلية الأشكنازية" بالإسكندرية الذي افتتح عام ١٩١٢، وتجدد عام ١٩٤٠؛ فضلاً عن معبد "كورفيوت" ومعبد "أبي قير" ومعبد "حبار" ومعبد "تساح إسرائيل". ومعبد "تسيم أشكنازي"^(١).

كما انتشرت معابد أخرى في مختلف أنحاء المدن المصرية، أمثال: معبد "سيروس" بمدينة دمنهور، ومعبد "كفر الزيات" بمدينة كفر الزيات. وثلاثة معابد في طنطا أقدمها معبد "كنيس المغاربة". أما الآخرون فأقام أحدهما نجور موتون عام ١٩٠٨، والثاني أقامه لوناوتون عام ١٩٢٤. فضلاً عن معبد بمدينة "الزقازيق" أقامه هارون جباي في العشرينيات. ومعبدان بمدينة المنصورة، أقام أحدهما إبراهيم حسان، قبيل بداية القرن العشرين، والثاني أقامه نعلوف كوهين عام ١٩٠٨، ومعبد "سوكات شالوم" بمدينة بور سعيد^(٢). فضلاً عن معبد حديث أقامته عائلة بينان. وفي مدينة المحلة الكبرى يوجد معبد يعرف باسم "كنيس الأستاذ" ومعبد آخر بمدينة ميت غمر أقامه كليمان بارود.

٣ - المحافل اليهودية التي أقيمت في مصر:

أقيم أول محفل يهودي في بمصر باسم محفل "ابن ميمون"، وقد أسسه عدد من اليهود الأشكناز، حيث أعلنوا أن هدفهم الأساسي هو لم شمل الطائفة وتركيز جهودها، وقد تم افتتاح المحفل في ١٦ كانون الثاني ١٨٨٧ في حفل كبير حضره مندوبان عن اللجنة التنفيذية بشيكاغو، هما: سيجسموند زيمل وسيجسموند برجل وقد بدأ المحفل في مباشرة نشاطه، فأنشأ صندوقاً للمساعدة ومدرسة، وحين بدأت

(١) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٢٩

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥٤٥

مدارس (الأليانس) اليهودية العالمية^(١) بإقامة مدارس لها في مصر، أخذ المحفل بمساعدتها بالأموال. وكان أول من تولى رئاسة هذا المحفل لويس جرنبرج، وفي عام ١٩٤٤ اختار أعضاء المحفل حاييم وايزمن رئيس المنظمة الصهيونية العالمية رئيساً شرفياً له^(٢).

أما ثاني المحافل اليهودية التي أنشئت في مصر فهو محفل "الياهو حنابي" الذي تأسس بالإسكندرية عام ١٨٩٢، وكان (موريس رومانوبك) أول من تولى رئاسته، وقد أكد هذا المحفل أن من أولى أهدافه الدفاع عن المصالح العامة، وقد أنشأ مدرسة في الإسكندرية، ثم أقام عام ١٩١٤ "ليسيه الاتحاد اليهودي للتعليم"^(٣)، ومن أبرز من تولى رئاسته في عام ١٩٤٢ الصحفي اليهودي إيلي بوليتي الذي كان أيضاً رئيساً لمكتب جريدة المصري في الإسكندرية، وفي الوقت ذاته كان عضواً مهماً من أعضاء المنظمة الصهيونية الجديدة، وممثلاً لها في الإسكندرية.

وكان ثالث المحافل التي تأسست في مصر محفل القاهرة (بناي بريث) الذي أقامه سفاردي من طائفة الريانيين، وافتتح رسمياً في ١١ نيسان ١٩١١، وذلك بعد مرور سبعين عاماً على تأسيس محفل "بناي بريث" في نيويورك عام ١٨٤٣، وكان يحمل الشعارات ذاتها التي أعلنها محفل (ابن ميمون)، وكان أول من تولى رئاسته إيلي باروخ، وبلغ عدد أعضائه ٢٧ عضواً، ازدادوا إلى ٥٦ عضواً عام ١٩١٣، ثم ١١٦ عضواً عام ١٩١٧، ثم ١٢٠ عضواً في عام ١٩٣٨^(٤). وإذا أخذنا بالحسبان أن الانضمام لعضوية هذا المحفل، تتم بعد اختيار دقيق ووفق شروط عديدة مشددة، منها الإيمان الشديد بالمبادئ الصهيونية، يتضح لنا أن هذا المحفل كان من أخطر المحافل اليهودية تزمناً وعنصرية في ذلك الوقت؛ فضلاً عن بعض المحافل التي تأسست في المحافظات كمحفل "ماجن دافيد" (نجمة دافيد) بالمنصورة، و"أويل موشي" بطنطا، و"إسرائيل" ببور سعيد^(٥). وبذلك كان من الطبيعي وتحت ستار المحافل والمعابد التي تأسست في مصر أن تنمو جرثومة الصهيونية لتفتك بفكرة الولاء من مصر إلى الصهيونية.

(١) الأليانس: الاتحاد الإسرائيلي العالمي، هو تنظيم يهودي تأسس عام ١٨٦٠ في باريس بهدف تنمية المجتمعات اليهودية المتخلفة باتباع أحدث النظم التعليمية والتدريب المهني وإغاثة اليهود في أزماتهم والدفاع عن حرياتهم الدينية وحقوقهم المدنية. انظر: عبد

الرحمن، مصر وفلسطين، ص ١٢٨

(٢) علي، ملف اليهود في مصر الحديثة، ص ٦١

(٣) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥٤٥

(٤) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٢٧

(٥) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ١٨٩

٤ - الجمعيات والمؤسسات الصحية والاجتماعية للطائفة اليهودية في مصر:

تأسست في إطار الطوائف اليهودية الكبيرة في مصر في بداية القرن العشرين مؤسسات خيرية عدة، غير أن أنشطتها لم تكن واضحة. وقد ظهرت غالبية هذه المؤسسات الخيرية في البدء في الإسكندرية، ثم انتقلت إلى القاهرة لذلك يبدو أن الطائفة اليهودية في الإسكندرية كانت الرائدة في هذا المجال، وقد حرصت هذه المؤسسات على تقديم يد المساعدة لأعداد كبيرة من اللاجئين اليهود؛ خاصة في ظل الحرب العالمية الأولى، حيث قدمت لهم الغذاء والملبس والاحتياجات الطبية كما وفرت لهم فرصاً للعمل، ونذكر أهمها:

أ- دار المسنين: تأسست في القاهرة القديمة خلال عام ١٩١٠، بمساعدة من "يعقوب موصيري"^(١)

ب- خدمات صحية واجتماعية: انتشرت في أوساط الطوائف اليهودية الضخمة على أثر تفشي الأمراض والأوبئة خلال القرن التاسع عشر، فتأسست عدة مراكز للخدمات الصحية، وكانت هذه المراكز التابعة للطائفة تقدم مساعدتها لفقراء اليهود. غير أن ارتفاع مستوى هذه المراكز شجع الفقراء غير اليهود على اللجوء إليها. وفي الإسكندرية كانت للطائفة اليهودية عيادة عامة، عرفت باسم "زيارة المرضى" تأسست عام ١٩٠٩. كما تعاونت عائلات منشه وقطاوي وسوارس في إنشاء "المستشفى الإسرائيلي" بمحرم بك، ثم تأسس "المستشفى الإسرائيلي" عام ١٩٣٢ بشارع أبي قير، وتولى إدارته د. أوبالدورجي، كما افتتحت المستشفى الإسرائيلي بغمرة بالقاهرة، وتولى إدارته د. بيكار د. هوجر.^(٢)

ت- المكتبات العامة: في عام ١٩٠٧ تأسست "جمعية الأخوة" التي كان الغرض منها نشر المعرفة، حيث خصصت لقراءة الصحف والكتب العبرية، وفي عام ١٩٠٨ تم افتتاح مكتبة فرنسية علمية وتاريخية، ومع حلول ١٩١٣ افتتحت الطائفة اليهودية بالقاهرة مكتبة كان فيها قسم للتاريخ^(٣).

ث- مؤسسات تابعة لمنظمات يهودية عالمية: تأسست في الإسكندرية مؤسسات كانت تابعة لمنظمات يهودية أو غير يهودية عالمية، مثل جمعية "كل إسرائيل أخوة" و بناي يريث "أبناء العهد" و "البنائون الأحرار" (الماسون) ونادي "الروتاري". وأقيم في القاهرة مكتب لمنظمة أبناء العهد، وقد أطلق عليه اسم "الحاخام موشي بن ميمون" وكان معظم أعضائه من اليهود الأشكناز، وبالمقابل كان هناك مكتب آخر تأسس خلال عامي ١٩١١-١٩١٢، كان معظم أعضائه من السفارديم، وكان من بين ما أسسوه بالقاهرة عام ١٩١٣ مكتب للعمل، كان الغرض منه توفير فرص عمل للعاطلين^(٤).

(١) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٣٤

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٢٩

(٣) هارون، يهودي في القاهرة، ص ١٣٨

(٤) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٢٧٦

ومع حلول عام ١٩١٣ أقيمت في الإسكندرية جمعية "إحسان في الخفاء" بهدف تخفيف معاناة المحتاجين في الخفاء، وفي عام ١٩١٤ تأسست جمعية "الأمهات اليهوديات" التي كان هدفها توفير المال للسيدات اللاتي وضعن حديثاً؛ فضلاً عن توفير اللبن والحفاضات للرضع. وفي عام ١٩١٦ أقيم ما يسمى "مطبخ المرضى" وهي جمعية كانت تهدف إلى توفير اللبن مجاناً للمرضى والأصحاء والسيدات اللاتي وضعن حديثاً. وفي عام ١٩١٧ تأسست جمعية "نقطة الحليب" التي قامت بتوفير وجبات إفطار يومياً لمئات الأولاد في المدارس وللمحتاجين^(١).

وعلى شاكلة هذه الجمعيات التي أقيمت في الإسكندرية، أقيم في القاهرة جمعية "قطرة اللبن"، وفي طنطا التي تمركزت بها الطائفة اليهودية الكبيرة الثالثة، ازدهرت بها المؤسسات الخيرية خلال القرن العشرين، وكان من بين الجمعيات الخيرية خلال عام ١٩١١ "الجمعيات النسائية" التي عملت على توفير ملابس وأحذية للتلاميذ المحتاجين^(٢). وقد أسهمت العائلات اليهودية الرأسمالية في تقديم الأموال والرعاية لهذه المؤسسات الاجتماعية، كما انتشرت الجمعيات والمراكز والملاجئ والمستشفيات؛ لخدمة الفقراء من أبناء الطائفة.

منها: جمعية "بخور حوليم" للرعاية الطبية التي تأسست عام ١٩٠٩، والاتحاد الإسرائيلي لخدمة يهود هليوبوليس وتأسس عام ١٩٢٢. وجمعية "ماتان باستير" و"الجمعية الإسرائيلية لخدمة الفتيات اليهوديات" اللتان تأسستا عام ١٩٣٣. وملجأ "ابن ميمون" للمسنين تأسس عام ١٩٣٤، كما أسست الطائفة في الأربعينيات "ملجأ للمسنين بمصر" وملجأ "محرم بك للمسنين" عام ١٩٣٠^(٣).

وكان من أهم الجمعيات الأدبية التي تأسست "جمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية" عام ١٩٢٥ بهدف إحياء التاريخ اليهودي بشكل يساهم في مقاومة فكرة الاندماج التي من شأنها عرقلة المشروعات المستقبلية للصهيونية. وشارك بهذه الجمعية "د. إسرائيل ولفنسون" و"د. الفريد يلوز" و"مراد فرج" وغيرهم وتولى رئاستها يوسف قطاوي ثم خلفه رينيه قطاوي. وكان الحاخام "حاييم ناحوم" رئيساً شرفياً، وعقدت محاضراتها بقاعة "حلقة الشبيبة اليهودية الإسبانية بالقاهرة" وفي عام ١٩٤٧ أصدرت الجمعية مجلة "تاريخ الإسرائيليين في مصر". كما احتفلت الجمعية مع مجلس الطائفة اليهودي في القاهرة، بافتتاح المكتبة الإسرائيلية التي أنشأها جاك موصيري وجمع فيها الكتب والأوراق القديمة^(٤).

٥ - الجمعيات والمؤسسات الخيرية للطائفة القرائية:

(١) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٣٠

(٢) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٢٦

(٣) محمد عبد الحميد الحمد، دور اليهود العرب في الحضارة الإسلامية، دار الطليعة، ط ١، الرقة، ٢٠٠٦، ص ٣٨٦

(٤) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٢٧٦

نشطت الطائفة القرائية في أعمال مختلفة، حيث كان لها العديد من النشاطات الخيرية، فقد عملت جمعياتها على مساعدة الفتيات الفقيرات على الزواج، كما ساعدت المنظمات الصحية المرضى المحتاجين، أما المؤسسات التعليمية، فقد نشرت تعليم اللغة العبرية على نطاق واسع، وعملت منظمات أخرى في الشؤون الرياضية والنشاطات الاجتماعية، حيث كان يوجد في الطائفة أكثر من عشرين منظمة^(١).

وفضلاً عن هذه الجمعيات والمؤسسات الخيرية، اقترح القراؤون في مقالاتهم التي كتبوها في صحيفة "الكليم"، أن يتقدم المجلس الطائفي القرائي إلى وزارة الأشغال العامة بتنفيذ بعض التحسينات العامة، مثل: رصف الشوارع وتركيب مصابيح لها، حيث قام السكان القراؤون بتنفيذ هذه التحسينات بأنفسهم، وكانت لغة صحيفة "الكليم" مناسبة لمواطنين ذوي إحساس، آمنوا بحقوقهم. في حين كانت لغة صحيفة "الأهرام" تعنى ضمناً أن حي القرائين وسكانه كانوا تحت وصاية الدولة التي ينبغي عليها الحفاظ على مظهرهم اللائق، خشية أن يقوم الأجانب بتوجيه النقد لها، وربما يكون الدافع الرئيسي وراء اهتمام صحيفة "الأهرام" بالحي القرائي، هو الرغبة في تجنب أن تصبح حالته تلك ذريعة للتدخل الأجنبي في شؤون مصر، كما حدث سابقاً عندما طالبت بريطانيا الاحتفاظ بحقها في التدخل، بعد الاعتراف باستقلال مصر الداخلي عام ١٩٢٢؛ بحجة حماية الأقليات^(٢).

(١) من هذه الجمعيات: جمعية مساعدة المرضى التي تأسست عام ١٨٤٠، وجمعية الإصلاح التي تأسست عام ١٩٠١، وجمعية الأخوة التي تأسست عام ١٩٠٦، وجمعية الاستشارات والإرشاد، وجمعية حماية شؤون الطائفة، وجمعية الاتحاد الإسرائيلي، وجمعية الشباب القرائي، والخبز الطازج، والمطبخ للفقراء والأخوة القرائين، والجمعية الخيرية للفتيات، وجمعية الإحسان، ومساعدة العذرى، وحب التوراة، والكشافة وغيرهم. انظر: لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٢٧٨

(٢) أبو الغار، يهود مصر من الازدهار إلى الشتات، ص ١٤٨

سابعاً- الزواج ومؤسسة العائلة:

تشكل عادات الزواج أحد الجوانب المهمة لأية جماعة سكانية. وقبل الخوض في مؤسسة الزواج ومراحلها سوف نبحث ببنية الفئات العمرية لكلا الجنسين مروراً بالأطفال:

١- الجنس والعمر:

اتسمت بنية المجتمع اليهودي في مصر من ناحية الجنس بقدر من الاستقرار، ففي عام ١٩١٧ شكل الرجال نسبة ٤٩,١% من تعداد المجتمع اليهودي، بينما في عام ١٩٢٧ كان الرجال يشكلون ٥١% من تعداد المجتمع اليهودي. وفي عام ١٩٤٧ شكلوا ٤٩,٢%، ومن الملاحظ أن الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى اتسمت بأن أعمار غالبية الرجال كانت تتراوح بين العشرين والتاسعة والأربعين؛ الأمر الذي يدل على أن الفترة الواقعة بين نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين شهدت هجرة عائلات يهودية بالكامل إلى مصر^(١). وفي المقابل اتسمت الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين بزيادة طفيفة في عدد النساء في المجتمع اليهودي؛ إذ قدر عدد الفتيات اليهوديات عام ١٩٣٧ بـ ٣٤٣٩ فتاة، بينما قدر عدد الشباب اليهودي بـ ٢٥٨٦ شاباً، وقد سادت عام ١٩٤٧ الظاهرة ذاتها؛ إذ قدر عدد النساء بـ ٣٤٤٤ امرأة، وفي المقابل قدر عدد الرجال من اليهود بـ ٢٨٣٠ رجلاً^(٢).

وكان لحركة الهجرة أثرها في تحديد متوسط أعمار المجتمع اليهودي في مصر، حيث أدت إلى اختلاف في تشكيل عقيدة اليهود في مصر، وأيضاً حملت في طياتها كثيراً من العادات الاجتماعية المختلفة، علاوة على اللغات المتعددة. وهي ملحوظة لفتت نظر أحد المؤرخين اليهود المعاصرين، حيث أشار إليها على غلاف كتابه على لسان أحد اليهود المصريين الذين عاشوا في مصر، قائلاً: "كنا نتحدث الإنكليزية والفرنسية في المدارس والإيطالية في المنزل والعربية في الشوارع، ونسمع شتائنا في التركية....."^(٣).

وهذا يدل على حالة التفسخ التي كان يعيشها بعض اليهود الذين ولدوا في مصر؛ لاختلاف أصولهم والجنسية التي تمتعوا بها حيث عدوا أنفسهم في حالة شتات، ورغم كل ذلك فإن حال اليهود المصريين اختلف كثيراً بعد وصول الهجرات التي واكبت انتشار العمل الصهيوني، وقد أثر ذلك على شكل الطوائف اليهودية في القاهرة والإسكندرية، وسبب حالة صراع بين زعامات الطائفة وبين أفرادها على أساس تفرقة طائفية أشكنازية أو سفاردية خاصة في الإسكندرية.

(١) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥٧١

(٢) أبو الغار، يهود مصر من الازدهار إلى الشتات، ص ١٤٨

(٣) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ٢١٩

٢ - معدلات سن الزواج في الطائفة اليهودية في مصر:

كان معدل سن الزواج في أوساط الطوائف اليهودية شديد التأثر بالعادات والتقاليد المصرية، فكان منخفضاً للغاية، ولكنه أكثر ارتفاعاً مقارنةً بنظيره في المجتمع غير اليهودي؛ بل ومن نظيره الذي ساد خلال عقد العشرينيات وحتى عقد الأربعينيات. وقد طرأت تغيرات محدودة على أوضاع اليهود العائلية، استمدت من الإحصاءات التي جرت خلال عامي ١٩٣٧ و ١٩٤٧، وكان من أبرزها ارتفاع نسبة المتزوجين والأرامل؛ نتيجة لارتفاع تعداد السكان اليهود. ولكن خلال الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين ارتفعت نسبة الفتيات غير المتزوجات، وكان لهذا الأمر تأثير على مستوى الإنجاب لدى يهود مصر.

فقد تراوحت نسبة غير المتزوجين في المجتمع اليهودي بين ٧-٩%^(١)، أي أنها كانت ضعف النسبة التي سادت في أوساط المجتمع غير اليهودي. وفي المقابل لم يكن هناك أي تباين بين المجتمعين اليهودي وغير اليهودي في نسب الأرامل والمطلقين، وبذل ارتفاع نسب الترميل في أوساط النساء البالغات من العمر خمسين عاماً على ارتفاع معدلات الوفيات في مصر في بدايات القرن العشرين.

ويتضح مما تقدم أنه قد سادت في مصر قبيل الحرب العالمية الأولى اتجاهات ديمغرافية متباينة، كان من أبرزها، ارتفاع معدل الوفيات؛ فضلاً عن تأثر نظام الزواج في أوساط يهود مصر ببعض عادات المهاجرين الذين قدموا إلى مصر من بلدان أكثر رقباً في أوروبا وغيرها.

وهناك جانب آخر من أنماط الزواج، لا يقل أهمية ليس فقط من الناحية الديمغرافية؛ وإنما من الناحية المتعلقة بالتحويلات الاجتماعية، ونعني ظاهرة شيوع الزواج المختلط "من دين مختلف"، وبالرغم من أن هذه الظاهرة كانت نادرة الحدوث، إلا أنها لم تكن معدومة كلياً، فقد بلغت نسبة الزيجات المختلطة خلال عقد الثلاثينيات وفترة الحرب العالمية الثانية في أوساط الرجال اليهود ٣%، كما قدرت بـ ٥% في أوساط الفتيات اليهوديات^(٢). والواضح أن هذه الظاهرة كانت شائعة عند النساء أكثر من الرجال، والسبب بديهي حيث إن عدد النساء اليهوديات كان أكثر من عدد الرجال اليهود. وقد وصلت هذه الظاهرة إلى ذروتها عام ١٩٣٨، حسب ما تظهر الإحصائيات؛ إذ قدرت نسبة الزيجات المختلطة بـ ١٠,٢% من مجمل الزيجات التي كانت تتم بين اليهود، ثم تضاعلت فيما بعد حتى ١٩٤٥^(٣).

(١) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٣٢

(٢) اتينجر، اليهود في البلاد العربية، ص ٢٣١

(٣) أبو الغار، يهود مصر من الازدهار إلى الشتات، ص ٦٣

٣- الزواج ومراحله عند اليهود في مصر:

عند البحث في عملية الارتباط بين الرجل والمرأة، من الواجب أن نعرف أن هذه العملية كانت تمر بثلاث مراحل، هي؛ التعارف، الخطوبة، والزواج، وبالطبع كانت هذه المراحل سائدة ومتعارف عليها في جميع المجتمعات اليهودية التي انتشرت في جميع بقاع الأرض، ولم تقتصر على طائفة معينة، ومع ذلك كان يوجد في كل مجتمع يهودي في منطقة معينة بعض الخصوصية التي سوف نوجه الضوء عليها، حيث نشأت هذه الخصوصية من ظروف الاحتكاك مع النسيج المتم للمجتمع، وعوامل التأثير والتأثير. فضلاً عما تعرض له المجتمع المصري من ظروف خارجية، أثرت بشكل واضح في التقاليد المتوارثة^(١).

ولكن على الرغم من ذلك بقيت التقاليد اليهودية التي تتعلق بنظام الأسرة ترى أن الزواج واجب ديني لكل قادر عليه. وإن من يحجم عليه مع القدرة عليه، لا يقل جرمه عن جرم القاتل، ولقد تأثرت عملية الزواج بموجات الهجرة من أوروبا التي تفجرت خلال القرن التاسع عشر، ومع ذلك عملت الطوائف اليهودية على التمسك بالتقاليد القديمة، كما تم إقرار شروط جديدة متعلقة بموضوع الارتباط بين أي رجل وامرأة، فأقر الفقهاء أنه لا يحق لأي رجل الاقتران بأية امرأة إلا بعد أن يتأكد للمحكمة أنه ليست لدى الطرفين أية ارتباطات عائلية، كما اشترطوا أن تتم الخطوبة بموافقة الحاخام القاضي في المدينة، أو بموافقة من يتولى مهمة جباية النذور، وأن تتم الخطوبة في حضور عشرة أفراد بينهم كاتب المحكمة، وأن يتم التوقيع على وثيقة الخطوبة. ولم تكن هناك مواعيد محددة لإجراء مراسم الزواج؛ فقد كانت المراسم تعقد في أيام الجمعة والأعياد، وقد كتب الحاخام "أهارون بن شمعون" أنه قد جرى العرف على إعداد الخيمة الخاصة بحفل العروسين يوم الأحد، حتى يتسنى للجُمهور الحضور إلى الحفل، غير أنه عبّر عن إحساسه بالاستياء من الذين يقيمون أفراحهم يوم الأحد؛ لأنهم لا يحافظون على قداسة يوم السبت^(٢).

كانت مراسم الزواج تصاحب عادة بعقد الولائم الضخمة، وذلك بعد ارتفاع مستوى المعيشة في القرن التاسع عشر، حيث بدأ اليهود تنظيم احتفالات الزواج في المقاهي والفنادق. وعلى أثر ذلك أصدر الحاخام "رفائيل أهارون بن شمعون" خلال عام ١٩٠٦ فتوى بحظر إقامة مراسم الزواج في الفنادق المسيحية؛ خاصة أن صور الصليب انتشرت في هذه الفنادق، أما أبناء الطبقات المتوسطة فقد اكتفوا بتنظيم احتفالات الزواج إما في منازلهم أو في المعابد، وكانت احتفالات الزواج تستمر سبعة أيام^(٣).

٤- عقد الزواج:

(١) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٤١

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٣٠٨

(٣) كريباج، فارج، المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي، ص ٣٩١

تضمنت غالبية عقود الزواج التي تم التوقيع عليها في مصر التزامات أو شروطاً، نذكر أهمها:

التزام الزوج بعدم الاقتران بامرأة أخرى إلا بموافقة زوجته الأولى، وأن الزوج يحق له في حالة وفاة زوجته العاقر أن يقتسم إرث زوجته مع أقاربها، وأن يلتزم الزوج بالإنفاق على زوجته؛ فضلاً عن أنه لا يحق له التمتع بما تتركه زوجته. وكان المبلغ الذي يسدده العريس للعروس غير محدد؛ إذ إنه كان يرتبط بمكانة العروس، وبذلك فإن كل أمور الأحوال الشخصية من خطوبة تمت في إطار محدد المعالم؛ تجنباً لمخالفة الشرع، وحظيت هذه الترتيبات خلال القرن العشرين بتدعيم السلطات، حيث إن سكان القرى التي لم يكن توجد بها محاكم فقد كانوا يتوجهون إلى المراكز، مثل: القاهرة والإسكندرية للحصول على عقود الزواج^(١).

٥ - الطلاق:

على الرغم من أن الطلاق عند اليهود يخضع لشروط قاسية، لكن سادت أسباب كثيرة للطلاق منها؛ العجز عن الإنفاق على الزوجة، أو مرض أحد الزوجين، أو الرغبة في تزوج امرأة أكثر جمالاً، فضلاً عن الخيانة والتمرد وما شابه ذلك. كما كان يسمح بطلاق الزوجة التي ترفض أن تسافر مع زوجها المهاجر إلى فلسطين، وهذا ما يقوله أحد الكتاب اليهود وهو حاييم الزعفراني الذي كان يتحدث عن يهود المغرب إلا أن الأمر لا يستبعد عن يهود مصر، فيكون سبب رفض هجرة الزوجات مع أزواجهن إلى فلسطين من أسباب زيادة نسبة الطلاق عند اليهود في مصر^(٢). ولم تتسرع المحكمة في كل الحالات سالفة الذكر في اتخاذ قرار الطلاق، حيث بذل الحاخامات كل ما في وسعهم لإعادة الهدوء إلى البيت، وتحقيق الانسجام العائلي؛ ونظراً لأن الطلاق كان يعد أمراً جسيماً، فقد حرص بعض الأزواج على تجنب الطلاق، حتى في حالة مرض أحد الزوجين أو في حالة العقم.

وقد أشار الحاخام "رفائيل أهارون بن شمعون" إلى أن الرجل لم يكن يقدم على اتخاذ قرار الطلاق، إلا بعد تسديد الحق اللازم لزوجته. وكانت قسمة الطلاق تسلم إلى الزوجة في محكمة المدينة وفي حضور بضعة أفراد من عائلتها. وفي خلال عقد الثلاثينيات وبداية الأربعينيات كانت النسبة العامة للطلاق تقدر بين ١١% إلى ١٦%. وقد كانت هذه النسبة مستقرة للغاية خلال الفترة الواقعة بين ١٩٣٧ حتى ١٩٤٤، وبالرغم من أن هذا الرقم ليس بالرقم الضئيل إلا أنه يعد ضئيلاً مقارنة بنسب الطلاق التي كانت تتم في الأوساط غير اليهودية التي كانت تتراوح فيها النسبة بين ٢٥% و ٣٠% من مجمل الزيجات^(٣).

(١) أبو الغار، يهود مصر من الازدهار إلى الشتات، ص ١٩٦

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٦٤

(٣) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٥٢

ومع هذا فقد كانت نسبة المطلقين والمطلقات في الأوساط اليهودية وغير اليهودية، تتدنى في بعض الأحيان نتيجة لانتشار ظاهرة الزواج مرة ثانية. أما بالنسبة لغير المتزوجات وحسب إحصاء سنة ١٩٤٧ وصلت نسبتهم إلى نحو ربع العدد الكلي ٢٤% ونسبة غير المتزوجين من الذكور وصلت إلى نسبة ٣٥% فيكون متوسط نسبة الذين لم يتزوجوا أبداً من الذكور والإناث ٢٩%، وهي بلا شك نسبة عالية^(١) وللمقارنة، كانت نسبة الطلاق عند اليهود والأقباط أقل منها عند المسلمين، فهي إن كانت أقل من ١% عند اليهود والأقباط فإنها تصل إلى ٢% عند المسلمين^(٢). ومن مؤشرات الأعداد التي سبق وأشار إليها ودلالاتها في بعض القضايا الاجتماعية، ومن الملاحظ عن الزواج والطلاق عند اليهود في مصر، وجود تباين كبير في النسب؛ تبعاً للظروف الخارجية التي رافقت معيشتهم في مصر..

٦ - تعدد الزوجات والزواج المختلط:

كان من المظاهر التي تسلت من الثقافة الغربية إلى مصر ومجيء المهاجرين من أوروبا انتشار ظاهرة تعدد الزوجات، رغم عدم اعتراف يهود الشرق بمن فيهم يهود مصر بهذه الظاهرة؛ إذ كانت مرتبطة بشروط واردة في عقد الزواج، بما فيها موافقة الزوجة، كما أن الزوج لم يقدم على الاقتران بامرأة أخرى، إلا في حالات الضرورة. أما عن ظاهرة الزواج المختلط، فلم تكن مرتبطة بتغيير الديانة. وكان من الظواهر إقامة رجال مع نساء دون زواج، وقد تعامل الحاخامات مع هذه الظاهرة على نحو سلبي للغاية، فسعوا إلى منعها، وامتنعوا عن المشاركة في مراسم الحداد على أية عشيقة، ولم يشاركوا في طقوس ميلاد الأطفال الذين أنجبهم الزوج من امرأة غير يهودية. وكان من الظواهر التي شاعت في مصر اعتناق غير اليهوديات للديانة اليهودية حتى يتسنى لهن الاقتران بيهودي، وقد غض حاخامات مصر الطرف عن هذه الظاهرة، وسلموا بها؛ خشية أن يؤدي التقدم إلى المحاكمة إلى نتائج أكثر حدة^(٢).

(١) أبو الغار، يهود مصر من الازدهار إلى الشتات، ص ١٩٦

(٢) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٥٢

ثامناً - العادات والتقاليد ليهود مصر:

١ - الاحتفال ببلوغ سن الرشد (البارمتسفا) :

كان من العادات الشائعة الاحتفال ببلوغ الابن سن الرشد؛ أي كل ولد وصل إلى سن الـ ١٣ عاماً، فكانت تقام حفلات ضخمة للاحتفال بهذه المناسبة، وكان من الشائع إجراء مراسم الاحتفال بعد الظهيرة؛ بغرض التقليل من عدد المدعوين وتقليص النفقات. وكان الاحتفال يبدأ باحتساء النبيذ ثم تناول الحلويات ثم الوجبات الرئيسية، وفي النهاية كان الحفل يختتم بترتيل صلاة الطعام ثم ارتشاف القهوة^(١).

٢ - الختان:

إن الختان يعد علامة من علامات العهد بين الرب واليهود، وكان من مظاهر الاحتفال، قراءة أجزاء من التوراة في يوم السبت السابق لليوم الذي تجري فيه عملية الختان، وكانت توضع على المولود المختون ملابس خاصة ونقية، ويلف في حزام صغير من الحرير، ويوضع على رأسه شريطان من الذهب. وكان المشاركون في حفل الختان يتناولون الطعام قبل البدء في الحفل، ثم يتناولون الطعام المقدم خصيصاً للاحتفال بهذا الحدث. وفي إطار هذه الحفلات كان المطربون غير اليهود يشاركون بالإنشاد في الحفل، وحينما كثرت الزيجات المختلطة، تم سن قانون أنه لا يحق للمرء إجراء عملية الختان للمولود قبل الحصول على إذن من قادة الطائفة، ومن الحاخام المحلي. وكان الغرض التعرف قبل إجراء عملية الختان^(٢) إلى أصل العائلة، وما إذا كان أفراد العائلة قد تزوجوا وفقاً لتعاليم الشرع، وفيما بعد يتم تسجيل الطفل في دفاتر المولودين في المحكمة.

٣ - أيام الصيام:

أشار حاخامات مصر إلى أنه توجد أنواع عدة من الصيام، واتبع يهود مصر هذه الأنواع من الصيام التي أثارت خلافات فقهية بين المشرعين، حيث اختلفوا فيما بينهم حول إذا ما كان يحق للكهنة أن يقدموا القربان على المنصة وهم صائمون، وقد اتبع النهج ذاته في كل ما يتعلق بيوم "صوم الجماعة" الذي كان يتبع في مصر قبل مطلع كل شهر؛ وخاصة منذ مطلع شهر تشرين الأول وحتى نيسان. وكان هذا النهج يتبع مع "صوم الليل". وتقيد شهادة الحاخام "الياهو حازان" كبير حاخامات الإسكندرية أنه خلال العصور اللاحقة تم الاستخفاف بالصوم، ولم يتبع هذا النهج بشكله الصحيح^(٣).

٤ - عادات الدفن والحداد:

(١) غازي، الأعياد والمناسبات، ص ١٦٧

(٢) كرجاج، فارح، المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي، ص ٥٦٦

(٣) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٣٢٦

وجدت خلال العقود الأولى من القرن العشرين شركات عدة لدفن الموتى، إلا أنه لا يمكننا أن نتصور أن كلاً منها تخصص في دفن أبناء طائفة معينة دون غيرها، وتقيد الشهادات الكثيرة أن شركات دفن الموتى في دمياط ورشيد والقاهرة كانت تجوب المدن للبحث عن المفقودين لدفنهم في المقابر اليهودية، وكانت هذه الشركات تسعى في المقام الأول لتنفيذ الوصايا المتعلقة بدفن الموتى، وكانت هذه الشركات تحصل على أجرها من صندوق الطائفة. ومن المعروف أن مقابر يهود القاهرة كانت بعيدة عن المدينة، ومن هنا لم يمش الأقارب في الجنازة حتى الجبانات، كما أن النساء لم يسرن خلف النعش. وقد ساد الأمر ذاته في الإسكندرية، حيث كانت تقدم وجبة من الطعام للمشاركين في الجنازة، وقد تحدث الحاخام "رفائيل بن شمعون" عن تأثير الثقافة الغربية في تقاليد الدفن، فقال: "من بين مظاهر التأثير إحضار بعض المنشدين والعازفين للعزف على آلاتهم خلال الجنازة وإحضار عربات تجرها الخيول لحمل الموتى...." (١).

وكانت عادات الحزن والحداد في مصر بالغة القسوة، حيث كانت من عادات النسوة لطم الخدود وضرب أنفسهن كتعبير عن الحزن على المتوفى، وكان يتم استئجار بعض النسوة حتى من بين غير اليهوديات للمشاركة في تأبين الموتى، وكان المعزون يرتدون الجلابيب السوداء في المقابر، وكان العزاء في المتوفى يتم ثلاث مرات، المرة الأولى في اليوم السابع على وفاة المتوفى، أما المرة الثانية، فكانت بعد انقضاء شهر على الوفاة، أما المرة الثالثة، فكانت بعد مضي عام.

وكانت مهمة إلقاء الكلمة التي تلقى في مواعيد المواساة يتكفلها القاضي أو من يقوم بمهامه، وقد اعتاد المعزون خلال الأيام السبعة التالية للوفاة تأدية صلاة الفجر في المعبد. وكانت عادات الحداد المتبعة لدى يهود مصر تتسم بالأصالة. غير أن بعض هذه العادات كان متناقضاً مع مبادئ الشريعة، وقد وجد الحاخامات صعوبة بالغة في إلغاء هذه العادات، وقد تحدث الحاخام "رفائيل بن شمعون" عن هذه العادات بقوله: "توجد لديهم هنا في مصر عادات غريبة في الحداد، وهي من العادات المحرمة" (٢).

٥ - الأمراض والوفيات...

كان الوضع الصحي ليهود مصر في أوائل القرن العشرين طبيعياً للغاية، مقارنة بنظيره في أوساط غير اليهود، فقد كانت الأمراض أقل شيوعاً في أوساطهم، كما أن معدل الوفيات كان منخفضاً. فقد كانت أمراض العيون التي شاعت في أوساط سكان شمال أفريقية، أقل انتشاراً في أوساط اليهود، فبينما قدرت نسبة المكفوفين اليهود عام ١٩١٧ بـ ٢%، قد بلغت هذه النسبة في أوساط غير اليهود ٤,٤% (٣).

(١) علي، بارونات وبؤساء، ص ١٢٤

(٢) ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٣٢٤

(٣) أبو الغار، يهود مصر من الازدهار إلى الشتات، ص ٣٢٧

والجدير بالذكر أنه كانت توجد فروق ضخمة في نسبة ذوي العاهات بين اليهود المقيمين في أحياء مختلفة، وكان هذا الأمر مرتبطاً بالظروف البيئية والاجتماعية المتعلقة بالصحة العامة، فقد قدرت نسبة الصم والبكم والمتخلفين عقلياً في أوساط اليهود عام ١٩١٧ بضعفي نظيرتها في أوساط غير اليهود، ومع مضي الوقت فقد حدث انخفاض ملحوظ في معدل وفيات الرضع والأطفال الذين أنجبته أمهات يهوديات.

حيث يتضح من شهادات النساء اليهوديات المصريات اللواتي هاجرن إلى فلسطين بعد عام ١٩٤٨ أن كثيراً من الأمهات اليهوديات فقدن خلال عقدي العشرينيات والثلاثينيات ما يتراوح بين ثلث وربع أطفالهن قبل بلوغهن سن الخامسة، وعند النظر إلى معدل الوفيات في أوساط المصريين سواء من الرضع والأطفال أم البالغين فقد كانت هذه النسبة بالغة الارتفاع. وتتضح الدلالة الاجتماعية لهذه الحقيقة من إحصاء عام ١٩٤٧ الذي يتبين منه أن نسبة الأيتام من الأطفال حتى سن السادسة عشرة كانت تقدر في الأوساط غير اليهودية بـ ١٤,٨%، أي أنها كانت تقدر بأكثر من ضعفي نظيرتها في الأوساط اليهودية التي كانت تقدر عند اليهود بـ ٦,٤%.^(١) ويعزى كل ذلك إلى انخفاض مستوى المعيشة الذي كان سائداً في مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين..

٦ - المظهر الخارجي للرجال اليهود في مصر:

كان يرتدي أغلب الشباب في مصر ملابس تشبه الملابس الأوروبية، وهي تأتي جاهزة من الخارج، وبذلك يذكر "بن شمعون" في كتابه "تهر مصر" أن استيراد الملابس الجاهزة من الخارج كان سمة للأسلوب الاقتصادي الإمبريالي، على الرغم من أن مصر كانت دولة غزيرة الإنتاج للقطن. وقد تضمنت هذه الملابس القميص الأبيض المكوي والجاكيت والفانلة اللاصقة بالجسم. وبذلك لم يكن من السهل التفريق بين سكان حي وآخر، حيث كان الرجال يرتدون الجلباب وهو مصنوع من الحرير أو الكتان ويغطي كل الجسم، وكان البسطاء يلتحفون بسويتير، والأثرياء يأتزرون بحزام، ويضعون الطربوش على رؤوسهم، وقد عقدوا حوله بعض قطع القماش بلون خاص لأبناء كل دين وطائفة^(٢).

ومن عادات اليهود تغطية الرأس، وهي تعد مظهراً من مظاهر ابتعاد الحزين عن العالم، فهو يغطي رأسه تماماً بحيث لا تظهر إلا عيناه من وراء ثنایا الملابس، وقد وردت هذه العادة في التلمود كالإلزام تشريعي قاطع. وكانت مرتبطة ارتباطاً واضحاً بأسلوب الزي الشرقي، ولكن ما إن كف يهود الشرق عن ارتداء الملابس الشرقية حتى قرر الحاخام "ابن شمعون" عدم تطبيق الإلزام بتغطية الرأس على يهود

(١) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٥٤

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٦٩٦

مصر^(١). أما بالنسبة لحلاقة الذقن، فقد عدت متغيراً كبيراً في المظهر الخارجي للرجل اليهودي، حيث أكد الحاخام "الياهو حازان" أن الذي يفعله من هؤلاء الشبان لأمر سيئ.

وبالنسبة لاستخدام اليهود للأسماء العربية، يتضح من المخطوطات والخطابات والرسائل أن الأسماء العربية كانت شائعة بين كل طبقات المجتمع، ولكن الأثرياء المقربين من الحكم حاولوا أكثر من غيرهم تقليد المسلمين، فأضافوا إلى أسمائهم ألقاباً شرفية حصلوا عليها من وثائق حكومية رسمية، مثل كلمة شيخ، حيث كان المسلم يسمى علاء الدين، بينما يسمى اليهودي الشيخ علاء أو الشيخ العلاني^(٢).

٧- الملبس والمظهر الخارجي للنساء:

حافظت المرأة اليهودية على غطاء شعرها، غير أنها بدأت تدريجياً تكشف عن خصلات من شعرها، بينما اعتادت النساء المتزوجات تغطية رؤوسهن، فقد كان يمكن للجميع معرفة أن المرأة قد طلقت حينما تسير في الشارع بشعر مكشوف. كما انتشرت موضة ملابس السهرة الأوروبية بين نساء الإسكندرية، وقد اعترف الحاخام "حازان" بذلك لدرجة أنه لم ير أي احتمال لإلغائها بالوعظ، فقال أحد الحاخامات: "لتنظلم العيون من رؤية الشر الذي وجده شعبنا، ولكن لا نملك القوة للاحتجاج على ذلك أو قول كلمة ما من سامع لها"^(٣).

وانطلاقاً من التنازلات التي اتخذها معظم الحاخامات للتغيرات التي طرأت على العادات اليهودية من التأثيرات الأوروبية الدخيلة، حيث لم يعد المفتي يهتم بصورة الملبس، فلقد اعترف بصورة ملابس الإنسان في الحياة اليومية بأنها مسألة شخصية تخضع لاعتبارات صاحبها، حتى وإن كان ذلك مرتبطاً بخطر خلط الصوف بالكتان، الأمر الذي تحرمة الشريعة اليهودية، بينما نجد أن قوانين الحداد الدينية، قد تغيرت انطلاقاً من الاعتراف بمتغيرات الموضة بل إن هناك أيضاً متغيرات أخرى استاء منها معلمو الشريعة في مصر، مثل حلاقة الذقن، وكشف رأس النساء المتزوجات، وحرية الملبس للنساء، والرقص المختلط، ولكن تم الاعتراف بها جميعاً كأمر واقع، وأنها تقع خارج إطار أحكام الحاخامات العقلية^(٤).

هذا بشكل عام عن الحياة الاجتماعية ليهود مصر، التي كانت في معظمها لا تختلف عن باقي عادات وتقاليد اليهود الذين عاشوا في أماكن أخرى من الوطن العربي.

نتائج الفصل:

(١) هارون، يهودي في القاهرة، ص ١٧٨

(٢) ولفستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٧٨

(٣) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٥٧

(٤) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٦٩٦

من خلال دراسة حياة اليهود ومعيشتهم في مصر، تبين أن السلطة لم تسع للتدخل في فرض نمط سلوكي معين لهم، سواء في الإقامة أم فيما يخص شؤون الطائفة، حيث تمتع اليهود بحماية هائلة من العائلة المالكة المصرية، حيث منح الملك فؤاد الحاخام الأكبر ناحوم الجنسية المصرية بعد وصوله إلى البلاد بفترة قصيرة، كما عينه عضواً مؤسساً بمجمع اللغة العربية عام ١٩٣٢، وكان لدى كل من الملك فؤاد وفاروق علاقات اتسمت بالاحترام والدفء مع الحاخام ناحوم طوال مسيرته الوظيفية، حيث كان هذا الأخير يؤيد الاندماج الثقافي والوطنية المخلصة بوصفهما التدبير الوحيد الذي يمكن أن يضمن بقاء الطائفة اليهودية في مصر على قيد الحياة.

لقد كان يهود مصر دائماً طائفة متعددة العناصر ذات خليط عالمي، وكان هذا الأمر يشكل نقطة قوة بالنسبة للطائفة وفي الوقت ذاته كان بالمثل أحد العناصر التي أدت إلى زوالها النهائي، حيث إن تعدد عناصر الطائفة اليهودية المصرية لم يكن عفويًا، فقد كانت هناك عناصر محددة للشخصية العالمية لتلك الطائفة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يمكن اختصارها بـ : استعمال الفرنسية في مدارس الطائفة كنتيجة لعملية جذب الأعضاء للانضمام إلى الاتحاد الإسرائيلي العالمي (أليانس)، واستغلال الامتيازات القانونية التي تم الحصول عليها من خلال العلاقات مع التجار والمصرفيين والدبلوماسيين الأوروبيين؛ فضلاً عن القرابة والعلاقات التجارية مع أعضاء الأسر الممتدة الذين يعيشون في جميع أنحاء حوض البحر المتوسط. إن العالمية -غالباً- ما ينظر إليها على أنها خاصية مقتصرة على اليهود وآلية للتكيف يستعملها الشعب الذي ما يكون غالباً مفتقراً للوطن أو القوة السياسية، ويكون مستعداً دائماً ليقطع من جذوره وينتقل إلى ملجأ آخر.

وكان اليهود مختلفين في بعض الخصائص عن المسلمين والمسيحيين المصريين؛ بسبب ارتباطهم الراسخ تاريخياً بمجموعة خاصة من المعتقدات الدينية والرموز الثقافية والممارسات الاجتماعية، ومؤسسات تعرف بشكل عام على أنها جوانب للتقاليد اليهودية. في الوقت ذاته كان اليهود على شاكلة جيرانهم غير اليهود في جوانب عديدة، حيث كانوا يتشاركون اللغات والصحف والروايات والشعر والمهن والحرف والاستثمارات والأسواق والأحياء المتجاورة والأطعمة والأفلام والأشكال الأخرى من الثقافة الشعبية. ولم يعيش يهود مصر في جيتو مغلق؛ بل كانوا قد سكنوا أحياء وشوارع إلى جانب باقي فئات المجتمع المصري، وبالرغم من أن اليهود عاشوا بمصر حياة كريمة، وشكلوا جزءاً من المجتمع المصري، إلا أنهم غادروا مصر وهاجر معظمهم إلى فلسطين مستجيبين لنداءات الصهيونية.

الفصل الرابع

دور اليهود في الحياة الثقافية في مصر بين ١٩١٧-١٩٤٨

تمهيد:

أولاً- المستوى التعليمي ليهود مصر ومدارسهم خلال النصف الأول من القرن العشرين.

ثانياً- ظهور الصحف اليهودية في مصر في أوائل القرن العشرين.

١- الفترة الأولى منذ بداية القرن العشرين حتى إصدار تصريح بلفور عام ١٩١٧.

٢- الفترة الثانية من عام ١٩١٧ وحتى عام ١٩٤٨.

ثالثاً- النتاج الفكري الأدبي ليهود مصر منذ أوائل القرن العشرين.

١- مؤلفات في التفسير والفتوى والشرعة من التلمود.

٢- مؤلفات في المواعظ والأخلاق والشعر.

٣- مؤلفات في مجال الأدب.

رابعاً- النشاطات الثقافية لليهود في مصر ودورهم في التأثير على الرأي العام.

١- جمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية.

٢- جمعية الشبان اليهود المصريين.

٣- جمعية الشبان الإسرائيليين القرائين.

٤- الجماعة الفنية اليهودية.

٥- مراكز الخدمات الاجتماعية في القاهرة والإسكندرية.

٦- نوادي المكابي الرياضية في القاهرة والإسكندرية.

خامساً- أثر الثقافة الفرنسية والسياسة اليسارية على الطائفة اليهودية في مصر.

سادساً- النشاط الفني اليهودي ومدى تأثيره على الرأي العام المصري.

سابعاً- سيرة حياة بعض الفنانين اليهود في مصر.

١- توجو مزراحي.

٢- (دافيد) داود حسني (١٨٧٠-١٩٣٧)

٣- ليلي مراد (١٩١٨-١٩٩٥)

٤- راقية إبراهيم (ليني راشيل).

٥- نجمة إبراهيم (١٩١٤-١٩٧٦)

نتائج الفصل.

أولاً- المستوى التعليمي ليهود مصر ومدارسهم خلال النصف الأول من القرن العشرين:

أدرك اليهود حتمية الحصول على قسط وافر من التعليم، ومن هنا كان بعضهم على استعداد لتسديد مصاريف دراسية تفوق نظيرها لدى الآخرين؛ ونظراً لأن اليهود درسوا في المدارس الأوروبية وخاصة الفرنسية منها، فقد تمكنوا من تعلم اللغات الأجنبية بسهولة، وبسبب حرص اليهود على دراسة اللغات الأجنبية، فقد اقتصرَت الشركات الأوروبية التي استثمرت أموالها في مصر على تعيين اليهود والمسيحيين والأرمن - أساساً -، بدلاً من جلب العمالة ذات التكاليف الباهظة من أوروبا، أضف إلى هذا أن اندماج العمالة الأوروبية في المجتمع كان أمراً بالغ التعقيد^(١).

أما العائلات اليهودية بالغة الثراء فقد أرسلت أبناءها لتلقي دراستهم في أوروبا. ومع هذا فقد حرصت هذه العائلات على المساهمة في تأسيس مدارس خاصة بالطائفة، واعتمدت هذه العائلات عند تأسيسها لهذه المدارس على مساعدة يهود بريطانيا وفرنسا، وقد تلقى اليهود في هذه المدارس أسس ثقافة الدول صاحبة المساعدات، كما اكتسب الأطفال الفقراء من خلالها بعض المهن^(٢)، ومن أهم المدارس اليهودية في مصر:

١ - مدارس القاهرة:

أسهمت بعض العائلات اليهودية في القاهرة مثل عائلات أجيون وموصيري وقطاوي بإقامة بعض المدارس الدينية لأبناء الطبقات الفقيرة. غير أن التلاميذ اليهود هجروا هذه المدارس مفضلين تلقي تعليمهم في المدارس التابعة لجمعية "كل إسرائيل أصدقاء" والتي بدأت هذه الأخيرة بتأسيس مدارسها. وأسماء هذه المدارس وسنوات تأسيسها في القاهرة، هي: مشروع نقطة الحليب ١٩١٧، مدرسة سالومون شيكوريل الصناعية ١٩١٩، موسى قطاوي باشا ١٩٢٠، ماري سواريس ١٩٢٤، جرين ١٩٢٤، العباسية ١٩٢٧، يعبوتس ١٩٣٤، مشروع ليموند التعليمي ١٩٣٤، مدرسة السكاكيني الثانوية ١٩٣٦.؛ فضلاً عن أن هذه المدارس لدى بعض الطوائف حرصت على أن تعلّم أبناءها في إطارها، فأسست الطائفة السفاردية بالقاهرة عام ١٩٠٥ جماعة "شيفت أحيم" وكان أعضاؤها يتلقون تعليمهم بالمعبد^(٣).

ورغم تأسيس الطائفة للعديد من المؤسسات التعليمية، وإشرافها على البعض الآخر فإن هذا الوضع لم يحل دون إقبال يهود مصر على المدارس غير اليهودية. فكان ٥٠% من يهود مصر يدرسون عشية الحرب العالمية الثانية في مؤسسات غير يهودية^(٤). ومن المؤكد أن حرص اليهود على الانخراط في صفوف المؤسسات التعليمية الغربية، أدى إلى تزايد نسبة عدد العارفين منهم باللغات الأوروبية. فبينما

(١) إبراهيم، الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة، ص ٢٤٢

(٢) تسفي زوهر، تعليم اليهود المصريين في القرنين التاسع عشر والعشرين، موقع "مركز تراث اليهود المصريين" على شبكة الإنترنت

(١٧/٨/٢٠١٧) - ترجمة- إبراهيم عبد الكريم، ص ١١٥.

(٣) أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٢٠٥

(٤) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٣٣

كان ٥٠% من يهود مصر لا يعرفون في مطلع القرن العشرين أية لغة أوروبية، فقد قدرت هذه النسبة في عام ١٩٤٧ بنحو ٢٠%. وفي الواقع كانت نسبة كبيرة من يهود مصر على قدر كبير من الثقافة، فعلى سبيل المثال كان ٧٥ من أبناء الطائفة في عام ١٩٤٧ من خريجي الجامعات. وتجدر الإشارة إلى أن قلة قليلة من يهود مصر استخدمت العربية في حديثها، حيث درس معظمهم اللغة العربية كلغة أجنبية^(١).

وبخصوص عدد المتعلمين اليهود في مصر، تشير إحصائيات تعود إلى أواخر الثلاثينيات إلى أن هذا العدد بلغ ٨٤٦٢ شخصاً، منهم ٤٣٣٠ في المدارس اليهودية و٤١٣٢ شخصاً في المدارس غير اليهودية، وكان توزعهم حسب الجنس والنسب، كما في الجدول الآتي^(٢):

المتعلمون اليهود في المؤسسات التعليمية غير اليهودية في القاهرة

أرقام أواخر الثلاثينيات

هوية المدارس	ذكور	إناث	إجمالي
المدارس اليهودية	٢٣٠٩ (٤٩.٨%)	٢٠٢١ (٥٢.٨%)	٤٣٣٠
المدارس غير اليهودية	٢٣٢٥ (٥١.٢%)	١٨٠٧ (٤٧.٢%)	٤١٣٢
إجمالي	٤٦٣٤ (٥٤.٨% من الطلاب اليهود)	٣٨٢٨ (٤٥.٢% من الطلاب اليهود)	٨٤٦٢

ب- المدارس في الإسكندرية من بدايات القرن العشرين:

شهدت مدينة الإسكندرية منذ بدايات القرن العشرين زيادة ملحوظة في عدد المدارس، ومن هذه المدارس : نقطة الحليب ١٩١٧، دي لي فرجولا ١٩١٩، الحضانة ١٩٢٣، نيساح يسرائيل ١٩٢٤ ، تلمود تورا ١٩٢٥^(٣)، مدرسة الاتحاد اليهودي للتعليم الثانوي ١٩٢٥، الطفولة السعيدة ١٩٢٦، مدرسة محرم بك الثانوية ١٩٢٩، يعبتس ١٩٣٠، ملجأ الطفولة اليهودية ١٩٣٢، دار جاك أجيون لليتامي ١٩٣٦.

ومع تزايد حركة الهجرة اليهودية إلى مصر تأسس في الإسكندرية المزيد من المدارس، أما الفتيات فقد تلقين تعليمهن في مؤسسة "شداي يعزور"، وقد عدد تلميذات المدرسة عام ١٩١٦ بنحو ٣٦٥ تلميذة. وفي مصر الجديدة تأسست مدرسة "أبراهام بيتش" ١٩٣٦^(٣)، وقد شهدت الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى زيادة ملحوظة في عدد التلاميذ اليهود، فقد عددهم في العام الدراسي ١٩٢٤ - ١٩٢٥ بنحو ١٣٦٩١ تلميذاً، وتلقى معظمهم تعليمه في المدارس اليهودية، واستمرت هذه الزيادة حتى

(١) زهر، تعليم اليهود المصريين في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص ١١٦

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٦٣٨

(٣) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٣٣

عقد الثلاثينيات من القرن العشرين، ومع هذا فقد شهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة في العام الدراسي ١٩٤٥-١٩٤٦ انخفاضاً ملحوظاً في عدد التلاميذ اليهود.

وكان هذا بسبب انخفاض عدد المواليد اليهود في تلك الفترة التي اتسمت بعدم وجود أي توازن بين عدد البنين والبنات في الهيئات التعليمية. وإذا سلطنا الضوء على المدارس القرائية التي أسست في كل من القاهرة والإسكندرية، نجد أن تلاميذها حظوا دائماً بأنشطة متنوعة، مثل: التربية الرياضية، تنس الطاولة، فرق الغناء والفرق الرياضية، كما كانت هناك أيضاً نشاطات أخرى، مثل: إصدار الكتاب السنوي الذي ضم كل النتاج الأدبي للتلاميذ عام ١٩١٧. كما اهتمت منظمات الطائفة بالدراسات الدينية والتشريعية^(١).

ولا شك في أن اهتمام الطائفة اليهودية بالتعليم، ووجود بنية مؤسسية قوية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، قد أسهما في ارتفاع نسبة اليهود الذين كانوا على معرفة بقواعد القراءة والكتابة. حيث شهد عقد العشرينيات تزايد قوة الجهود التعليمية في الطائفة اليهودية، إذ أصبح التعليم الأساسي أمراً إلزامياً. ففي عام ١٩٤٧ بلغ عدد الملمين بالقراءة والكتابة في أوساط الرجال اليهود ٩٠%. كما أن ثلاثة أرباع النساء اليهوديات كنَّ على معرفة بالقراءة والكتابة. وبالمقابل قُدرت هذه النسبة في أوساط الرجال غير اليهود بالثلث وبالثمن في أوساط النساء. وتجلت مظاهر التطور الذي طرأ على مستوى الثقافة في ارتفاع نسبة من أتموا تعليمهم الثانوي والجامعي^(٢).

أما ثقافياً، فقد شكل يهود مصر حلقة الوصل بين يهود آسيا وأفريقية وأوروبا؛ وذلك بسبب التعددية اللغوية التي اتسم بها إطارهم التعليمي، غير أن الغلبة كانت في هذا الإطار للغة الفرنسية، وقد أسهم هذا النظام التعليمي في إيجاد فرصة لتقلد العديد من المناصب في بعض الجهات التي كان من شروط العمل فيها إجادة اللغات الأجنبية، كما أسهم في تمكن اليهود المصريين بعد هجرتهم من مصر عام ١٩٤٨ في الاندماج سريعاً في البلدان التي ارتحلوا إليها^(٣).

وفي حقيقة الأمر كان المستوى الثقافي لليهود الذين ارتحلوا إلى الغرب يفوق بكثير نظيره لدى اليهود المصريين الذين فضلوا الهجرة إلى "إسرائيل". فيذكر تعداد سنة ١٩٤٧ أن جملة المتعلمين منهم بلغت ٤٦,٣٥٤ شخصاً حصل منهم ١٠٤ على تعليم عالٍ من الخارج، و ٢٢٩١ على تعليم متوسط، و ٢٨٩٩ على تعليم أقل من المتوسط. والباقي عددهم ٤٠١٥٣ كانوا يعرفون فقط القراءة والكتابة من إجمالي العدد

(١) أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ص ٢٠٦

(٢) عبده، قاسمية، يهود البلاد العربية، ص ٦٩

(٣) أبو النور، دور القصر في الحياة السياسية، ص ٣٤

السابق، أما عدد الأميين فقد بلغ ٩,٩٤٥^(١). وتحليل الأرقام تكون نسبة الأمية في الطائفة اليهودية بمصر عام ١٩٤٧ نحو ١٧% وهي أقل من نسبة الأمية بين عموم المصريين في السنة ذاتها التي تبلغ عند المسلمين ٧٦% وعند المسيحيين ٦٠%.

ثانياً- مراحل ظهور الصحف اليهودية في مصر في بدايات القرن العشرين.

تُعد الصحافة من أبرز وسائل الإعلام؛ وبالتالي كانت أهم وسيلة للتعبير عن تطلعات الطائفة اليهودية، حيث تمتعت الطائفة اليهودية في مصر بكامل حريتها في إصدار الصحف والمجلات التي تمثل وجهة نظرها في مختلف الشؤون المصرية والعالمية.

وقد سعت الطائفة اليهودية في مصر، إلى ترتيب وضع خاص لها داخل المجتمع المصري، لتحافظ من خلاله على المكاسب التي تحققت لها على مرّ السنين، والتي نعمت فيها في مصر، حيث تمتعت الحقوق التي تمتع بها المصريون كافة؛ بل ليس من المبالغة أن نقول إنهم كانوا أحسن حالاً من باقي شرائح المجتمعات، سواء في المنطقة أو في أوروبا، ولأهمية وضعها العام، فقد اهتم اليهود المصريون بترتيب حالة تمكنهم من التأثير في المجتمع المصري. وقد بدؤوا ذلك مبكراً؛ مستغلين جو التسامح والحرية الذي تمتعوا به في المجتمع المصري، على المستويين الشعبي أو مع السلطوي، و حتى مع النخبة المثقفة في هذا المجتمع. وقد جاء ذلك من خلال تأهيل الرأي العام المصري لتقبل الأفكار التي بدؤوا بترويجها داخل مصر، والمرتبطة بالصهيونية. والنشاطات التي بدأت بعض القوى اليهودية في مصر ممارستها، مع التأكيد على عدم تأثير ذلك على وضعهم الاجتماعي والسياسي. وبدأوا هذا من خلال إنشاء العديد من الجرائد والمجلات التي تسمح لهم بذلك، وسعوا إلى التأثير على الثقافة والمتقنين المصريين^(٢).

ونظراً لأهمية موقع مصر الاستراتيجي فقد حاولت الصهيونية العالمية أن تجعل منها مركزاً للنشاط والدعاية الصهيونية في الشرق؛ بالاعتماد على الشخصيات اليهودية المعروفة بانتماءاتها الصهيونية لبث الدعاية الصهيونية. وفي إطار السيطرة على الرأي العام، جاء التحرك اليهودي في مصر، بإصدار سيل من الصحف الناطقة باسم الطائفة اليهودية بلغات مختلفة كالفرنسية والعربية والعبرية.

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٣٢

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ١٧٨

وأما التحرك الثاني، فكان السيطرة على أفكار المثقفين والمفكرين المصريين وعقولهم، وضمان انحيازهم لهم كطائفة من طوائف المصريين، وتأييداً من بعضهم لمشروعهم، أو على الأقل الوقوف على الحياد وعدم مهاجمة مخططاتهم. وإن المتتبع لإصدارات الصحف اليهودية أو التي يمتلكها اليهود في مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين، سوف يفاجأ بأن اليهود أصدروا أكثر من ٥٤ صحيفة، وذلك إدراكاً منهم بتأثير الكلمة في سبيل إثبات وجودهم على الساحة المصرية في المقام الأول، أو نشراً لقضية يؤمنون بها مثل الحركة الصهيونية. وقد سعت الصحافة اليهودية إلى اكتساب القوى السياسية والثقافية والاجتماعية في مصر، إلى جانب اليهود سواء بعلاقات صداقة معها، أو بمحاولة إقناعها بعدالة موقف اليهود، من خلال تقديم صورة مشوهة عن حقيقة الأوضاع في فلسطين^(١).

وإذا تتبعنا علاقة السلطة المصرية بالصحافة اليهودية، فسوف نجد أنها لم تعترض على إصدار أي صحيفة يهودية أو تعطيلها.

ويمكن تقسيم الفترة التي صدرت فيها الصحف اليهودية في مصر، إلى ثلاثة أقسام رئيسة، واختلف التناول سواء في شكل الإصدار أو في مضمون الموضوعات والأهداف من الإصدار.

١- الفترة الأولى امتدت منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال في ٢٩ آب عام ١٨٩٧ حتى إصدار تصريح بلفور عام ١٩١٧، والثانية بعد تصريح بلفور إلى حرب عام ١٩٤٨، والثالثة بعد الحرب العربية الإسرائيلية حتى عام ١٩٥٦.

٢- الفترة الثانية من عام ١٩١٧ حتى عام ١٩٤٨، وهي ما تهمنا في فترة البحث:

نلاحظ أن هذه المرحلة كانت من أهم فترات النشاط الإعلامي الصهيوني واليهودي في مصر. وقد تشجع اليهود في مصر لإصدار الجرائد والمجلات التي تعبر عن أهدافهم في أعقاب صدور التصريح مباشرة، ولكنهم استمروا في إصدار صحافتهم باللغة الفرنسية، وخاصة تلك التي تعبر عن الصهيونية؛ جساً لنبض المصريين وقياساً لمدى تقبلهم للكتابات الصهيونية الصريحة، حتى وإذا كانت بالفرنسية، وأيضاً تشجيعاً للطائفة اليهودية التي كان معظم مثقفيها وكثيراً من أثريائها يجيدونها^(٢). وهكذا بدأت الجرائد والمجلات الصهيونية تتبارى في تأكيد انتمائها الصهيوني من دون مواربة أو حجاب تحت سمع السلطة المصرية وبصرها التي لم تحرك ساكناً؛ مما شجع على إصدار العديد من الجرائد والمجلات اليهودية الجديدة في القاهرة والإسكندرية. وكان من بداية العشرينيات من القرن العشرين قد ظهر العديد من الجرائد والمجلات التي استمرت ما ينوف عن عقد وأكثر، حيث سنأتي على ذكر أهمها بشيء من التفصيل.

(١) عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنكليزي، ص ١٦٧

(٢) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٧٢

أ - جريدة إسرائيل:

رأى اليهود في بداية العشرينيات من القرن العشرين أن الوقت قد حان لإصدار جرائد صهيونية باللغة العربية التي كان يجيدها اليهود المتمصرون؛ أي الذين يتحدثون العربية، وأيضاً لتعريف الشعب المصري بالأهداف الصهيونية من وجهة نظرهم، والتعامل مع الذين يهاجمون تلك الأهداف، ولذا فقد أصدر ألبرت موصيري عضو اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية في مصر، جريدة "إسرائيل" عام ١٩٢٠ بثلاث لغات هي العربية والفرنسية والعبرية، وكان ألبرت موصيري وزوجته ماتيلدا وابنه مسؤولين عن الطبعة العبرية والفرنسية، حتى أنهما جعلتا لها إدارة مستقلة، حيث استطاعت جريدة "إسرائيل" الفرنسية أن تستمر حتى عام ١٩٣٩. وأما النسخة العبرية فظلت تصدر متقطعة حتى عام ١٩٣٢^(١).

وفي مبنى مجاور كانت تصدر النسخة العربية التي كان رئيس تحريرها "سعد يعقوب مالكي". وكان من برنامجها الدعوة إلى التجديد الثقافي اليهودي، خاصة بين اليهود الشرقيين؛ ليواكب مسار الدعوة الصهيونية، حيث أخذ مالكي يدعو إلى التضامن بين السفارديم، وعدم زواج شبابهم من غير اليهود، وعليهم التشبه بالأشكنازيم، وطالبهم بمقاومة ما أسماه جهود التبشير الكاثوليكية التي تنتشر أفكارها بين شباب اليهود في مصر، وخاصة على ضوء التحاق معظم الطلاب اليهود القادرين في مدارس تلك الإرساليات وخاصة الفرنسية منها، وأخذ يناقش علانية معنى حب الوطن أو الوطنية، والتي حصرها في حب "الوطن القومي في فلسطين". كما طالب موصيري على صفحات جريدة "إسرائيل" اليهود المصريين بصفة عامة والسفارديم بصفة خاصة، بالتبرع لكي تتمكن المنظمة الصهيونية من القيام بما أسماه ترتيب عمليات البناء في فلسطين، ومساعدة إخوانهم هناك في إقامة مجتمعاتهم الزراعية الاستيطانية^(٢).

وقد صدر الترخيص الخاص بالجريدة في كانون الثاني عام ١٩٢٠ باسم موسى قطاوي باشا رئيس الطائفة اليهودية، على أنها جريدة دينية للطائفة، ولكنها كانت ناطقة باسم الحركة الصهيونية حيث كانت تنتشر أخبارها، وترد على أعدائها، وتنتشر إعلانات الشركات الصهيونية العاملة في فلسطين، وتدعو اليهود المصريين لشراء أرض هناك عن طريق وكيل للشركة بالقاهرة^(٣).

وفي أول عدد للجريدة صدر بعد رحيل منشئها ألبرت موصيري أوضح سعد مالكي رئيس تحريرها في المقال الافتتاحي بأنه ماض على طريق ألبرت موصيري حتى تحقق الأمة هدفها في إقامة "وطنها" في فلسطين.

(١) عبده، قاسمية، يهود البلاد العربية، ص ٥٤

(٢) نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ١٢١

(٣) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٣٨

وفي مقال تحت عنوان "بيان إلى زعماء اليهود في مصر خاصة وبلاد الشرق عامة" تحدثت ماتيلدا موصيري عن أن الهدف من إنشاء الجريدة هو إيجاد صوت يهودي للدفاع عن الشؤون اليهودية والأخبار عن أحوال فلسطين، وإظهار نوايا اليهود الحسنة في العودة إلى فلسطين، ومدى التعاون الذي يمكن أن يحدث مع العرب للنهوض بها، وتجديد ما أسمته بالعصور الذهبية التي اشترك فيها اليهود والعرب في خدمة الفكر الإنساني. وفي نهاية المقال كتبت ماتيلدا موصيري مخاطبة زعماء الطائفة: "لقد قمنا بنشر الدعوة الصهيونية طيلة هذه المدة، والتبشير بالمبادئ الصهيونية، والدفاع عنها، ورد حملات خصومها، وكم مرة لفتنا نظر كبار رجال الصهيونية في الشرق إلى أن وجود جريدة يهودية بلسان عربي في مصر تتولى الدفاع عن الصهيونية وتنتشر الدعوة لها، مسألة على جانب عظيم من الأهمية، ودعونا هم إلى مساعدتنا في جهادنا لكي نتمكن من مضاعفة حجم الجريدة، وكذلك وجهنا نظر زعماء السفارديم وكبار رجال الطائفة، إلى أهمية وجود لسان عربي يهودي، ولكنهم جميعاً لم يعيروا هذا الرجاء شيئاً من الاهتمام"^(١).

وهكذا كانت جريدة "إسرائيل" أول جريدة يهودية تصدر في مصر باللغة العربية، بعد تصريح بلفور، ونادت بشكل علني وواضح بإقامة "الوطن القومي اليهودي في فلسطين" من وجهة نظرهم، وتبنت وجهة النظر الصهيونية فأصبحت المنبر الرئيس للدعوة لها في مصر.

(١) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ٣٩

ب- مجلة الشمس:

أصدر سعد مالكي محرر جريدة "إسرائيل" مجلة أسبوعية أخرى ذات توجهات صهيونية واضحة وهي "مجلة الشمس" باللغة العربية، وذلك على أثر إغلاق النسخة العربية في نهاية عام ١٩٣٣ من صحيفة "إسرائيل"، نظراً للصعوبات التي واجهتها ماتيلدا موصيري في أعقاب وفاة زوجها في العام ذاته. وصدر العدد الأول من "الشمس"؛ متضمناً الغاية من إصدارها في مقال بقلم سعد مالكي وهو نشر الفضيلة والأخلاق؛ والمحافظة على كيان اليهود الشرقيين، وإنها جريدة لا تعبر إلا عن رأي صاحبها^(١).

وقد جذبت "الشمس" من أول أعدادها أقلام عتاة الصهيونية، أمثال: ناحوم جولدمان والدكتور إسرائيل ولفنسون وإيلي ليفي أبو عسل وغيرهم، وأضحت "الشمس" لسان حال اليهود المصريين بعد ذلك، كما أوضح صاحبها "سعد مالكي" أن الجريدة صدرت بالعربية حتى تكون أداة تواصل بين أبناء اليهود الشرقيين، ولمواجهة دعاوى التغريب التي يحمل لواءها اليهود الغربيون؛ ولذلك لم يكن مفهوم "التمصير" الذي تبنته الجريدة مفهوماً اندماجياً "أي اندماج اليهود" في المجتمع المصري^(٢).

وقد جاءت هذه الدعوة لأن معظم اليهود في الشرق يجيدون العربية، وأيضاً لأن اللغة العربية المصرية ضرورية لكي يستطيع اليهود المصريون ممارسة حياتهم بصورة طبيعية في مصر، وفي الأوطان الشرقية العربية التي يعيشون بين ظهرانيتها حتى يجدوا فرصة العيش والرزق في البلد الذي يعيشون فيه. ورغم ما كتبه سعد مالكي عن أهداف صحيفته، وبعدها عن المناحي السياسية إلا أننا نجد أنها واجهة للصهيونية، حيث عنيت بنشر التراث اليهودي الذي رأى البعض من خلاله استتھاضاً لهم اليهود حتى يعيدوا مجدهم الغابر التليد، على حد زعمهم^(٣).

وقد أصبحت "الشمس" الجريدة الأولى التي تتجه إليها الإعلانات اليهودية، ومنها إعلانات الشركات الصهيونية التي تبيع الأراضي في فلسطين، ثم تضخمت طموحات سعد مالكي فأصدر ملحقاً لجريدة "الشمس" بالفرنسية تحت اسم "كاديما" أي إلى الأمام في الإسكندرية عام ١٩٣٥، غير أنها توقفت بعد عامين لخسائرها المالية في آب ١٩٣٧^(٤). ورغم رغبة سعد مالكي في جعلها جريدة يومية تعمل على تنقية صورة اليهود أمام الرأي العام المصري الذي بدأ - منذ نهاية الثلاثينات و في أثناء الحرب العالمية الثانية - يبتني إلى الأهداف الصهيونية الحقيقية، لذا نجد الجريدة في أعدادها الأخيرة تتفاعل تماماً مع أحداث فلسطين والتحركات العسكرية هناك، وتبادر بنشر مقال في ذكرى الزعيم مصطفى كامل عادة إياه

(١) عبده، قاسمية، يهود البلاد العربية، ص ٣٩

(٢) ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٦٠

(٣) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٢٣

(٤) نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ١٧١

باعثاً للوطنية في مستهل القرن العشرين. كما خلا العدد السابق لدخول الجيش المصري الحرب عام ١٩٤٨ من أية أخبار أو تعليقات عن الحرب^(١).

وقد أكد سعد يعقوب مالكي رئيس تحرير صحيفة "إسرائيل" و"الشمس" على أهمية الصهيونية ودورها في إنقاذ الشباب اليهود بقوله: "من لطف الله بالأمة اليهودية أن قيض لها وهي على وشك الوقوع في اليأس من تحسن أحوالها أن ظهرت إلى الوجود الحركة الصهيونية التي قدمت المثل العليا للشباب ولأمة بأسرها"^(٢). وواضح أن هذا الموقف ارتبط بالسياسة العامة التي انتهجتها الطائفة اليهودية في مصر، وهي سياسة التهدة، وإظهار الارتباط بالموقف المصري، حتى أن الحاخام الأكبر لليهود في مصر حاييم ناحوم أصدر نداءه للتبرع لجنود الجيش المصري في فلسطين. ورغم الدعوة الصريحة التي ذكرتها كل من جريدة "إسرائيل" و"الشمس" إلى الصهيونية وتدعيم إقامة "وطن قومي" في فلسطين على حساب المصالح العربية، إلا أن هذا الأمر لم يلفت انتباه السلطات المصرية والزعامات الحزبية وهذا يوضح السذاجة الفكرية التي كان تعيشها الحكومة المصرية وينتهجها المجتمع المصري اتجاه الأخبار التي كانت المجالات الصهيونية تنشرها وتروجها لصالحها ليصبح تقبلها إيجابياً بين أبناء الشعب المصري.

ت - مجلة الاتحاد الإسرائيلي:

صدر العدد الأول من مجلة "الاتحاد الإسرائيلي" بالعربية عن طائفة القرائين في ٢٠ نيسان عام ١٩٢٤، وتصدرت صفحتها الأولى صورة للملك فؤاد كانطباع عن الولاء للسلطة المصرية ممثلة في الملك، وفي العدد الثاني نشرت صورة كبيرة لسعد زغلول وكتبت تحتها "صاحب الدولة ذو الرئاسةين سعد باشا زغلول" حيث كانت وزارة الوفد الأولى برئاسة سعد زغلول في الحكم آنذاك، وفي العدد ذاته أخذت تنشر ما أسمته بأخبار الوطن القومي وتهنئ اليهود هناك^(٣)، بإصدار نظام نقدي خاص بفلسطين منفصل عن النقد المصري، وإدخال العبرية كلغة من ضمن لغات ثلاث لتمييز العملة، وهي العربية والإنكليزية والعبرية. وعدت الجريدة ذلك خطوة مهمة في سبيل تحقيق هدف الانتداب على فلسطين، وهو إنشاء الدولة اليهودية هناك، ومنذ العدد الثالث أسفرت عن وجهها الصهيوني، ونشرت صورة للورد بلفور وكتبت تحتها صاحب الوعد المشهور وذكرت نص التصريح، وفي العدد الرابع وضعت صورة لهرتزل مؤسس الحركة الصهيونية^(٤).

(١) عبده، قاسمية، يهود البلاد العربية، ص ٣٩

(٢) ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٦٠

(٣) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٢٣

(٤) نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ١٧١

وأكدت المجلة على صهيونية القرائين حيث كتبوا إلى اللورد بلفور مطالبين أن تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود، كما أنهم جادوا بما سنحت به أيديهم من المال، وبعثوا به إلى آخوتهم في فلسطين؛ مشتركين معهم في الأمر مادياً وأدبياً، وأنهم مستمرون على ذلك، كما أنها استنكرت رسالة مندوب الأهرام في القدس التي نشرت جريدته وذكرت فيها "أن وفداً من اليهود القرائين المتطرفين المعارضين للصهيونية قابل اللورد بلومر المندوب السامي البريطاني على فلسطين، وطلبوا منه الاعتراف بهم كهيئة منفصلة عن يهود فلسطين، وأنهم لن يخضعوا لشروط المكتب الصهيوني. وتحت عنوان "اليهود القراءون يعارضون الصهيونية كذباً وافتراء"^(١)، ردت مجلة "الاتحاد الإسرائيلي" على "الأهرام" مؤكدة أن هناك خطأ في الترجمة، وحدث خلط بين اليهود الأرثوذكس الذين يعارضون الصهيونية واليهود القرائين، وأعادت المجلة تأكيد أن القرائين كتبوا بهذا التأييد كتاباً، وأنه إن لم يكن هناك خطأ في الترجمة، فربما يكون هؤلاء اليهود الأرثوذكس قد انتحلوا صفة القرائين، وهو ما يتناقض مع الرأي السائد أن القرائين لم يكونوا صهيونيين، بل يهود مصريون.

ث - جريدة الصوت اليهودي:

ظهرت جريدة "الصوت اليهودي"، في عام ١٩٣١ وهي جريدة سياسية أسبوعية أصدرها ألبير ستراسلسكي (رئيس فرع حزب التصحيحيين في مصر؛ لتعبر عن وجهة نظر الصهيونية التحريفية (التعديلية) بزعامة زئيف فلاديمير جابوتنسكي، وكانت تصدر في الإسكندرية باللغة الفرنسية حيث كان لنشاط ستراسلسكي، ورفاقه أثره في دفع الحركة الصهيونية في مصر، واختار فكرة هجرة يهودها إلى أرض الميعاد، وقد كان يقوم بتمويل هذه الجريدة عدد من كبار الرأسماليين اليهود، كما كانت تحظى بدعم حاخام الإسكندرية دافيد براتو وتشجيعه^(٢).

ج - جريدة المنبر اليهودي:

ظهرت بعد جريدة "الشمس" بعامين أي في عام ١٩٣٦ جريدة "المنبر اليهودي" لصاحبها جاك رابان، وكانت تعد منبراً للحركة الصهيونية، حيث كان جاك رابان - الذي يقيم في فلسطين المحتلة ويعمل في صحافتها الناطقة باللغة الفرنسية - من أشد المتحمسين للحركة الصهيونية، ومن المساهمين في الجمعيات والمنظمات الصهيونية. وقد تعاون في ذلك مع ألبير ستراسلسكي كما أسهم بالكتابة في مجلتي "الفجر" و"إسرائيل"؛ فضلاً عن أنه كان يشترك في تحرير الجرائد المصرية التي تصدر باللغة

(١) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٥٨

(٢) عبد الرحمن، الصحافة الصهيونية، ص ١٢٢

الفرنسية، كجريدة "البورص إجبسيان" وجريدة "الأحد" و"الفنارة المصرية" و"الوطن"، كما كان من مؤسسي رابطة الصحفيين في مصر والسكرتير العام لها^(١).

كانت جريدة "المنبر اليهودي" أخطر الجرائد الصهيونية وأعمقها أثراً في يهود مصر، وقد أدت دوراً فاعلاً في بث الدعوة الصهيونية بين أبناء الطائفة اليهودية، وبخاصة في أثناء الحرب العالمية الثانية، أي في مرحلة الاستعداد للانقضاض الكامل على أرض فلسطين، وسلبها من أصحابها الأصليين، حيث امتلأت صفحات الجريدة بالدعوة السافرة إلى إقامة "الوطن القومي الصهيوني"، وتجميع القوى والإمكانات من أجل بلوغ الأهداف الصهيونية، حيث نشرت مقالاً فيها صدر في ١٢ نيسان ١٩٤٢^(٢) باسم جاك هويلفر عضو جمعية مصر للدراسات اليهودية التاريخية، أيد فيه موقف ليون كاسترو رئيس المنظمة بمصر عندما نادى بوجوب تطبيق قرار الإعارة والتأجير على اليهود في فلسطين، وهو القرار الذي أصدره الكونغرس الأمريكي عام ١٩٤١ وخول بمقتضاه الرئيس الأمريكي حق تقديم الأسلحة والمعونات للبلاد التي يرى أن الدفاع عنها يعد أمراً حيوياً لأمريكا، وقال هويلفر: "إن تطبيق هذا القرار أصبح ضرورة واجبة بالنسبة للشعب اليهودي كي يعيد بناء فلسطين على نحو سريع ونهائي"^(٣).

كما تذكر إحدى الدراسات العربية أن اليهود أصدروا في هذه الفترة بعض الصحف التي تميزت بتبعيتها لحزب الوفد -حزب الأغلبية- وكانت بالدرجة الأولى صحفاً فرنسية. مثل صحيفة La Liberté (الحرية) التي بدأت في الظهور في ١٥ آذار ١٩٢٢ لصاحبها ورئيس تحريرها ليون كاسترو، وقد تحولت عن الوفد بعد خروجه من الحكم في تشرين الأول ١٩٢٤. وأيضاً صحيفة (ريفيو إجبسيان Review Egyesian) المراجعة المصرية لمديرها جورج دوماني. كما صدرت صحيفة "الوسوار" Le Soir (المساء) في ٨ كانون الأول ١٩٢٥ لصاحبيتها منيره ثابت^(٤)، ورئيس تحريرها جورج فوشيه. ومن المجلات التي أخذت تروج بشكل علني على صفحاتها مبادئ الحركة الصهيونية، مجلة "الفجر".

وبذلك نلاحظ أن يهود مصر اهتموا في سبيل تأكيد عناصر قوتهم بالتغلغل في مجتمعها وتسخيرها في خدمة الطائفة اليهودية، وساعدهم على ذلك إنشاء الجمعيات والأندية التي كانت فرصة للتجمع المصلحي اليهودي، وإبراز احتياجات الطائفة في مصر. حيث بدا أن الهدف وراء دعوة التمسير التي علت في بعض الفترات وخاصة في نهاية العشرينيات والثلاثينيات وترعمتها بعض القيادات اليهودية على المستوى الطائفي والديني، من أمثال الحاخام حاييم ناحوم ويوسف قطاوي ومن بعده ابنه رينيه وسعد مالكي وغيرهم. إنما كان لإيجاد وحدة اللسان الذي يمكن عن طريقه توحيد لغة التخاطب بين أبناء

(١) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ٣٣

(٢) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٤٠

(٣) عبد الظاهر، يهود مصر دراسة في الموقف السياسي، ص ٥٩

(٤) نصار، الصحافة الإسرائيلية، ص ١٧٨

الطائفة، وخاصة على ضوء تعدد اللغات واللهجات بين أفراد الطائفة، واستمرار محافظتهم على ذلك؛ لصعوبة جعل العبرية لغة التفاهم بينهم، لأسباب خاصة بهم، وأيضاً لعدم إمكان ذلك لطبيعة الحياة وسط المجتمع المصري ذاته^(١).

وفي الوقت ذاته إن اتخاذ اللغة العربية يكسب اليهود احترام باقي الشعب المصري، ويشعره بمدى التقارب الحادث على الساحة الاجتماعية بين طوائف الشعب المختلفة، وأيضاً إن هذا الأمر ساعد أفراد الطائفة اليهودية على تفهم ما يدور حولهم، والقدرة على الرد على مواقف قد يعدونها معادية لهم. وقد زادت دعوة التمسير متلازمة مع نشاط بعض القيادات اليهودية في الدعوة إلى اجتذاب الجنسية المصرية، لمن لم يحصل عليها من اليهود^(٢).

ومن خلال هذه الدراسة بشكل عام تبين أن اليهود في مصر قد استقروا على تأكيد عناصر تفوقهم من خلال محاولة السيطرة على الرأي العام المصري، باستخدام إعلام أجادوا إدارته، حتى بلغت أعداد الجرائد والمجلات التي أصدرها خلال النصف الأول من القرن العشرين أكثر من أربعة وخمسين مطبوعاً. وقد بدأ ذلك بتشجيع من زعماء الصهيونية وزياراتهم ليهود مصر باستمرار، حيث تحول كثير من يهودها بمرور الوقت إلى طائفة تتآمر وتتشارك بعمق لخلق الكيان الصهيوني والهجرة إليه، فأسست بالإضافة لما سبق الكثير من الصحف الصهيونية التي لم تستمر طويلاً وهي صحف ضمت في صفحاتها موضوعات شتى أسهمت في خلق "دولة إسرائيل" فبعضها دعا إلى امتلاك الأراضي والأموال والمحلات التجارية في فلسطين، وأغلبها دعا إلى الهجرة اليهودية إليها. كما اهتمت هذه الصحف بشؤون الطائفة اليهودية وثقافتها الدينية^(٣).

وقد أدت الصحافة اليهودية في مصر دوراً كبيراً في التأثير على الرأي العام المصري بالنسبة لليهود المصريين، في كسبهم إلى جانب الدعوة الصهيونية، والتركيز على إيقاظ عوامل الخصوصية اليهودية، ومقاومة اندماجهم في مجتمعاتهم، وإشعارهم بأن إقامتهم في مصر هي إقامة مؤقتة، وأن عليهم واجباً رئيساً ألا وهو تدعيم إقامة "الوطن القومي" وحمائته. وأما على مستوى بقية الشعب المصري فقد حرصت الصحافة اليهودية على التعنيم على حقيقة الدعوى الصهيونية، ومحاولة إفراغها من نزعتها التوسعية الاستيطانية التي لن تتم إلا على حساب عرب فلسطين، وألبستها ثوب "اليوتوبيا"^(٤) التي جاءت لحل مشكلة اليهود، ولكن ليس على حساب أي شعب آخر. وحاولت إبراز مدى الفائدة المرجوة من التواصل المصري اليهودي. وبالطبع فإن السلطات المصرية انصرفت عن مقاومة النشاط الصهيوني حيث عدته

(١) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ٦٩

(٢) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٣٠

(٣) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ٣٩

(٤) عبد الظاهر، يخود مصر دراسة الموقف السياسي، ص ١٥٢

رافداً من روافد اليهودية؛ مما أغرى المنظمة الصهيونية العالمية على جعل مصر أحد أهم أفرعها في الشرق.^(١)

وفي خضم أحداث الثورة العربية الفلسطينية التي اندلعت بين عامي ١٩٣٦ و ١٩٣٩، أصرت الصحيفة الأسبوعية الصادرة عن حزب الأحرار الدستوريين وممثليها محمد حسنين هيكل على التمييز بين المستعمرين الصهاينة في فلسطين ويهود مصر. كما دافعت صحيفة "السياسة الأسبوعية" عن ولاء اليهود المصريين، وأكدت على تضامنهم مع باقي الشعب المصري بشأن قضية فلسطين. ورغم ذلك تتبأ هيكل بشكل صحيح بأن الصراع العربي الصهيوني على فلسطين سوف يشمل دون رحمة اليهود المقيمين في أماكن أخرى من العالم العربي، ومع إصرار الاتجاه اليهودي والصهيوني على إنكار العلاقة بين الصراع العربي الصهيوني ومصير يهود العالم العربي، لكن هذا لم يمنع بعض القيادات الفكرية من إعلان رأيها الواضح في حقيقة الأنشطة الصهيونية وما تلحقه من أذى بمصر والعرب^(٢).

لذلك بعد حادثة اغتيال اللورد موين عام ١٩٤٤، أخذت بعض الصحف المصرية تنتشر عن الإرهاب اليهودي، وتساءل عن موقف اليهود المصريين، كما أخذت الصحف تطالب بالتطوع لإنقاذ فلسطين، حيث إن بعضها خصص باباً دائماً يكتب فيه عن خطر اليهود في مصر، وموقفهم من قضية فلسطين.

ومن أبرز هذه الدوريات "النذير" و"الإخوان المسلمون" ومجلة "الأيام" و"المصور"، حينها بدأ يظهر في مصر نوع من رد الفعل والتعاطف مع الشعب الفلسطيني^(٣) أمام خطورة الرأي العام في مصر، حيث حاولت إحدى الصحف اليهودية أن تدافع عن اليهود؛ فكتب المحرر يقول: "لقد عمدت بعض الصحف إلى إعلان حرب سافرة على يهود مصر؛ تمشياً مع الحملة القائمة على الصهيونية، ولم تقبل تلك الصحف التفريق بين الصهيونية كحركة سياسية واليهودية كدين، وراحت تلك الصحف تتهم كل جمعية إسرائيلية في مصر، ولو كانت خيرية، بأنها تعمل للصهيونية، وتتساءل كيف اكتشفت تلك الصحف أن يهود مصر صهاينة في هذه الأيام، ولماذا كانت صامتة كل تلك السنوات"^(٤). ولكن جماعة الإخوان المسلمين لم تستجب لأقوال تلك الصحيفة بقصد التفريق بين الصهيونية واليهودية، وأقرت جماعة "شباب محمد" أن مساعدة يهود مصر ليهود فلسطين، يؤكد أنه لا فرق بين التيارات، وينبغي التعامل معهم ككيان واحد.

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٣٠

(٢) نصار، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية، ص ١٧٨

(٣) عبد الظاهر، يهود مصر دراسة في الموقف السياسي، ص ١٥٠

(٤) أبو كف، اليهود المصريون في الفكر والواقع المصري، ص ٤٢

ثالثاً - النتاج الفكري والأدبي ليهود مصر:

قام بعض أبناء الطائفة اليهودية في مصر بتأليف سجلات تاريخية تُعد على قدر كبير من الأهمية للتعرف إلى حاخامات الشرق عامة، ومصر خاصة. وفي الواقع أن البحث التاريخي الحديث يغفل البحث في تاريخ الحياة الفكرية والنتاج الفكري؛ ولكن بالطبع لا يمكن أن تغفل الصهيونية في البحث بما يخص النتاج الفكري لليهود بشكل عام لا سيما في الفترة المعاصرة وذلك لما يخدم حركتها ونشر أفكارها، ولكن مع ذلك لم يصلنا إلا القليل منها..

١ - مؤلفات في التفسير والفتوى والشريعة من التلمود:

لم يصلنا فيما يتعلق بمؤلفات التفسير إلا القليل، مثل كتاب الحاخام "يعقوب بولاك" عن فصل الزواج في التلمود، ويعود الفضل في نشر هذا التفسير الذي كان مخطوطاً لدى الحاخام "أهارون لففا" إلى الحاخام "شلومو بن عزرا"، كما نشر الباحث "م. رابينوفيتش" عام ١٩٤٠ على ضوء مخطوط حصل عليه من القدس بقية تفسير الحاخام يعقوب للجزء الخاص بالزواج في التلمود، كما نشر الباحث "ح. بنتوف" عام ١٩٦٨ وعلى ضوء مخطوط عثر عليه في موسكو بقية التفسير، وليس من الواضح إذا كان الحاخام يعقوب قد دون كل هذا التفسير أم أن أحد تلاميذه قام بمهمة تجميع هذا التفسير^(١).

ومن الواضح أن هذه الكتابات تعبر عن نتاج جماعة أكثر من تعبيرها عن انتمائها لكاتب واحد. وكان أهم مجالات الإبداع الرئيسة والمتواصلة في مصر، في مجال الشريعة والفتوى، وذلك لأسباب عدة، منها: إحساس كل حاخام بأنه ملتزم بالإجابة على من يطرحون أسئلتهم عليه.

وقد أسفرت تلك التقاليد الخاصة بالتشريع والتي كانت من اختصاص المعلمين وقضاة المحاكم، عن ظهور كتب في الشريعة اتسمت بكونها مرتبة حسب المواضيع. وقد حرص فيما بعد الحاخام "رفائيل بن شمعون" على استكمال نشاط الحاخامات السابقين في مجال تجميع عادات يهود مصر، ثم نشرها في كتابه الشهير "نهر مصر". أما أخوه الحاخام مسعود حاي بن شمعون الذي كان من قضاة القاهرة، وضع مؤلفات عدة في الشريعة، كان من بينها كتاب "اسم جديد" تناول فيه أسماء اليهود في اللغة العبرية وفي لغات أخرى، حيث صدر هذا العمل في القاهرة عام ١٩١٧ وكتاب "أبواب العدل" الذي صدر عام ١٩١٢^(٢).

٢ - مؤلفات في المواعظ والأخلاق والشعر:

(١) ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ١٣٧

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ٤٤

شغلت المواعظ والأخلاق وتفسير التوراة مكانة فريدة عند حاخامات الطوائف اليهودية في مصر، فيذكر أهارون: "لقد حرصت كل الطوائف اليهودية على أن يكون لديها خطيب يقوم بإلقاء الخطبة كل يوم سبت، وكان الخطباء يقسمون خطبتهم إلى ثلاثة أجزاء، فكانوا يتحدثون في الجزء الأول عن الموعدة، غير أنهم كانوا يتطرقون في الجزء الثاني من الخطبة إلى القصص، أما الجزء الثالث والأخير فكان يكرس كليةً إلى التشريع"^(١). وقد رأت الطوائف أن هذا النوع من الإنتاج لا يستحق الحفظ؛ لذلك لم يولوه العناية اللازمة، ومن ثم فلم يحرصوا على طباعته ونشره. كذلك أبدعت الطائفة اليهودية في مصر في مجال الشعر والأدبيات، ولكن لم يصلنا إلا الشيء القليل منها.

ولما كان للثقافة الأوروبية من تأثير على يهود مصر، أدى ذلك إلى ظهور العديد من الدوريات الناطقة باللغات الأجنبية بعد الحرب العالمية الثانية، لعدد كبير من الأدباء مثل "إيليان فينر" و"ألبرت عدس" و"ماريو سوارس" و"روبرت بلوم" و"أوموند يعبوتس" و"جورجيو قطاوي" والأديب "دي منشه" حيث منح هؤلاء للمجتمع اليهودي في مصر مكانة متميزة مقارنة بالمجتمعات اليهودية في بلدان البحر المتوسط^(٢).

٣- مؤلفات في مجال الأدب:

نشر بعض أدباء اليهود خلال نحو مائة عام ٩٩ عملاً أدبياً باللغة العربية^(٣)، تناولت الدين والإيمان، ولكن أغلبها كان في مجال الشعر والسياسة، ومنهم "مراد فرج" وهو رجل قانون قرائي وشاعر، اشترك في إعداد أول دستور مصري عام ١٩٢٣، ونشرت له مؤلفات مختلفة عن الشعراء اليهود باللغة العربية.

ومن الشعراء هلال شطا ومراد فرج اللذان ظهرت طبعات كثيرة من دواوينهما من عام ١٩١٢ حتى عام ١٩٥٠ حيث أصبحا جزءاً من الشعر العربي المعاصر، ونذكر أيضاً الأديبة أشير مور يال التي نشرت لها دار نشر "العالم الإسرائيلي" أكثر من عشرة أعمال مترجمة عن "زولا" و"فولتير" و"أرسطو"^(٤).

وبالنسبة للكتب التعليمية نجد مؤلفات اللغة العبرية لهلال فارحي ومراد فرج التي تعد حتى الآن مصادر موثوقة. كما نذكر أيضاً كتب "الصلوات للمناسبات الثلاث" و"الأيام الفطيمة" التي ترجمت ونشرت مرات عدة فيما بين ١٩١٤-١٩٢٦ والتي قام على نشرها "هلال فارحي" الذي كان أيضاً مؤلفاً

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٤٥

(٢) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٤٠٢

(٣) أحمد شلبي، اليهودية، مكتب النهضة المصرية، القاهرة، ط ٤، ١٩٧٤، ص ٨٩

(٤) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٤٤

لكثير من الأشعار الدينية، وقد ترجم فارحي أيضاً أنشودة عيد الفصح إلى اللغة العربية، ونشرت ترجمته مرات عدة^(١).

كما برز أيضاً من اليهود كل من يوسف شيناوي ويوسف اصلان قطاوي وفكتور موصيري بك (مستشار فني ومدير البحوث الزراعية في الشركة السلطانية للزراعة) وروفايل المعجم (مدير الشركة الملكية للجغرافيا) وكانوا جميعاً من مؤسسي الزراعة الحديثة في مصر. ورحمين ليشع الذي ولد في القاهرة عام ١٨٧٣ وكان رجل أعمال شهير وثري، وسميت باسمه دار المسنين التي بنيت بأمواله عام ١٩٤٥، وذلك بناء على طلب من ابنته^(٢).

وكان إيلى باروخ ليشع (الذي ولد في القاهرة عام ١٩٠١) طبيب عيون تخصص في أمراض عيون المناطق الاستوائية، وغالباً ما كانت تلجأ إليه الأرستقراطية العربية؛ فضلاً عن فريد مسعوده (الذي ولد في القاهرة عام ١٨٩٠) ويعد أحد أبرز الأطباء في الطائفة القرائية، فحصل على شهادته من بريطانيا، وخدم الطائفة لأكثر من خمسين عاماً. وحاميم فرج ليفي (الذي ولد في القاهرة عام ١٨٩٢) وكان رجل أعمال ناجحاً، ورجل بر ترأس عدداً من المنظمات الخيرية، وساعد الكثيرين من الناحية الاقتصادية. وسليم إبراهيم ليفي الذي درس الطب، وكان من ضمن أوائل المتخرجين من مدرسة الطب الحديثة في مصر، ويعد أحد أفضل الأطباء العموميين، وقد خدم طائفته كطبيب وكعضو في لجنة الطائفة. كما كان فيكتور ليفي (الذي ولد في القاهرة عام ١٩٠٩) مهندساً يحمل شهادة عليا من الحكومة المركزية، وعضواً فاعلاً في العديد من التنظيمات، وعمل عضواً في المجلس الملي لسنوات طويلة، وكان أول من دعا إلى اتباع سياسة طويلة المدى في المشروعات العامة. حيث ظهرت أفكاره على صفحات الصحف القرائية "الشبان" عام ١٩٣٧ و"الكليم" عام ١٩٤٦^(٣).

وموسى أبراهام منشه (الذي ولد في القاهرة عام ١٩٠١) وكان ضمن أعضاء أول مجلس ملي قرائي، كما عمل منشداً في المعبد، وكان يقوم بجباية الضرائب، وقد أسهم في إعادة بناء معبد ربي سمحاه، وعمل به جابياً لسنوات^(٤). وأبراهام موسى منشه (الذي ولد في مصر عام ١٨٩٨) درس الطب في مدرسة الطب في ألمانيا، ويعد من الأطباء الشبان في الطائفة، كما عمل في الخمسينات كطبيب خاص للعائلة المالكة الليبية. وزكي منشه (ولد في مصر عام ١٩٠٠) الذي أصبح عضواً نشطاً في المجلس الملي، وعلى مدى سنوات طويلة نظم وأنقذ كنوز الطائفة ووثائقها، كما عمل سكرتيراً للمجلس الملي لسنوات عدة، وكان مسؤولاً عن إعداد الميزانية السنوية للطائفة.

(١) هارون، يهودي في القاهرة، ص ١٤٧

(٢) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ١٧٨

(٣) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٦٢٠

(٤) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٤٨

كما كان يوسف موسى مرزوق (الذي ولد في مصر عام ١٨٨٤) حجة في المسائل الدينية واللغة العبرية، ورجل أعمال ناجحاً ساعد بأرائه في التقريب بين أعضاء الطائفة من ذوي الآراء المتعارضة. كما عين في منصب الحاخام الأكبر للطائفة القرائية في "إسرائيل" ومستشارها الديني. أما ابنه متتياهو يوسف مرزوق (الذي ولد في مصر عام ١٨٩٤) عمل مديراً وعضواً نشطاً في شركة "كوزرات" وهي شركة قرائية للتحف والفنون النحاسية، وخدم الطائفة في هذا المجال بإخلاص وولاء، وكان رجل أعمال ناجحاً كما كان عضواً في جمعيات للفقراء والزيجات. ويعقوب لياطو منجوبي (الذي ولد في القاهرة عام ١٨٩٤) وكان أحد مؤسسي ومديري بنك مصر، وعضواً في الكثير من المنظمات، ومنذ عام ١٩١٧ خدم طائفته كعضو وسكرتير ورئيس للمجلس الملي، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة، وأسس فيها الطائفة القرائية في شيكاغو حيث سجلت هذه الطائفة كطائفة يهودية دينية^(١). ومراد موسى القدسي (الذي ولد في القاهرة عام ١٩١٩)، وأدار مدارس قرائية عدة لمدة ١١ عاماً، وكان عضواً ورئيساً في منظمات مختلفة، وعمل سكرتيراً للمجلس الملي لمدة عشر سنوات، كما ترأس لجان الممتلكات غير المنقولة والأرباح وجباية الضرائب. وموسى مراد موسى (الذي ولد في القاهرة عام ١٩٠٥)، وخدم الطائفة منذ شبابه، وكان عضو هيئة تحرير مجلة "الشبان" ومسؤول شؤون الإصلاح، وأنهى دراسة الهندسة الميكانيكية، وحصل على بكالوريوس الهندسة، كما كان عضواً فاعلاً في الهجرة إلى فلسطين حيث أسهم في إنشاء مستوطنة "رتان" في النقب. ويوسف لياطو مراد (الذي ولد في القاهرة عام ١٩١١)، ودرس في جامعة عين شمس، وأصبح فيزيائياً مشهوراً في جامعة القاهرة، وعدّ فيها مرجعاً موثقاً به في شؤون الفيزياء النووية، وبعد استقالته هاجر إلى الولايات المتحدة^(٢).

وعبد العزيز عبد الواحد (الذي ولد في القاهرة في أوائل القرن العشرين)، كان عضواً في المجلس الملي، وله نشاط بارز في خدمة الطائفة، كما أطلق عليه هو وأخوه اسم "ملوك الذهب" لخبرتهما الكبيرة في مهنة الصياغة والتجارة في المعادن النفيسة. ونجيب وثابت خضر وهم توأمان (ولدا في القاهرة عام ١٩٠٢)، وكانا من الأعضاء البارزين في ورشة ضخمة للمنتجات الفضية وطلاء الفضة، وفي فترة معينة زودا مساجد المملكة العربية السعودية بكل الحلي الفضية والرسومات الهندسية للزينة^(٣).

ويوسف أبراهام يوم طوف أطلق عليه البعض دائرة المعارف المتنقلة في الشؤون الدينية (ولد في القاهرة عام ١٨٧٨)، وقد عمل منشداً وجزاراً، وساعد الطائفة، وعقد دورات في جمعية "شبان محبة التوراة" حيث خصص هذه الدورات لتعليم أصول الذبح في الشريعة اليهودية، وعرف العربية والعبرية والفرنسية والإنكليزية والإيطالية واليونانية، ودرس العبرية في المعابد القرائية وكان المدرس الأول في

(١) سيد أحمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي، ص ١٧٨

(٢) ولفنستون، تاريخ يهود بلاد العرب، ص ٢٢٠

(٣) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ١٤٥

دروس المساء لدراسات الشباب والكبار، وفي عام ١٩٤٨ نشر في مصر كتاباً تشريعياً باسم "معلم الحق" بالاشتراك مع الجابي داود زكي ليشع^(١).

وموسى فرج الإفرنجي (الذي ولد في القاهرة في أوائل القرن العشرين)، وتعلم كثيراً من والده الذي كان متفقهاً في شؤون الدين والشريعة، لكنه صبَّ اهتمامه على الدراسة القرائية، وعلى مدى عشر سنوات أدار مدرسة للقرائين في مصر، ونشر في صحيفة "الكليم" مقالات متفرقة جمعها يعقوب مان بعد ذلك، وبخلاف العربية كان يتحدث أيضاً بالعبرية والفرنسية والإنكليزية والألمانية والإسبانية واليونانية^(٢).

وسليم فرج شموئيل (الذي ولد في القاهرة عام ١٨٨٩)، وأنشأ مع أخيه شركة كيماويات باسم "شركة شموئيل للكيماويات" التي أدارت أعمالاً في أوروبا والولايات المتحدة. وكان له نشاط ومساهمات بارزة في الطائفة، وخدم عضواً في المجلس الملي، كما تولى مهمة جمع التبرعات لصالح معبد الحاخام "سمحاه" الواقع في الحي اليهودي. إلى جانب دانيال هاروفيه فيروز الذي كان من أسرة كبيرة ومحترمة في الأوساط اليهودية القرائية، من أصل إيراني. وكانت هذه الأسرة قد انتقلت إلى دمشق ومنها إلى مصر، وعثر في وثائق الجنيزا القاهرية على قصائد لإلياهو بن شلومو فيروز^(٣).

(١) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٤٧

(٢) سعفان، اليهود تاريخ وعقيدة، ص ٢١١

(٣) هارون، يهودي في القاهرة، ص ١٢٣

رابعاً - النشاطات الثقافية لليهود في مصر لإيقاظ الوعي اليهودي والتأثير في الرأي العام:

إلى جانب تأسيس المدارس، شكلت طائفة اليهود بالقاهرة والإسكندرية خلال بدايات القرن العشرين جماعات عدة تمثلت مهمتها في توفير الدعم المناسب للتلاميذ المحتاجين. حيث أسس كبير حاخامات الإسكندرية خلال عام ١٨٩٤ جمعية "عملي التوراة" التي كان الغرض منها توفير المال لفقراء التلاميذ، وقد استمرت هذه الجمعية في ممارسة أنشطتها حتى الحرب العالمية الأولى. وبالمقابل أسست مجموعة من النساء اليهوديات عام ١٩٠٥ جماعة "ملاذ الأطفال اليهود" وتمثلت أنشطتها في توفير الملابس والأحذية للتلاميذ الفقراء لفترة طويلة نسبياً. وبالمثل، جمعية "نقطة اللبن" التي بدأت بفكرة تقديم وجبة إفطار لطلبة المدارس اليهودية، ثم تطورت إلى تقديم المعونات المالية والغذائية. وإلى جانب المدارس والجمعيات، أقامت مراكز للتدريب المهني في القاهرة والإسكندرية لتدريب العمال على الحرف الدقيقة^(١)، مثل الحياكة والميكانيك والأحذية وتجليد الكتب وصياغة المعادن والنجارة والحدادة وصناعة الرخام والحفر وصنع الآلات الموسيقية. وعلى الرغم من هذا التطور الذي خصص في مجال إنشاء الجمعيات الخيرية إلا أن الهوة في السلم الاجتماعي اليهودي تفاقمت، فعلى أحد أطراف السلم الاجتماعي نجد كبار رجال الأعمال البنكية مثل سير فيكتور هراري باشا، ويوسف قطاوي باشا، وموصيري بك، وشيكوريل...؛ فضلاً عن أصحاب المنشآت الصناعية (سواريس، هوروفيتس)، بينما نجد في الطرف الثاني الفقراء الذين عاشوا عالة على جمعيات توزيع الخبز والمصحات والمؤسسات الخيرية.

لذلك وجه زعماء الطائفة جهودهم إلى إنشاء المؤسسات والجمعيات الدينية والاجتماعية والثقافية للعناية بشؤون شباب اليهود وكان هدفها الرئيس بث الدعوة للتجديد والبعث الديني والثقافي، وإحياء اللغة العبرية، وقد أبرزت الصحف اليهودية أنشطة هذه الجمعيات وعاونتها في إنجاز مهمتها كما دعت إلى وجوب التعاون بين مجلس الطائفة وجمعيات الشباب على تعداد أغراضها، وأفصحت عن رغبتها في تنشئة الشباب في ظل "المبادئ الصهيونية"^(٢). وعلى ذلك دعا عدد من الكتاب اليهود ممن تسلطت على عقولهم الفكرة الصهيونية إلى تكوين عدد من الجمعيات ذات المبادئ الثقافية الذين خدموا الصهيونية فكراً وممارسة لكنها ليست على غرار الجمعيات المسيحية والإسلامية، وكان أهمها:

(١) لاندو، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٦٢١

(٢) علي، ملف اليهود في مصر، ٢٣

١ - جمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية:

امتد نشاط اليهود إلى مجال الثقافة والأدب بهدف إيقاظ الوعي اليهودي الصهيوني، وأنشأت الطائفة اليهودية في القاهرة عام ١٩٢٥ "جمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية". بهدف إحياء التراث التاريخي اليهودي وإيقاظ الوعي القومي اليهودي. وقد أنشأ هذه الجمعية وتبناها الحاخام الأكبر "حاييم ناحوم أفندي" من الناحية الشكلية، أما يوسف قطاوي فهو من تولاهما من الناحية العملية^(١)، وقد أصدرت هذه الجمعية الكثير من النشرات والكتب التي تحت على إيقاظ المشاعر القومية اليهودية. كما عملت على الحض على فكرة عدم اندماج اليهود في مصر، وهي الفكرة التي كان يروج لها بعض اليهود المصريين، وقد اتخذت الجمعية مقراً لها في شارع زكي بالتوفيقية بوسط القاهرة، وهي المنطقة المفضلة لمقار التنظيمات اليهودية على مستوى الطائفة^(٢). وقد انقسمت الجمعية إلى ثلاث لجان رئيسية:

الأولى: هي لجنة الجرد ومهمتها جرد الكتب والمخطوطات اليهودية والخاصة بتاريخ اليهود في مصر.

واللجنة الثانية: هي لجنة المحاضرات وتهتم بتنظيم المحاضرات وطبع المؤلفات ونشرها عن تاريخ اليهود المصريين.

واللجنة الثالثة: هي لجنة العلاقات الخارجية وتهتم بالاتصال بالطوائف اليهودية في البلدان الأخرى وتوثيق الصلات بهم.

وبعد أن ترأس الجمعية يوسف قطاوي رئيس الطائفة خلفه ابنه رينيه، واستمر الحاخام الأكبر حاييم ناحوم رئيساً شرفياً لها وقد شارك في أعمال الجمعية وعقد المحاضرات عدد من اليهود المصريين أمثال الدكتور إسرائيل ولفنسون و مراد فرج ليشع وألفريد يلوز مدير الترجمة بوزارة الزراعة الذي تولى سكرتارية الجمعية عام ١٩٣٦، كما أصبح محرراً في جريدة "البورص إيجيبيسيان" ومن أعضائها أيضاً مراد كامل و شموئيل جويتين وغيرهم. وقد شاركت الجمعية في احتفال الطائفة بالموثوية لموسى بن ميمون التي أقيمت في دار الأوبرا المصرية تحت رعاية الملك فؤاد. كما أصدرت الجمعية كتاباً تذكاريّاً ضم الأبحاث عن المفكر اليهودي موسى بن ميمون، وقد أصدرت الجمعية مجلة خاصة بها في عام ١٩٤٧ باسم مجلة "تاريخ الإسرائيليين في مصر"^(٣)

وفي مقدمة العدد الأول أوضح رينيه قطاوي رئيس الجمعية أن المجلة "نافذة لنشر الأبحاث الخاصة باليهود في مصر، وأنها سوف تفتح أفقاً واسعة لحياتهم ولماضيهم بين ظهراني الشعب المصري الكريم، وهي

(١) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٢٣

(٢) لاندو، يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥١٤

(٣) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٣٢

رسائل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ المجيد لوادي النيل السعيد الذي يرجع إلى آلاف السنين" وذكر أن المجلة ستصدر بلغات متعددة لاشتراك علماء من مصر والخارج من اليهود في تحريرها، مع إضافة ترجمة موجزة باللغة العربية لجميع الموضوعات حتى تصبح المجلة في متناول الشعب المصري^(١).

وأردف قطاوي: "أما منهجنا فإنه يمتد إلى أقصى حدود تاريخ اليهود في مصر زماناً ومكاناً ونشوء الطوائف اليهودية المختلفة على ضفاف النيل ومصيرها منذ ظهورها الأول في عهد آباء بني إسرائيل حتى العصر الحديث"^(٢). ويلاحظ مما كتبه رينيه قطاوي إقراره بانفصال اليهود الذين عاشوا في مصر، وعدم اندماجهم في مجتمعهم، وحرص الجمعية على إبراز نتائج تاريخ اليهود المصريين في إعلان واضح عن عدم القبول باندماجهم.

٢ - جمعية الشبان اليهود المصريين:

تشكلت "جمعية الشبان اليهود المصريين" في عام ١٩٣٥، حيث أسست لها لجنة تحضيرية ضمت د. الفريد يلوز، ود. إسرائيل ولفنسون، وسعد يعقوب مالكي، ورحمين كوهين، وهلال فارص... وكان شعارها "الوطن والدين والثقافة"، ومبادئها هي خدمة مصر، ودفع شأن اليهود في البلاد أدبياً واجتماعياً وتأييد الشبيبة على الأخلاق القومية والتقريب بين عناصر الأمة على اختلاف أديانها وأجناسها^(٣). وفي عام ١٩٣٩ تمكنت الجمعية من أن تؤسس نادياً باسم "نادي جمعية الشبان اليهود" كان من أهم الأنشطة التي نشطت في بث الفكر الصهيوني، كما تأسس أيضاً "الاتحاد العالمي للشبيبة الإسرائيلية" بمصر برئاسة ألفريد يلوز وفي إطاره تأسس قسم هاعبري هاتسجير "العبري الفتى" بهدف تعليم اللغة العبرية ونشر المبادئ الصهيونية^(٤).

٣ - جمعية الشبان الإسرائيليين القرائين:

في عام ١٩٣٧ تأسست "جمعية الشبان الإسرائيليين القرائين" التي أصدرت مجلة باسم "الشبان القرائين"، ثم أسست هذه الجمعية نادياً باسم "نادي اتحاد الإسرائيليين القرائين" وقد اشتهر هذا النادي بتنظيم الحفلات والرحلات والمحاضرات، وضم فرقاً رياضية وثقافية وموسيقية؛ فضلاً عن نادي "الشبيبة اليهود المكابي" الذي تولى رعاية شباب الطائفة رياضياً واجتماعياً وثقافياً، والذي تأسس في مدينة الإسكندرية عام ١٩٣٠، وكان

(١) عبد الرحمن، الصحافة الصهيوني، ص ٢١٥

(٢) عبد الرحمن، الصحافة الصهيوني، ص ٢١٥

(٣) عبد الظاهر، دراسة في الموقف السياسي، ص ٦٨.

(٤) علي، ملف اليهود في مصر، ص ٢٣

بين من تولوا رعاية هذا النادي مادياً ومعنوياً عائلتا منشه ورولو... كما أسهم عدد من العائلات اليهودية الرأسمالية؛ مثل: شيكوريل وعاداه وقطاوي في تأسيس نادي "مكابي القاهرة" عام ١٩٣٠.^(١)

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأندية اليهودية التي تأسست في كل من الإسكندرية والقاهرة قد شكلت جماعات للكشافة وفرق "العبري الفتى" التي أسهمت في جمع التبرعات إلى "الكيرن كايميت" من أجل شراء الأراضي في فلسطين وتشديد المستعمرات اليهودية عليها.

٤ - الجماعة الفنية اليهودية:

أسس بعض الفنانين اليهود جماعة باسم "الجماعة الفنية اليهودية" بالقاهرة في ١٩١٢ وقد استمرت إلى عام ١٩٢٤ برئاسة (جوزيف ونيشتين) الذي كان عضواً في مجلس الطائفة الأشكنازية، وأحد الأعضاء المهمين في محفل "بناي بريث"، وقد نمت هذه الجماعة وتطورت حيث كان مجلس الطائفة بالقاهرة ينظم دروساً مجانية في صالته للتلاميذ اليهود الذين يدرسون في المدارس غير اليهودية، لتلقينهم اللغة العبرية والتاريخ اليهودي، وقد شهدت هذه الصالة سلسلة طويلة من المحاضرات ألقاها "ليون باسان"^(٢) وهي محاضرات تتناول الدور الذي أدّاه اليهود عبر التاريخ مجدداً للأفكار الصهيونية ومروجاً لمبادئها.

٥ - مراكز الخدمات الاجتماعية في القاهرة والإسكندرية:

انتشرت الجمعيات في مجال الخدمات الاجتماعية لأبناء الطائفة التي هيمن عليها كبار الرأسماليين من اليهود الصهاينة ومدوها بالعون المادي والأدبي، بحيث أصبحت مراكز لنشر الدعوة الصهيونية، ولإيجاد جيل من اليهود المؤمنين بالصهيونية، ومن هذه الجمعيات في القاهرة: جمعية "نجر حوليم" التي تأسست عام ١٩٠٩ لتقديم الرعاية الطبية للمرضى اليهود المحتاجين. و"الاتحاد الإسرائيلي بهليو بوليس" عام ١٩٢٢ لخدمة اليهود المقيمين في مصر الجديدة. وكذلك أنشئ بالإسكندرية ملجأ للعجزة عام ١٩٣٠.^(٣) وجمعية "باتان باستير" و"الجمعية الإسرائيلية لحماية الفتيات اليهوديات" عام ١٩٣٣ بهدف تزويج الفتيات اليهوديات وتدريب المهور لهن. وملجأ "ابن ميمون للعجزة" عام ١٩٣٤. و"اتحاد الشبيبة اليهودية في مصر" عام ١٩٣٥ برئاسة ألفريد يللوز. و"مركز توزيع الأدوية على الفقراء من اليهود" عام ١٩٤٣ الذي كانت تشرف عليه مدام فيكتور هراري.

٦ - نوادي المكابي الرياضية في القاهرة والإسكندرية:

(١) بدايات الحركة الصهيونية، ص ٣٢

(٢) ليون باسان: الذي كان مندوباً في مصر للوكالة اليهودية لشؤون الهجرة وعضو مجلس المدارس الإسرائيلية وأحد رؤساء محفل القاهرة بني بريث. انظر: بدايات الحركة الصهيونية، ص ٧٩

(٣) أبو الغار، يهود مصر من الازدهار إلى الشتات، ص ٢٣

أبدى زعماء الطائفة اليهودية اهتماماً واضحاً بالتربية الرياضية، حيث تشكلت في الإسكندرية عام ١٩١٠ جمعية المكابي الرياضية (نسبة ليهودا المكابي الذي يقال إنه كان من زعماء اليهود في القرن الثاني قبل الميلاد)، والتي تحولت إلى (الاتحاد اليهودي الرياضي والأدبي المكابي)^(١).

وفي القاهرة أسهم عدد من الرأسماليين اليهود الصهاينة في إنشاء نادي المكابي ومنهم سلفاتور شيكوريل الذي تولى رئاسته لمرات عدة، أعقبه بعدها عام ١٩٣٠ إيزاك أمبيل الذي كان من أشد الصهيونيين حماساً للصهيونية، ولم يكن هدف نادي المكابي الاهتمام بالرياضة؛ إنما أعلن في برنامجه أن هدفه إيقاظ الوعي القومي اليهودي، وتنمية الروح المعنوية، وتقوية أبدان الشبيبة، وخلق إحساس التضامن في نفوسهم. وقد استغل القائمون على هذا النادي الفرصة؛ ليعمقوا في نفوس الأعضاء الشبان الإيمان بأن فلسطين هي "الوطن القومي لليهود"؛ وليشجعوا على دراسة اللغة العبرية التي ستصبح لغة دولة المستقبل بالنسبة لهم. كما أنشأ نادي المكابي في القاهرة والإسكندرية جماعات للكشافة كان أفرادها يشتركون في جمع التبرعات من أجل (الوطن القومي والصندوق اليهودي التابع للوكالة اليهودية)^(٢).

خامساً- أثر الثقافة الفرنسية والسياسة اليسارية في الطائفة اليهودية في مصر:

كان أبناء طبقة الصفوة الاقتصادية (بكل تفرعاتها ونشاطاتها) من المسيحيين والمسلمين وكذلك اليهود أمثال أصلان ورينيه قطاوي وشيكوريل، غالباً ما يتلقون تعليمهم في مدارس داخلية في فرنسا أو سويسرا، كما قامت قلة من عائلات الصفوة المحبة للإنكليز بإرسال أطفالها إلى إنكلترا أو كلية فيكتوريا بالإسكندرية، حيث كانوا يتعلمون الفرنسية هناك. أما أطفال الطبقة الوسطى العليا في مصر، فكانوا يذهبون عادة إلى مدرسة فرنسية أو مدرسة تبشيرية كاثوليكية. وقد قدر "فيكتور صنوع" وهو نتاج هذا التعليم أن أكثر من نصف الطلاب بمدارس القاهرة الكاثوليكية كانوا من اليهود. أما أطفال الطبقة الوسطى اليهودية، فقد ملؤوا مدارس الطائفة اليهودية، حيث كانت الفرنسية لغة التعليم، لكن العبرية ومواد يهودية أخرى كانت بالطبع تشكل جزءاً من المنهج الدراسي. بيد أن الغموض في تعيين الحدود بين أجزاء من الطبقة الوسطى والعوامل المؤثرة في اختيار العائلة لمدرسة محددة، أدت إلى ظهور منطقة واسعة تتقاطع مع الوسطين الثقافي والاجتماعي الخاصين بالشباب اليهودي المنتمين للتيار الشيوعي أو التيار الصهيوني الاشتراكي^(٣).

(١) لاندو، يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥١٥

(٢) لاندو، يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٥١٥

(٣) بينين، شتات اليهود المصريين، ص، ١٠٤

كان الاتجاه السياسي للتعليم الفرنسي في مصر، غالباً ينحو باتجاه اليسار، حيث كان العديد من المدرسين الفرنسيين حتى في المدارس الكاثوليكية يساريين يشاركون في برنامج قومي علماني للاستعمار الثقافي تحت اسم "المهمة العلمانية". حيث غزت الماركسية المدارس اليهودية من خلال مدرسين فرنسيين أو مبعوثين من فلسطين. حيث كانت الحركة الصهيونية الاشتراكية مسيطرة، فأصبحت هذه المدارس مراكز لحركات الشباب الصهيوني. فكانت أكبر وأكثر هذه الحركات نشاطاً هي هاعفري هاتسغير (العبري الفتى) وهي الفرع المصري من هاشومير هتسغير (الحارس الفتى) التي سعت إلى المزج بين الصهيونية والاشتراكية الدولية لكنها في الغالب لم تحرز أي نجاح في ذلك^(١). وكانت حركة الشباب العبري تنتسب إلى هاكيبوتس هارتسي (وهي اتحاد الكيبوتس الوطني) التي انتسبت إلى مابام بعد عام ١٩٤٨، وكانت لدى جناحها اليساري قوى موالية للسوفيت تكافح من أجل التقليل من الاختلافات بين صهيونيتهم الماركسية والماركسية اللينينية السوفيتية الأسلوب^(٢).

كان الأطفال الناطقون بالفرنسية المنتمون للطبقات الوسطى اليهودية وخاصة الماركسيين وغيرهم من اليساريين - بينهم فيما عدا الأقلية الصهيونية- ينظرون إلى أنفسهم بشكل عام على أنهم جزء من مصر؛ فضلاً عن إدراكهم لوجود اختلاف بينهم وبين "الجماهير العربية" لكنهم اعتقدوا أنه يمكن التغلب عليها بالتدريج، عن طريق التعليم والتقدم الاجتماعي. غير أن الماركسيين وخاصة أتباع هنري كوريل (زعيم يساري قام بتأسيس الحركة المصرية للتحرر الوطني ١٩١٤-١٩٧٨) سعوا بشكل واع إلى تمصير أنفسهم رغم أن عدداً كبيراً منهم لم ينجح طبقاً لمعايير النظام الحاكم بعد ١٩٥٢^(٣).

كانت نسبة كبيرة من الشباب اليهودي المتعلم والمنتمي للطبقة الوسطى منغمسة في السياسة بشكل تام، لكن حياة الأغلبية منهم شأنهم في ذلك شأن آبائهم وأمهاتهم تمحورت حياتهم حول عائلاتهم ونواذيرهم الرياضية ومستقبلهم في العمل التجاري. لكن هؤلاء الذين تبنا الصهيونية والشيوعية كانوا بلا شك مخلصين ومناصرين بحماس لمذهبهم السياسي المختار، حيث إن هذه الالتزامات أدت بهم إلى عواقب مختلفة تماماً في السياسة المصرية. وغالباً ما كان الآباء والأمهات والأقرباء من كبار السن يشعرون بالاستياء حيال العمل السياسي الشبابي سواء أكان صهيونياً أم شيوعياً.

سادساً-النشاط الفني اليهودي ومدى تأثيره في الرأي العام المصري:

(١) عبده، قاسمية، يهود البلاد العربية، ص ٢١٨

(٢) عبد الظاهر، يهود مصر دراسة في الجانب السياسي، ص ١١٢

(٣) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٠٥

كانت الإسكندرية أولى المدن المصرية التي عرفت السينما، وقد أسس محمد بيومي أول استديو مصري للسينما في الإسكندرية عام ١٩٢٣^(١). وقد شهدت الساحة الفنية المصرية أسماء لامعة لبعض الشخصيات اليهودية المصرية مثل داود حسني وزكي مراد وليلى مراد ومنير مراد وراقية إبراهيم ونجوى سالم وإلياس مؤدب وكاميليا ونجمة إبراهيم، وغيرهم ممن حفل بهم سجل الفن المصري من سينما ومسرح وموسيقى وغناء، ولا شك في أن هؤلاء الفنانين قدموا إسهاماتهم الفنية ليس لأنهم يهود؛ بل لأنهم مصريون في المقام الأول، فقد كان جمهورهم من المصريين وأسأتذتهم الذين تلقوا على أيديهم أصول "الصناعة" من المصريين، وفي مناخ مصري سمح لهم بممارسة نشاطاتهم بحرية ودون تمييز أو تفرقة. وعلى الرغم من هذا التسامح الواضح الذي استقبل به المصريون فنانهم من أبناء الطائفة اليهودية، فإن بعضهم قد ضاق بهذا التسامح واختار أن يكون صهيونياً بعد أن نزع عن نفسه رداء المصرية الذي كان يتقمصه من أول مولده على أرض مصر، أمثال النجمة راقية إبراهيم وغيرها....

والتزاماً بمفهوم الاهتمام بالرأي العام في مصر، جاء النشاط الفني لليهود المصريين على اختلاف أنواعه، مثل المسرح الذي برع في كتابته يعقوب صنوع في مصر، كما ظهرت بعض الشخصيات اليهودية المهتمة بالمسرح - وخاصة من مهاجري حوض المتوسط الذين قدموا إلى مصر - التي رأت أن التعامل مع الفنون المسرحية وخاصة التمثيل، لا يعد عيباً كما كان يعده المصريون، وخاصة بالنسبة للفتيات، فظهرت المسرحيات، واستحدثت قادة الفرق التمثيلية استخدام الفتيات لتشخيص الأدوار النسائية، فكانت الريادة في هذا المجال لفنانات من اليهود مثل "إستر شطاح" بطة فرقة "إسكندر فرج" في أوائل القرن العشرين^(٢). وهذا ما شجع المسلمين أكثر على دخول صناعة السينما، وهكذا أصبح الوجود اليهودي بهذا المجال أقل سيطرة، لكن اليهود ظلوا ممثلين بشكل زائد عن الحد بالنسبة لعددهم، في صناعتي السينما والتسلية خلال فترة الخمسينيات.

ومن بين الممثلات اليهوديات اللاتي قمن بالتمثيل أمام ممثلين ومغنين مسلمين بارزين في مصر: فيكتوريا كوهين ونجمة إبراهيم وليلى مراد وعشيقة الملك فاروق المدعوة ليليان كوهين؛ فضلاً عن "زكي مراد" و"إبراهيم سحلون" و"زكي سرور" الذين برزوا من بين المجددين البارزين للموسيقى العربية في أوائل القرن العشرين.

كما ظهر في مجال التلحين "داود حسني" وعازف العود "إبراهيم أصلان" الذي كان معشوق الفرق الموسيقية الدينية لأكثر من خمسين عاماً^(٣). وقد وصلت نسبة تملك اليهود لدور العرض السينمائي في مصر

(١) سليمان الحكيم، يهود ولكن مصريون، دار الجمهورية للصحافة، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ١٧

(٢) بينين، شتات اليهود المصريين، ١٥٨

(٣) عبد الظاهر، يهود مصر دراسة في الموقف السياسي، ص ٦٤

لما يقرب من ٩٠%^(١) من هذه الدور، وأوضحت جريدة "المصباح" أن هذه الشركات التي تكونت بأسماء مصرية؛ إنما هي للتحايل على قرار الجامعة العربية بمقاطعة الشركات الصهيونية، الصادر في الثاني من كانون الأول عام ١٩٤٥، وطبقته الحكومة المصرية منذ الأول من كانون الثاني ١٩٤٦، حيث إن معظم الأرباح التي حققتها هذه الشركات كانت تذهب في أغلبها لدعم الأنشطة الصهيونية. فقد كشف ألبرت مزراحي إبان الفترة التي اختلف فيها مع الصهيونية في مصر الكثير من أهدافهم في جريدة "المصباح" التي كان قد استأجرها عام ١٩٤٦ من صاحبها محمد أمين أحمد وأوكل إدارتها إلى الناقد الفني "حسن إمام عمر" ورئاسة تحريرها إلى زوجته "صول مزراحي" من خلال مقالات عدة أوضح فيها الدور الذي قامت به الحركة الصهيونية في مصر للسيطرة على المجال الفني والسينمائي، وكيف أنها قامت بإنشاء شركات للسيطرة على عناصر الإنتاج بجميع مراحله؛ من الأفلام الخام والإنتاج والتوزيع، وحتى دور العرض مثل شركة "جوزي فيلم" المملوكة لـ"جوزيف موصيري" وشركة التوزيع المملوكة لـ"جار موصيري"^(٢).

كما كشفت مجلة "الصراحة" التعاون القائم بين المخرج المصري اليهودي "توجو مزراحي" وبين بعض السينمائيين المصريين الصهيونيين لعمل دبلاج باللغة العربية لأول فيلمين دعائيين صهيونيين وهما "بيت الآباء" وفيلم "أرض الأمل" وهما يظهران حق اليهود في العودة إلى فلسطين من وجهة نظرهم، في الوقت الذي شنت فيه القوى الصهيونية حرباً شعواء ضد الشركة التي أنشأها الفلسطينيون تحت اسم "شركة أفلام الجزيرة العربية" لفصح الأساليب الصهيونية ومحاربتها بأسلوبها ذاته^(٣). ورغم ذلك لم يثبت أن السلطة المصرية في إطار مقاومة الصهيونية في نهاية الأربعينيات، قد اتخذت موقفاً من النشاط الفني في مصر الذي سيطرت على الكثير من مقوماته القوى اليهودية المرتبطة بالصهيونية، وهو ما يثبت أن الموقف الذي تم اتخاذه بشأن تقييد أنشطة بعض المنظمات والحركات الصهيونية منذ احتدام الصراع العربي الإسرائيلي الذي استتكرته بعض الأفلام اليهودية وعدته انتهاكاً لحقوق الإنسان؛ إنما كان موجهاً ضد ما تشكله هذه الحركات من إضرار بالموقف الأمني المصري وخاصة في مجال الفن.

فلم يسأل أحد عن دين نجمة إبراهيم أو ليلي مراد أو راقية إبراهيم أو عن دين نجيب الريحاني أو إستفان رويتي والأخيران هما مسيحيان مصريان. وعلى الرغم من أن الكتابات اليهودية استمرت بالنظر إلى كثير من الفنانين المصريين الذين غيروا دينهم وأسلموا على أنهم ظلوا يهوداً، وادعت أن تفوقهم الفني؛ إنما يعود أساساً لأصولهم اليهودية وهو أمر مردود عليه، فلم يكن الدين هو المحور الإثني، وإن نظرية النقاء العنصري لليهود مطعون به بكل المقاييس التاريخية والإثنية والواقعية^(٤).

سابعاً - سيرة بعض مشاهير اليهود في مصر:

١ - توجو مزراحي:

(١) الحكيم، يهود ولكن مصريون، ص ٢٢

(٢) لاندو، يهود مصر في الفترة العثمانية، ص ٦٦٨

(٣) عبد الرحمن، الصحافة الصهيونية، ص ١٣٦

(٤) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٦٠

ولد المخرج والممثل والمنتج والكاتب السينمائي "توجو مزراحي"، الذي يعد مؤسس السينما المصرية، وعاش في مصر، وأسس عام ١٩٢٨ أستوديو توجو في الإسكندرية، وكان مزراحي محباً للثقافة والفن، فظهر بنفسه على خشبة المسرح باسم "المشرقي" كاسم مستعار. وكان من أهم أعماله "الكوكائين" ١٩٣٠ و "أبناء مصر" ١٩٣٣، اللذين حازا اعترافاً واسع النطاق بوصفهما أعمالاً كلاسيكية^(١).

كان توجو أول من أدخل التجارة على السينما حين شارك شركة "جوزي فيلم" في امتلاك عدد من دور السينما وإدارتها بالقاهرة والإسكندرية وبور سعيد والسويس، وكان الربح هو دافعه الأول وراء مشروعه في امتلاك تلك الدور السينمائية وإدارتها، حيث يذكر: "لا أحد يمكنه دخول السينما مجاناً" وحين انتقل مزراحي إلى القاهرة أنتج وأخرج عدداً كبيراً من الأفلام التي كانت قياسية في مدة تصويرها وعرضها، وبذلك يكون مزراحي الأب الشرعي لما يسمى أفلام المقولات، ويقصد بها الأفلام "الهابطة"^(٢) التي تعتمد على قلة التكاليف والموضوعات السطحية ومخاطبة غرائز المتفرج لضمان الإقبال والربح.

كان فيلم "سلامة" للنجمة أم كلثوم آخر الأفلام التي أنتجها توجو مزراحي، فقد أصيب بعدها بالجنون وذلك بسبب عرض الفيلم في شهر نيسان وهو موسم الامتحانات لطلبة المدارس وهم الغالبية العظمى لجمهور السينما؛ مما تسبب في قلة الإقبال الجماهيري فسبب ذلك خسائر فادحة له، فاضطر توجو لبيع الفيلم للموزع العراقي إسماعيل شريف بثمان بخس، فكانت المفاجأة أن حقق الفيلم أعلى الإيرادات للموزع العراقي، وحين علم مزراحي بذلك أصابته لوثة عقلية دخل على أثرها مستشفى بهنام للأمراض النفسية والعصبية للعلاج، وحين خرج لم يقم بإنتاج أي فيلم، وبقي ملتزماً بيته معتزلاً الفن والناس والحياة^(٣).

٢ - (دافيد) داود حسني (١٨٧٠-١٩٣٧):

ظهر في مجال التلحين "داود حسني"، وهو من اليهود القرائين، حيث بدأ داود حسني مشواره الفني في المنصورة، وتلقى أصول الموسيقى على يدي محمود شعبان، كما تعلم العزف على العود وأنواع الأوزان والقواعد الموسيقية، وفي القاهرة أصبح مغنياً يقلد مشاهير الغناء في عصره. حيث واكب داود حسني سيد درويش وكامل الخلعي، ووضع ألحان أول أوبرا مصرية "شمشون ودليلة"، وكان من الأعمال الأوبرالية لداود حسني "ليلة كليوباترا"، كما تعاون داود حسني مع سيد درويش الشخصية الرئيسية في حركة تجديد الموسيقى العربية بمصر في عمل موسيقى تحت اسم "هدى" وهي أوبريت (أوبرا قصيرة خفيفة) لكنها ظلت غير مكتملة نظراً لوفاة سيد درويش^(٤).

(١) علي، بارونات وبؤساء، ص ١٢٤

(٢) الحكيم، يهود ولكن مصريون، ص ٦٧

(٣) عبد الظاهر، يهود مصر دراسة في الموقف السياسي، ص ٦٤

(٤) الحكيم، يهود ولكن مصريون، ص ٤٨

استوحى داود ألحانه من البيئة الشعبية، وكان يقيم في شارع محمد علي، وهو أشهر شوارع القاهرة التي ارتبطت بالموسيقى والغناء. كما كان داود حسني في نظر الكثير من المهتمين بالموسيقى ونقادها الأب الروحي للموسيقار الشهير سيد درويش خصوصاً في الموسيقى التعبيرية، وقد شهد محمد عثمان نفسه بعبقريته تلميذه داود حسني حين قال: "استمعوا من بعدي لألحان داود حسني فهو خليفتي على عرش التلحين"^(١). وقد لحن داود لكبار النجوم في عالم الفن منهم؛ أم كلثوم وصالح عبد الحي وليلى مراد ونجاة ونادرة وأسمهان...

أما في حياته الشخصية فقد تزوج داود حسني مرتين الأولى عام ١٩٠٦ وأنجب ثلاثة أولاد وبناتاً واحدة، ولما ماتت زوجته، تزوج للمرة الثانية عام ١٩٣٠ وأنجب ولديه فؤاد وبديع الذي عمل هذا الأخير محرراً للشؤون العربية في إذاعة "إسرائيل" بعد أن غير اسمه إلى "إسحق هاليفي"^(٢).

وهكذا نرى أنه بينما نسي داود حسني يهوديته أمام مصريته، إلا أن أولاده نسوا مصريتهم التي علمهم إياها والدهم، وفضلوا عليها يهوديتهم، وغيروا أسماءهم إلى أسماء عبرية بعد أن غيروا وطنهم. ورغم ذلك ظلت الأوساط الفنية والثقافية تحتفل بذكرى وفاة داود حسني حتى الآن في ١٠ كانون الأول ١٩٣٧ من كل عام. وهذا ما يؤكد سماحة المجتمع المصري الذي عدّ الطائفة اليهودية جزءاً من نسيجهم رغم أن معظم أبناء الطائفة اليهودية لم تبادل المصريين بالود الواجب والمثال السابق خير دليلاً على ذلك.

٣- ليلى مراد (١٩١٨-١٩٩٥):

أبرز فنانة يهودية منذ منتصف الثلاثينيات وحتى منتصف الخمسينات، كان يطلق عليها لقب "سندريلا الشاشة المصرية"، كما كان الكثيرون يعدونها مطربة مصر الثانية بعد أم كلثوم. ولدت في الإسكندرية لأسرة يهودية الأصل، وكان اسمها الحقيقي "ليليان" ووالدها هو المغني والملحن إبراهيم زكي مردخاي.

وأخاها "زكي مراد" وأمها "جميلة سالومون" يهودية من أصل بولندي، قامت ليلى مراد بالغناء للمرة الأولى على خشبة المسرح عام ١٩٣٠، كما ظهرت في أول أفلامها عام ١٩٣٥، وكان محمد عبد الوهاب الذي يعدّ رائداً في مجال الفيلم الموسيقي والمطرب البارز في فترة ما بين الحربين العالميتين، صديقاً لزكي مراد وأدرك موهبة ليلى مراد الغنائية. وفي عام ١٩٣٨ اختارها لتؤدي أمامه دور البطولة

(١) بدايات الحركة الصهيونية، ص ١٢٧

(٢) عبد الظاهر، يهود مصر دراسة في الموقف السياسي، ص ٦٤

النسائية في فيلم "يحيا الحب" حيث أحرزت ليلي مراد نجاحاً فورياً كمطربة يعتد بها، وسرعان ما تطورت مواهبها التمثيلية عندما تعهدا توجو مزراحي بالرعاية^(١).

ترسخت مسيرة ليلي مراد العملية وشخصيتها الأدائية بقوة من خلال أدائها أدوار البطولة في خمسة من الأفلام العاطفية الموسيقية التي قام بإخراجها وإنتاجها توجو مزراحي بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٤، أما بالنسبة لعلاقتها الشخصية بالممثل والمخرج والمنتج الشاب أنور وجدي فقد دخلت مرحلة جديدة في مسيرتها العملية عام ١٩٤٥، حيث أثارت علاقتها خيال العامة، حتى قام الاثنان بتحويل الأقاويل والشائعات إلى حدث فني تجاري، عندما احتفلا بزواجهما في المشهد الأخير من فيلم "ليلي بنت الفقراء"^(٢).

وخلال المرحلة الأخيرة من مسيرتها العملية، أدت ليلي دور البطولة في أفلام قام بإخراجها كل من هنري بركات وحسين صدقي ويوسف شاهين، وبعد ظهورها في ٢٨ فيلماً وتسجيلها مئات الأغاني^(٣).

٤ - راقية إبراهيم (ليفي راشيل)

بدأت راقية حياتها في حي السكاكيني بالقاهرة، واختارت مهنة الخياطة لتعول أسرتها، ثم انتقلت للعمل في المسرح كممثلة ناشئة في الفرقة المصرية، وبدأ نجمها يصعد حين أدت دوراً مهماً في مسرحية "سر المنتحرة" عام ١٩٣٨ وفي فيلم "رصاصه في القلب" أمام محمد عبد الوهاب. ولذا كانت راقية قد بدأت بالتمثيل إلا أنها قد تحولت إلى الغناء والطرب في معظم الأفلام التي لعبت دور البطولة فيها.

وعلى الرغم من الشهرة الكبيرة التي وصلت إليها وحب الجماهير لها إلا أن راقية ظلت راشيل ليفي الفتاة اليهودية التي تنتظر إلى غيرها بالشك وعدم الود. وقد تزوجت راقية من مهندس الصوت مصطفى والي الذي أسس لها شركة إنتاج سينمائي باسم "أفلام راقية"، ولكن سرعان ما نشب الخلاف بينهما بسبب شهرتها وجمالها، حيث كان شديد الغيرة عليها، أما هي فلم تكن تعبأ كثيراً بمشاعره بقدر اهتمامها بأمواله، فتم الطلاق بينهما^(٤).

وعلى الرغم من النجاح الكبير التي حققتها كممثلة ومطربة، والثراء الضخم الذي جنته من اشتغالها بالفن، وحياة الرغد التي كانت تعيشها في مصر كمواطنة فنانة، إلا أنها قررت الهجرة إلى أمريكا^(٥).

٥ - نجمة إبراهيم (١٩١٤-١٩٧٦):

(١) علي، بارونات وبؤساء، ص ١٢٢

(٢) الحكيم، يهود ولكن مصريون، ص ٢٦

(٣) بينين، شتات اليهود المصريين، ص ١٦٠

(٤) سيد احمد، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي، ص ١٦١

(٥) الحكيم، يهود ولكن مصريون، ص ٦١

بدأت فنها في الغناء وهي في التاسعة من عمرها، وكانت تلقي المقطوعات المطربة والمنولوجات الاجتماعية الأخلاقية، وقد تلقت دراستها في بعض المدارس الفرنسية والعربية، فأتقنت اللغتين قراءة وكتابة، كما حفظت أجزاء كاملة من القرآن الكريم. وتنقلت نجمة بين كثير من الفرق المسرحية، مثل؛ فرقة رمسيس، وفرقة نجيب الريحاني، ومنيرة المهدية. ولكن بعد فترة قصيرة تغير الحال حيث بدأت تعمل في التمثيل، ومن أشهر أعمالها المسرحية مسرحيتا "شهرزاد" و"العشرة الطيبة" ومسرحية "مأساة الحلمية"، وخلال تمثيلها في المسرح كانت لها فترة مجهولة من حياتها، حيث تركت المسرح وعملت سكرتيرة في إدارة مجلة "اللطائف" التي كان يصدرها إسكندر مكاريوس، لكن سرعان ما عاودها الحنين إلى المسرح وحياة الفن^(٢)، فالتحقت كممثلة في الفرقة الموسيقية للتمثيل والموسيقى "بالمرح القومي" الذي تأسس عام ١٩٣٥ ومن المسرحيات التي شاركت في تمثيلها "تلميذ الشيطان" "الست هدى" و"مجنون ليلي". والمدعش أنه رغم إجادتها لأدوار الأنسات، إلا أنها بدأت وارتفعت في أدوار الأمهات وكبار السن حتى أنها تخصصت فيها، وكانت لها أدوار خالدة في كثير من المسرحيات مثل "أم قيس" في مسرحية قيس ولبنى، ومس تشيفلي و"زوج كامل" وزبيدة في "العباسة"^(١).

وفي منتصف الأربعينيات تزوجت "نجمة إبراهيم" من الممثل عباس يونس الذي كان ناقداً وإذاعياً وموسيقاراً، وقد أثر عباس يونس كثيراً في شخصية زوجته "نجمة إبراهيم"، فكان لها بمثابة الأستاذ الذي يصقل مواهبها ويزيد ثقافتها وتعليمها، وقد أخرج لها برامج إذاعية وغنائية مثل "زبيدة"، وجاءت مرحلة التحول في حياة نجمة إبراهيم من الأدوار البسيطة لتصبح بطلة لأدوار الفرع والرعب، حينما أسند إليها عام ١٩٥٣ القيام بدور السفاحة "ريا" في فيلم "ريا وسكينة"، وقد انطبعت الصورة الشريرة لنجمة إبراهيم في أذهان المشاهدين، فأصبح المخرجون يبحثون عنها ليسندوا إليها أدوار الشر فيما تلا من أفلام مصرية، فلقبها النقاد والجمهور بملكة الرعب و"شريرة الشاشة العربية" وقد خصصت نجمة إبراهيم وزوجها عباس يونس إيرادات الليلة الأولى من مسرحية "سر السفاحة ريا" لتسليح الجيش المصري بعد إعلان جمال عبد الناصر قراره "كسر احتكار السلاح" وقد حضر أنور السادات ليلة الافتتاح^(٢).

وفي أواخر الخمسينيات تعرضت نجمة إبراهيم لفقد بصرها عام ١٩٦٢، فسافرت على نفقة الدولة إلى إسبانيا، وقد نجح الطبيب باركييري بأن يعيد لها بصرها، ولكن لم تلبث أن داهمتها أمراض أخرى أجبرتها على الاعتزال لمدة ثلاثة عشر عاماً حتى ماتت عام ١٩٧٦ في القاهرة، وقد لاقت نجمة إبراهيم

(١) علي، بارونات وبؤساء، ص ١٣٣

(٢) عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنكليزي، ص ٢١١

كل تقدير من وطنها مصر، فمنحتها الدولة وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى. وحصلت على معاش استثنائي هي وزوجها الفنان عباس يونس تكريماً لمواقفهما الوطنية وحبهما لمصر^(١).

لقد كان مناخ التسامح الذي اشتهرت به مصر طوال تاريخها، هو الذي جعل سيد درويش لا يجد غضاضة في اعترافه بفضل فنان يهودي. كما فعل داود حسني نفسه باعترافه بفضل الشيخ محمد عثمان والشيخ المسلوب وغيرهما من المشايخ في تعليمه أصول الموسيقى والغناء، ولم يجعل أحداً منهم يأنف أو يرفض تلمذة أحد شباب اليهود على يديه، حيث كان المشايخ هم المسيطرون على مجال الموسيقى والغناء في ذلك الوقت، فقد كان التسامح والسماحة ميزة مصر وعنوانها، وكان الجمهور الذي يشكل المسلمون أغليته الساحقة، يصفق لهذا المطرب والموسيقي، كما يصفق لغيره من أساطين الغناء من الشيوخ، ولم يفكر واحد منهم، في أنه حين يتمايل طرباً مع غناء داود حسني؛ إنما يمنح شهادته بالعبقريّة والتفرد لرجل يهودي؛ بل كان يمنحها لمطرب وموسيقي مصري دون النظر لأي اعتبار آخر^(٢).

ورغم هذا التسامح الذي ساد في المجتمع المصري إلا أن من يتصفح أسماء اليهود المصريين الذين عملوا في السينما، يجد أن هناك أسماء يهودية الديانة وصهيونية مثل راقية إبراهيم التي رغم أنها تزوجت مصرياً مسلماً إلا أنها في عام ١٩٥٦ هاجرت من مصر إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتحقت بالعمل مع الوفد الإسرائيلي في الأمم المتحدة، بعد أن حصلت على الجنسية الإسرائيلية، وتسمت بإسم "راشيل أبراهام ليفي" ونجوى سالم عضو فرقة نجيب الريحاني المسرحية واسمها الحقيقي "تينات سلام" وقد أشيع أن الذي قدمها للفن هو أمين عثمان باشا الذي كان على علاقة وثيقة بالبريطانيين. حيث ذكر أن أمين عثمان كان يرتبط مع أمها "ميرفت جودة" مصممة الأزياء في محلات شيكوريل بعلاقة صداقة، وأن ليون كاسترو قد استغل ذلك لصالح الطائفة اليهودية والحركة الصهيونية في مصر ليضمن استمرار دعم الدولة للجمعيات ذات التوجه الصهيوني^(٣).

خاتمة الفصل:

نتيجة التسامح الذي حظي به يهود مصر، فقد أبدعوا في المجالات الفنية والأدبية والثقافية كافة؛ وخاصة في المسرح والسينما، وبرز منهم نجوم كبار، مثل: ليلي مراد وداود حسني وراقية إبراهيم ونجمة إبراهيم وكذلك كان لليهود معاهدهم ومدارسهم وبرامجهم حيث كانوا يمارسون النشاطات الثقافية كافة من دون تدخل من السلطة المصرية طوال عقود طويلة، لكن بعد أن احتلت فلسطين عام ١٩٤٨ تنبّهت

(١) علي، بارونات وبؤساء، ص ١٣٩

(٢) الحكيم، يهود ولكن مصريون، ص ١٠١

(٣) عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنكليزي، ص ٢١١

مصر للدور الذي أداه يهود مصر في جمع الأموال وتوظيفها، بما يخدم تحريض اليهود على الهجرة إلى فلسطين.

الخاتمة

من خلال الدراسة تبين أنه في ظل مناخ الود والتسامح تجاه الطوائف الدينية جميعاً التي سادت في أوساط المجتمع المصري حافظت الطائفة اليهودية في مصر على مستواها المتقدم في النواحي الثقافية والاقتصادية والسياسية المختلفة، حيث أدت دوراً مهماً في مصر، وعلى الرغم من انقسام اليهود إلى اتجاهات شتى مع بداية غزو أوروبا لمصر، إلا أن يهود مصر كانوا قد شكلوا طائفة مزجت بين الأصالة والمعاصرة، حيث أحدثوا تناسقاً بين الحداثة العربية وهويتهم اليهودية، كما كان لاندمج اليهود في المجتمع المصري وتسامح شعبها عبر التاريخ، وفصله بين الدين وأمور الحياة اليومية، وقد أدى هذا إلى أن اليهود لم يعيشوا منعزلين في مصر؛ وإنما أصبحوا جزءاً من نسيج المجتمع، وتحدثوا لغته ومارسوا ثقافته واتبعوا تقاليده المتوارثة، وكان التسامح وعلاقات الود أهم سمات المجتمع المصري التي سادت بين المسلمين والمسيحيين واليهود.

لكن سرعان ما بدأت تظهر بعض المشكلات التي نجمت عن ظهور القومية المتعصبة، بعد حصول الصهيونية على غطاء شرعي لتحركها في مصر من دعم السلطة البريطانية لها، وساعدها على ذلك الوضع العام الذي ظلل العلاقات الاجتماعية بين طوائف المجتمع المصري، حيث لم تنتبه السلطة المصرية لليهود إلا في بداية العشرينيات من القرن العشرين عندما تزعم بعضهم النشاط الشيوعي واليساري في مصر، حينها كان التحرك المبكر لمحاربة هذه الحركات "الشيوعية" فقط أساساً من سلطة الاحتلال البريطاني.

ومن الملاحظ أن الصهيونية قد نشطت في مصر على يد من يمكن أن نسميهم المتمصرين بالتجنس، ولكنها وجدت بالقطع أعواناً كثيرين في الوسط اليهودي المصري وخاصة في ضوء الارتباطات الدينية والتوراتية التي اتخذتها الصهيونية ذريعة لتسويق مشروعها في مصر وغيرها. وقد جاء هذا متوازياً مع جهد الحركة الصهيونية في محاربة دعاوى الاندماج التي طالبت بها بعض القيادات اليهودية.

وقد شهدت الطائفة اليهودية إبان الفترة ذاتها تزايد حدة التوتر بين أتباع الحركة الصهيونية الذين طالبوا بتنظيم أنفسهم للدفاع عن الطائفة اليهودية، وقيادة المؤسسة اليهودية التقليدية التي طالبت بوقف أنشطة حركات الشبيبة، ومبعوثي الاستيطان الصهيوني في مصر الذين قاموا بتهجير اللاجئين اليهود الذين قدموا من أوروبا إلى مصر مع بعض يهود مصر إلى فلسطين. وبدأت أنشطة هؤلاء الجنود تتوقف تدريجياً مع تزايد معدل تسريح الجنود البريطانيين من الخدمة وعودتهم إلى أوطانهم، ومع هذا تجدر الإشارة إلى أن السلطات المصرية لم تصدر حتى عام ١٩٤٨ الذي قام فيه الكيان الصهيوني أي قانون يقضي بحظر هذه الأنشطة الصهيونية.

وقد اتضح كيف ارتبطت الانتفاضات المصرية ضد اليهود باستفزات يهودية كمقدمات لها. ولكننا نلاحظ أن السلطة احتفظت بعلاقة وطيدة مع اليهود وخاصة مع زعمائهم، وأن وساطة شيكوريل في آب ١٩٤٨ واستضافته في منزله بباريس لاجتماع ضم ممثلين عن "إسرائيل" وآخرين عن مصر كدليل على هذه العلاقات التي ربطت تلك القيادات بالسلطة في مصر.

ولكن بعد احتلال فلسطين والإعلان عن قيام الكيان الصهيوني تعرض يهود مصر في عام ١٩٤٨ إلى العديد من القيود كان منها عدم السماح لليهود بمغادرة مصر إلا بعد الحصول على تصريح من السلطات، كما صادرت السلطات ممتلكات ما يربو على مائة شركة يهودية كانت لها جميعاً اتصالات بالحركة الصهيونية وبقيادة الاستيطان اليهودي في فلسطين، واعتقلت السلطات أيضاً مئات اليهود بتهمة ممارسة الأنشطة الصهيونية والشيوعية، وعلاوة على كل هذه القيود، وقعت خلال أشهر تموز وأيلول وتشرين الثاني عمليات عدة ضد اليهود؛ مما أسفر عن مقتل وإصابة العشرات من يهود القاهرة والإسكندرية، حيث شكلت كل هذه الأحداث بدايات تناقص عدد اليهود في مصر.

وبذلك يمكن أن نقول: إن موقف الود والتسامح الذي عاش يهود مصر في ظلها لم يقابله المجتمع اليهودي المصري بالود الواجب، حيث انحاز اليهود المصريون أو لنقل معظمهم إلى المشروع الصهيوني، وأيدوه رغم محاولات أصحاب المصالح لإيجاد صفة للمواءمة ما بين مواظبتهم المصرية وارتباطهم بأخوانهم في العقيدة. ولكن مع ذلك لم نسمع أن أحداً منهم قاوم الصهيونية وأهدافها أمام أبناء جلدته، ولم يرتفع صوت في معبد ليظهر التعارض الواضح الحق بين الصهيونية واليهودية، أما اليساريون والشيوعيون اليهود، فقد رحبوا بقيام "إسرائيل" وعدّوا رفضها عملاً من أعمال الإمبريالية يجب مقاومته.

أما من الجانب الاقتصادي، فقد استطاع اليهود في مصر تحقيق مكاسب اقتصادية كبيرة بلغت أقصاها في الفترة من ١٩٣٠ وحتى ١٩٤٦ في الوقت الذي كان الاقتصاد العالمي يعاني فيه ركوداً؛ نتيجة ظروف الحرب العالمية الثانية. وفي سبيل تأكيد عناصر قوتهم اهتموا بالتغلغل في اقتصادها وتسخيرها لخدمة الطائفة اليهودية، وساعدهم على ذلك بأن يصبحوا أغنى طائفة يهودية في الشرق الأوسط، ولم يتأثروا بإلغاء الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧ أو انخفاض معدلات الهجرة إلى مصر، أو حتى صدور قانون الشركات رقم ١٣٨ في تموز ١٩٤٧ لتنظيم الشركات المساهمة، لكن كان لقيام "إسرائيل" عام ١٩٤٨ أثره في تحديد دور طائفة اليهود في مصر.

كما استطاعوا من الناحية الثقافية تأكيد تفوقهم عبر محاولة السيطرة على الرأي العام المصري من خلال إعلام أجادوا إدارته، حتى وصلت أعداد الجرائد والمجلات التي أصدروها خلال النصف الأول من القرن العشرين إلى أكثر من ٥٤ مطبوعة. ولكن هذا لم يمنع بعض القيادات الفكرية من إعلان رأيها الواضح والصريح في حقيقة الأنشطة، وخاصة الصهيونية، وما تلحقه من أذى بمصر والعرب. وقد ساعد

تفوقهم الاقتصادي على إنشاء الجمعيات والأندية التي كانت فرصة للتجمع المصلحي اليهودي وإبراز احتياجات الطائفة في مصر.

ولعل النتيجة المهمة التي أثبتتها هذه الدراسة هي كيف أفسدت الصهيونية علاقة اليهود بالبلاد التي عاشوا فيها، هذه السياسية من الأسس التي اعتمدتها الصهيونية وهي محاربة اندماج اليهود في المجتمعات التي عاشوا فيها، وقد عبروا عن ذلك بعدم اندماج اليهود الكامل في مصر، فتزايدت حدة الخلاف بين اليهود والمصريين آنذاك. حيث يعد إبعاد الجماعة اليهودية من مصر دليلاً واضحاً على تغلغل العمل الصهيوني إلى الحد الذي أثر في مسيرة حياة اليهود في مصر، وعلى مستقبل العلاقات اليهودية- المصرية، فقد تسببت الصهيونية بوضع نهاية لحياة يهودية مزدهرة داخل المجتمع المصري تحقق فيها قدر كبير من الاندماج والتفاعل في ظل التسامح الديني والثقافي.

وليس من المبالغ إن نستنتج بعد ما تمّ عرضه من أفكار، أنه لولا الدور الكبير الذي أداه يهود مصر بدعم من سلطة الاحتلال البريطاني في نشر أفكار الحركة الصهيونية في مصر وفي فلسطين "الهدف الأساسي"، ودعمها بمختلف النواحي الاقتصادية والإعلامية وحتى السينمائية؛ مستغلين مناخ الود والتسامح من قبل سائر فئات المجتمع والحكومة المصرية، وسيطرتهم على معظم هذه الجوانب، حتى تحولت مصر إلى محطة للوثب إلى فلسطين متى تحينت الفرصة لقربها الجيوسياسي عن فلسطين، فلولا ذلك لما استطاعت الحركة الصهيونية احتلال فلسطين وقيام كيائها فيها على أرض عربية، أو على الأقل لأخرت ذلك عقداً أو عقدين على الأقل..،

قائمة المصادر والوثائق

أولاً : الوثائق المنشورة.

- ١- جريدة الدفاع
- ٢- جريدة فلسطين
- وهما جريدتان يوميّتان فلسطينيتان صادرتان في يافا، إبان عهد الانتداب البريطاني؛ سنوات متفرقة (من أرشيف مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية بدمشق).
- ٣- المستعمرات الصهيونية في فلسطين، القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة - وزارة الدفاع - الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٧٠.
- ٤- زوهر (تسفي) (بروفيسور، جامعة بار إيلان)، تعليم اليهود المصريين في القرنين التاسع عشر والعشرين، موقع "مركز تراث اليهود المصريين" على شبكة الإنترنت (٢٠١٧/٨/١٧) (بالعبرية - ترجمة خاصة - إبراهيم عبد الكريم)..
- פרופ' צבי זוהר- אוניברסיטת בר-אילן, החינוך של יהודי מצרים במאות התשע עשרה והעשרים המרכז למורשת יהדות מצרים

ثانياً: المصادر.

- ١- أبو كف (أحمد)، غنيم (أحمد)، اليهود والحركة الصهيونية في مصر ١٨٩٧-١٩٤٧، كتاب الهلال، القاهرة، ١٩٦٩
- ٢- أبو النور (سامي)، دور القصر في الحياة السياسية في مصر ١٩٢٢-١٩٣٦، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦
- ٣- بينين (جوجل)، شتات اليهود المصريين، دار الشروق، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٨
- ٤- سيد أحمد (نبيل عبد الحميد)، اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثي (١٩٤٨-١٩٥٦)، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١.
- ٥- عبد الحميد (نبيل)، النشاط الاقتصادي للاجانب واثره في المجتمع المصري ١٩٢٢-١٩٥٢، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢.
- ٦- عبد الظاهر (محمود سعيد)، يهود مصر (دراسة في الموقف السياسي ١٨٩٧-١٩٤٨)، تقديم: محمد خليفة حسن، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠
- ٧- مصطفى (أمين)، الاتصالات السرية العربية- الصهيونية ١٩١٨-١٩٩٣، دار الوسيلة، ط١، ١٩٩٤.

- ٨- لاندو (يعقوب)، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية (١٥١٧-١٩١٤)، ت: جمال أحمد الرفاعي، أحمد عبد اللطيف حماد، المجلس الأعلى للثقافة، د.م، ٢٠٠٠.
- ٩- ولنستون (إسرائيل)، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٢٧.

ثالثاً- المراجع العربية والمصرية.

- ١- أبو كف (أحمد)، اليهود المصريون في الفكر والواقع المصري، جمعية خريجي كلية الاقتصاد والعلوم السياسية المؤتمر العلمي الاول، د.م، د.ت.
- ٢- أتينجر (صموئيل)، اليهود في البلدان الإسلامية، ت: جمال أحمد الرفاعي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥.
- ٣- أبو الغار (محمد)، يهود مصر من الازدهار إلى الشتات، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٤.
- ٤- أن رغلين (هيلين)، الاقتصاد والادارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر، ت: أحمد عبد الرحيم مصطفى، ومصطفى الحسيني، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧.
- ٥- إبراهيم (سمير عمر)، الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.
- ٦- بابلي (إبراهيم)، أساليب اليهود في تحقيق أهدافهم، دار ناشري للنشر الالكتروني، د.م، ٢٠٠٦.
- ٧- بدايات الحركة الصهيونية في مصر العربية ومحاولة احتواء عروبة مصر بعد اتفاقية كامب ديفيد، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٧.
- ٨- البحرة (نصر الدين)، نفسية اليهودي في التاريخ، دار عكرمة، دمشق، ٢٠٠٠.
- ٩- جرجس (فوزي)، تاريخ مصر منذ العصر المملوكي، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
- ١٠- حاسون (جاك)، تاريخ يهود النيل، ت: يوسف درويش، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧.
- ١١- حسن (محمد خليفة)، الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، القاهرة، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، ع ٤، د.ت.
- ١٣- الحكيم (سليمان)، يهود ولكن مصريون، دار الجمهورية للصحافة، القاهرة، ٢٠٠٨.
- ١٤- الحمد (عبد الحميد)، دور اليهود العرب في الحضارة الإسلامية، دار الطليعة، الرقة، ط ١، ٢٠٠٦.
- ١٥- حميد (فوزي)، حقائق وابطال في تاريخ إسرائيل، دار الصفي، دمشق، ط ١، ١٩٩٤.
- ١٦- خوري (يعقوب)، اليهود في البلدان العربية، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٠.
- ١٧- زناتي (نور محمود)، موسوعة تاريخ العالم، ج ١ (الايام والاعمال والاعلام) تاريخ مصر، جامعة عين الشمس، د.ت.

- ١٨- السعدي (غازي)، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل للنشر، عمان، ط١، ١٩٩٤.
- ١٩- سغان (كامل)، اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٨.
- ٢٠- سوسة (أحمد)، العرب واليهود في التاريخ، الاعلان للنشر والتوزيع، ط٢، دمشق، ١٩٧٥.
- ٢١- شاحك (إسرائيل)، التاريخ اليهودي (الديانة اليهودية وطأة ثلاثة الاف سنة)، ت: صالح علي سوداح، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٥.
- ٢٢- شريف (حسين)، المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية (١٩٠٠ق.م-١٩٩٥) ج١ (من العهد القديم إلى قيام دولة إسرائيل ١٩٠٠ق.م-١٩٤٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥.
- ٢٣- شلبي (أحمد)، اليهودية، مكتب النهضة المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٧٤.
- ٢٤- شلش (علي)، اليهود والماسون في مصر، كتاب الزهراء، القاهرة، ١٩٨٦، ص٦٨.
- ٢٥- شمالي (نصر)، الظروف التاريخية للهجرات اليهودية من خزايا، إلى أوروبا وأمريكا إلى فلسطين المحتلة، دار المستقبل، دمشق، ١٩٩٠.
- ٢٦- الطويل (محمد)، يهود في برلمان مصر، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٨.
- ٢٧- عبد الرحمن (أسعد)، المنظمة الصهيونية العالمية - منظمة التحرير الفلسطينية- مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية- سلسلة دراسات فلسطينية رقم ١٥- بيروت ١٩٦٧.
- ٢٨- عبد الرحمن (عواطف)، مصر وفلسطين، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٠.
- ٢٩- عبد الرحمن (عواطف)، الصحافة الصهيونية في مصر سنة ١٨٩٧-١٩٥٤، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٩.
- ٣٠- عبد الرسول (علي)، البنوك التجارية في مصر، القاهرة، ١٩٦١.
- ٣١- عبده (علي إبراهيم)، خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث، بيروت، ١٩٧١.
- ٣٢- عبد المنعم (سيد)، وآخرون، الصهيونية في مصر من مركز يافا، القاهرة، ٢٠٠٤.
- ٣٣- عبد الكريم (إبراهيم)، تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.
- ٣٤- عزيز (سامي)، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنكليزي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨.
- ٣٥- علي (عرفة)، يهود بارونات وبؤساء، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٧.
- ٣٦- علي (عرفة)، ملف اليهود في مصر الحديثة، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

- ٣٧- فارح (فيليب)، يوسف كراج، المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، ت: بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٤.
- ٣٨- فريد (عبد الرحمن)، الحراسة على أموال ورعايا الاعداء، دار المعارف، مصر، ١٩٥٧.
- ٣٩- فهمي (وليم)، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧١.
- ٤٠- قاسم (عبد قاسم)، اليهود في مصر، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣.
- ٤١- قاسمية (خيرية)، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه، مركز الابحاث الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٣.
- ٤٢- كيوان (مأمون)، اليهود في الشرق الاوسط، الاهلية للنشر والتوزيع، ط١، الاسكندرية، ١٩٩٦.
- ٤٣- محمود (أمين عبد الله)، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والأدب، عالم المعرفة، ع ٧٤، الكويت، ١٩٨٤.
- ٤٤- نصار (سهام)، اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم (١٨٧٧-١٩٥٠)، العربي للنشر والتوزيع، د.ت.
- ٤٥- نصار (سهام)، الصحافة الإسرائيلية والدعاية الصهيونية في مصر، الزهراء للإعلام العربي، دم، ط١، ١٩٩١.
- ٤٦- نصار (سهام)، موقف الصحافة المصرية من الصهيونية ١٨٩٧-١٩١٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.
- ٤٧- هارون (شحاتة)، يهودي في القاهرة، دار الثقافة الحديثة، القاهرة، ١٩٨٧.
- ٤٨- الوكيل (شمس الدين)، الموجز في الجنسية ومركز الأجانب، الإسكندرية، ط٢، ١٩٦٦.

رابعاً - المصادر والمراجع الأجنبية

1. Charles Issawi. Egypt : An Economic and Social Analysis : Oxford University press 1947
2. Cohen, Hayim. The Jews of Middle East. JeruSAlem, Israel universities Press, 1973, P91
3. ENCYCLOPAEDIA JUDAICA, SECOND EDITION, VOLUME 06,(Dr-Feu)
4. Gudrun Kramer ,The Jews in Modern Egypt 1914-1952, London, 1989.
5. Roumani, Maurice ; The case of the jews from Arab countries, A Neglected Issue, Tel Aviv, 1987
6. Schifra Strisower, Exotic Jewish Communities, T.yoselobb London, 1960.
7. Shamir, Shimon(ed), The Jews of Egypt A mediterane an Socity in Modern Times. London, West Niew, press, 1987,
8. Siegfried Landshat, Jewish Communities in the Muslim Countries of the Middle east, Jewish chronicle London, 1950.
9. Weizman, Chaim, Trial and Error, An autobiography. London, Hamish Hamilton, 1941

ملحق رقم (١) المنطقة الشمالية

المصدر: المستعمرات اليهودية في فلسطين قبل عام ١٩٤٨، القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة، وزارة الدفاع، الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٧٠:

الرقم	الاسم	تاريخ الإنشاء	المنطقة	أصل السكان المستوطنين	وظيفية (نوع) المستعمرة
١	رجيا	1882	عكا	مراكش-أوروبا الغربية	مدنية
٢	يسود هامعلاه	1882	صفد	رومانيا-ألمانيا-بولونيا	موشاف
٣	روشبينا	1883	صفد	رومانيا	-
٤	بات شلمو	1889	الخصيرة	مختلط	-
٥	الخصيرة حدارة	1890	-	مختلط	مدنية
٦	مظلة	1896	صفد	روسيا-بولونيا-رومانيا	مدنية
٧	كفار تابور	1901	طبريا	رومانيا-الصين	زراعة
٨	يفنيئيل	1901	طبريا	أوروبيون	مدنية
٩	إيلانيا (الشجرة)	1902	طبريا	روسيا-شمال افريقية وغرب أوروبا	موشاف
١٠	مناحاميا	1902	طبريا	أوروبيون-رومانيا	موشاف
١١	جفعات عادة	1903	الخصيرة	رومانيا	كيبوتس
١٢	عتليت	1903	الخصيرة	أوروبيون	مدنية
١٣	بيت غان	1904	-	اليمن	زراعية
١٤	كنيرت	1908	طبريا	روسيا-بولونيا	كيبوتس
١٥	متسباه	1908	-	أوروبا الشرقية	مدنية
١٦	داغانيا (أ)	1909	طبريا	بولونيا	كيبوتس
١٧	مجدال	1910	طبريا	روسيا	موشاف
١٨	مرحافيا (أ)	1911	مرج بن عامر	أوروبيون	كيبوتس
١٩	جان شمونيل	1913	الخصيرة	أوروبيون	كيبوتس
٢٠	كركور	1913	الخصيرة	بريطانيا	مدنية

٢١	تل حي	1916	-	-	كيبوتس
٢٢	كفار جلعادي	1916	صفد	روسيا-بولونيا-ألمانيا	كيبوتس
٢٣	إيليت هاشاحار	1918	صفد	بولونيا-روسيا	كيبوتس
٢٤	داغانيا (ب)	1920	طبريا	روسيا-بولونيا	كيبوتس
٢٥	تل يوسف	1921	مرج بن عامر	شرق أوروبا	كيبوتس زراعية
٢٦	جفاع	1921	مرج بن عامر	أوروبا الشرقية	كيبوتس
٢٧	عين حارود (أ)	1921	مرج بن عامر	-	كيبوتس
٢٨	عين حارود (ب)	1921	صفد		كيبوتس
٢٩	كفار يحز قيثيل	1921	مرج بن عامر	أوروبا الشرقية	مدنية
٣٠	نهلال	1921	مرج ابن عامر	المكسيك-تشيكوسلوفاكيا	موشاف
٣١	بلفوريا	1922	مرج ابن عامر	بريطانيا	مستعمرة عماليه
٣٢	بيت ألفا	1922	مرج ابن عامر	بولندا	كيبوتس/ زراعي
٣٣	جنيجار	1922	مرج ابن عامر	بريطانيا - بولونيا-ألمانيا - رومانيا	كيبوتس
٣٤	حفتس باه	1922	مرج ابن عامر	ألمانيا تشيكوسلوفاكيا	كيبوتس
٣٥	مرحا فياب	1922	مرج ابن عامر	أوروبيون	موشاف
٣٦	ياجور	1922	مرج ابن عامر	أوروبا الشرقية	كيبوتس

٣٧	ابن يامينا	1923	الخضيرة	ألمانيا - روسيا - القوقاز	-
٣٨	تل عدشيم	1923	مرج ابن عامر	مختلط	مدنية
٣٩	كفار جدعون	1923	مرج ابن عامر	رومانيا	موشاف
٤٠	مئير شفيا	1923	الخضيرة	أوروبيون	زراعية
٤١	مزارع	1923	مرج ابن عامر	أوروبا الشرقية والوسطى	كيبوتس
٤٢	كفار حسيديم	1924	مرج ابن عامر	أوروبيون	موشاف
٤٣	رامات يشاي	1925	مرج ابن عامر	بولونيون	مدنية
٤٤	عفولة	1925	مرج ابن عامر	العراق	مدنية
٤٥	نيشر	1925	حيفا	أوروبيون	مدنية
٤٦	جفات	1926	مرج بن عامر	بولونيا	كيبوتس
٤٧	رامات تسقي	1926	مرج بن عامر	أوروبيون	مدنية
٤٨	رامات ديفد	1926	مرج بن عامر	أوروبا الشرقية	كيبوتس
٤٩	كفار باروخ	1926	مرج ابن عامر	رومانيا - بولونيا - ألمانيا * تشكلوسلوفاكيا	موشاف
٥٠	مشممار هاعميك	1926	مرج ابن عامر	أوروبا الشرقية	زراعية
٥١	يفعات	1926	مرج ابن عامر	-	كيبوتس
٥٢	بيت زيراع	1927	طبريا	روسيا - بولونيا - ألمانيا	كيبوتس / زراعي
٥٣	سديه يعقوب	1927	مرج ابن عامر	أوروبيون	مدنية

٥٤	سريد	1927	مرج ابن عامر	بولونيا-تشيكوسلوفاكيا	كيبوتس
٥٥	عين شيمر	1927	الخصيرة	أوروبيون	كيبوتس
٥٦	كفار يهوشوع	1927	مرج ابن عامر	روسيا-ليبيا	مدنية
٥٧	يحيعام	1927	عكا	هنغاريا	كيبوتس
٥٨	كفار بريدس	1928	-	ألمانيا	زراعة
٥٩	نهرام	1928	-		مدنية
٦٠	باردس حنا	1929	الخصيرة	مختلط أوروبيون	موشاف
٦١	دفقة	1929	صفد	بولونيا-ألمانيا	كيبوتس
٦٢	كادوري	1931	طبريا		زراعة
٦٣	رامات يوحنا	1932	مرج ابن عامر	أوروبيون-جنوب افريقية	كيبوتس
٦٤	عين هاشوفيط	1932	مرج ابن عامر	الولايات المتحدة الأمريكية- كندا-بولونيا-هنغاريا	كيبوتس
٦٥	كفار بيباليك	1932	مرج ابن عامر	أوروبيون-ألمان	موشاف
٦٦	أشدود يعقوب أ	1933	طبريا	بولونيا-ألمانيا	كيبوتس
٦٧	أشدود يعقوب ب	1933	طبريا	بولونيا-ألمانيا	كيبوتس
٦٨	قريات حايم	1933	حيفا	أوروبيون	مدنية
٦٩	قريات ناحوم	1933	حيفا	أوروبيون	مدنية
٧٠	كفار بينس	1933	الخصيرة	أوروبيون	موشاف
٧١	كفار هاحورش	1933	-	هنغاريا-الولايات المتحدة	كيبوتس
٧٢	مشاروت	1933	الخصيرة	أوروبا الشرقية	كيبوتس
٧٣	آيلون	1934	عكا	روسيا-بولونيا-ألمانيا	موشاف
٧٤	جان هاشمرون	1934	الخصيرة	وسط أوروبا	مدنية
٧٥	عين عيرون	1934	الخصيرة	روسيا-بولونيا-ألمانيا	كيبوتس زراعي
٧٦	قريات بيباليك	1934	حيفا	أوروبيون-ألمان	مدنية
٧٧	قريات موتسكين	1934	حيفا	أوروبيون	مدنية

٧٨	نهاري	1934	-	مدنية
٧٩	بيت هاشيطة	1935	مرج ابن عامر	كيبوتس
٨٠	شعار هاعماقيم	1935	مرج ابن عامر	كيبوتس
٨١	قريات حاروشة	1935	مرج ابن عامر	مدنية
٨٢	قريات شموئيل	1935	حيفا	زراعة
٨٣	يكنعام	1935	مرج ابن عامر	موشاف
٨٤	بيت شعاريم	1936	مرج ابن عامر	مدينة
٨٥	حولانا	1936	صفد	كيبوتس
٨٦	كفار مسارسك	1936	عكا	كيبوتس
٨٧	كفار هاماكابي	1936	مرج ابن عامر	كيبوتس
٨٨	كفار حطيم	1936	طبريا	موشاف
٨٩	نيردافيد	1936	مرج ابن عامر	كيبوتس
٩٠	هازوريا	1936	مرج ابن عامر	كيبوتس
٩١	أوشا	1937	مرج ابن عامر	كيبوتس
٩٢	بني برية	1937	مرج ابن عامر	موشاف
٩٣	بيت يوسف	1937	مرج ابن عامر	مدنية
٩٤	جينوسار	1937	طبريا	كيبوتس زراعي

٩٥	سدية ناحوم	1937	مرج ابن عامر	بولونيا - النمسا	كيبوتس
٩٦	شاعر هاجولان	1937	طبريا	بولونيا - لتوانيا -	مدنية
٩٧	شافي تسيون	1937	-	ألمانيا	موشاف
٩٨	عين جيف	1937	طبريا	ألمانيا - النمسا - بريطانيا - بولونيا	كيبوتس
٩٩	كفار هاموعار	1937	مرج ابن عامر	شمال افريقية	موشاف
١٠٠	مشار هاشلوشاه	1937	طبريا	أوروبا	كيبوتس
١٠١	ماعوز حايم	1937	مرج ابن عامر	العراق - ايران	كيبوتس
١٠٢	مسادة	1937	طبريا	رومانيا - ألمانيا - النمسا	كيبوتس
١٠٣	أيلون	1938	عكا	بولونيا - رومانيا	كيبوتس
١٠٤	آلونيم	1938	مرج ابن عامر	أوروبا الشرقية والغربية	كيبوتس
١٠٥	افقيم	1938	طبريا	روسيا - شرق أوروبا	كيبوتس
١٠٦	حانيتا	1938	عكا	ألمانيا - رومانيا	كيبوتس
١٠٧	شارونا	1938	طبريا	أوروبا الشرقية	مدنية
١٠٨	عين هامفرايس	1938	عكا	بولونيا	كيبوتس / زراعي
١٠٩	كفار روبين	1938	مرج ابن عامر	هنغاريا - تشيكوسلوفاكيا	كيبوتس زراعة
١١٠	مسيلوت	1938	مرج ابن عامر	بلغاريا	كيبوتس
١١١	معين تسفي	1938	مرج ابن عامر	جنوب افريقية - أمريكا المانيا	كيبوتس
١١٢	نافي ايتان	1938	مرج ابن عامر	بولونيا	كيبوتس
١١٣	افك (مفلوت افك)	1939	عكا	شرق ووسط أوروبا	كيبوتس زراعية

١١٤	بيت أورو	1939	الخضيرة	رومانيا - شمال افريقيا	كيبوتس / زراعي
١١٥	جيشر	1939	طبريا	المانيا	كيبوتس
١١٦	دان	1939	صفد	هنغاريا - بولونيا - المانيا - اليمن	كيبوتس
١١٧	داليا	1939	مرج بن عامر	رومانيا - المانيا	كيبوتس
١١٨	سديهياهو	1939	مرج بن عامر	هولندا - المانيا - اليمن	مدنية
١١٩	شدموت دبور	1939	طبريا	وسط أوروبا	مدنية
١٢٠	عمير (عامير)	1939	صفد	يوغسلافيا - أوروبا الشرقية	كيبوتس
١٢١	كفار غليكسون	1939	الخضيرة	رومانيون	كيبوتس
١٢٢	محانايم	1939	صفد	أوروبيون	كيبوتس
١٢٣	نافي يام	1939	الخضيرة	أوروبيون	كيبوتس
١٢٤	هازورعيم	1939	طبريا	-	مدنية
١٢٥	بيت هلك	1940	صفد	بولندا - رومانيا - هنغاريا	مدنية
١٢٦	سدوت يام	1940	الخضيرة	وسط أوروبا	كيبوتس
١٢٧	سديه نحما	1940	صفد	النمسا - هولندا - المانيا	كيبوتس
١٢٨	شفار ياشوف	1940	صفد	هنغاريا رومانيا	ميدنية
١٢٩	متسويا	1940	صفد	أوروبيون	كيبوتس
١٣٠	افوكا	1941	مرج بن عامر	بولونيا	زراعية
١٣١	بيتانيا (آلوموت)	1941	طبريا	مختلط	كيبوتس / زراعية
١٣٢	رامات هاشوفيط	1941	مرج بن عامر	بولونيا - بلغاريا	كيبوتس
١٣٣	معين باروخ	1941	صفد	جنوب افريقيا - الولايات المتحدة	كيبوتس
١٣٤	كفار سولد	1942	صفد	النمسا - المانيا	زراعة
١٣٥	معاييت	1942	الخضيرة	تشيكوسلوفاكيا	كيبوتس

١٣٦	جفعوت زايد	1943	مرج بن عامر	وسط أوروبا جنوب افريقيا الجنوبية	كيبوتس
١٣٧	حمديه	1943	مرج بن عامر	وسط أوروبا	كيبوتس
١٣٨	المنارة	1943	صفد	بولونيا - المانيا	زراعية
١٣٩	كفار بلوم	1943	صفد	بريطانيا - الهند - فرنسا	كيبوتس
١٤٠	بيت كيشيت	1944	طبريا	اليمن	كيبوتس
١٤١	شامير	1944	صفد	أوروبيون - رومانيا - بولونيا	كيبوتس
١٤٢	عين هاعميك	1944	مرج بن عامر	كروستان	مدينة
١٤٣	افن اسحق (جلعاد)	1945	مرج بن عامر	هولندا - افريقيا الجنوبية وألمانيا	كيبوتس
١٤٤	حوكوك	1945	طبريا	أوروبيون	كيبوتس
١٤٥	طيرة تسفي	1945	مرج بن عامر	المانيا	كيبوتس
١٤٦	عفرون	1945	عكا	بولونيا - رومانيا	كيبوتس
١٤٧	لهافوت هاباشان	1945	صفد	المانيا - هنغاريا - رومانيا	كيبوتس
١٤٨	مخمورت	1945	هاشاروف	أوروبيون	موشاف
١٤٩	مسجافا عام	1945	صفد	أوروبيون	كيبوتس
١٥٠	يروون	1945	صفد	-	كيبوتس
١٥١	الوموت	1946	طبريا	-	موشاف
١٥٢	دفرات	1946	مرج بن عامر	هنغاريا	كيبوتس
١٥٣	عين هانتسيا	1946	مرج بن عامر	الولايات المتحدة - المانيا	كيبوتس / زراعي
١٥٤	عين زيتيم	1946	صفد	هنغاريا	زراعية
١٥٥	عميعاد	1946	صفد	هولندا	كيبوتس

١٥٦	قريات يام	1946	حيفا	أوروبيون	مدنية
١٥٧	كفار كبش	1946	طبريا	هولندا-المملكة المتحدة	مدنية
١٥٨	ناؤوت مردخاي	1946	صفد	أوروبيون-تشيكوسلوفاكيا	كيبوتس
١٥٩	جيرف لئات	1947	هاشارون	شرق أوروبا	مدنية
١٦٠	عين ياهام	1947	-	-	كيبوتس/ زراعية
١٦١	مشار هايام	1947	-	أوروبيون	موشاف
١٦٢	آلوني آبا مآفاك	1948	مرج بن عامر	المانيا	موشاف
١٦٣	اشزب	1948	-	-	موشاف
١٦٤	بستان ها جليل	1948	عكا	أوروبيون	مستعمرة عماليه
١٦٥	بيت عوليم	1948	حيفا		
١٦٦	بيت لحم (الجليلة)	1948	مرج بن عامر	ألبانيون	مدنية
١٦٧	جازيت	1948	مرج بن عامر	جنوب أفريقيا	كيبوتس/ زراعي
١٦٨	جدعونة	1948	مرج بن عامر	اليمن	مدنية
١٦٩	جعتون	1948	عكا	أوروبيون	كيبوتس
١٧٠	راموت مناشيه	1948	مرج بن عامر	بولونيا-بلغاريا	كيبوتس/ زراعي
١٧١	رجافيم	1948	الخصيرة	ايطاليا-تونس	زراعية
١٧٢	ساعار	1948	عكا	وسط أوروبا	كيبوتس
١٧٣	شاحار	1948	عسقلان	شرق أوروبا- تركيا-تونس	كيبوتس
١٧٤	شلوحوت	1948	عكا	رومانيا	كيبوتس

١٧٥	عين دور	1948	مرج بن عامر	أوروبا	كيبوتس
١٧٦	عين كرم	1948	الخصيرة	أوروبا الشرقية	كيبوتس/ زراعي
١٧٧	كفار هاناسي	1948	صفد	بريطانيون	زراعة
١٧٨	نخشوليم	1948	الخصيرة	بولونيا-الولايات المتحدة	كيبوتس
١٧٩	نعامة شوارتس	1948	مرج بن عامر	شمال افريقيا	زراعية
١٨٠	نافي عاميئيك	1948	الخصيرة	-	مدنية
١٨١	هاغوشريم	1948	صفد	اتراك يوناني رومان *	كيبوتس
١٨٢	هاحوتريم	1948	الخصيرة	وسط أوروبا	كيبوتس
١٨٣	يزرعيل	1948	مرج بن عامر	أوروبيون	كيبوتس
١٨٤	يفتاح	1948	صفد	امريكيون	كيبوتس
١٨٥	راموت نفتالي	1983	صفد	هولندا - بريطانيا	موشاف
١٨٦	زحزون يعقوب	1983	الخصيرة	رومانيا	-

ملحق رقم (٢)

المنطقة الوسطى

المصدر: المستعمرات اليهودية في فلسطين قبل عام ١٩٤٨، القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة، وزارة الدفاع، الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٧٠:

الرقم	اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	المنطقة	أصل السكان المستوطنين	وظيفة (نوع) المستعمرة
١	نحاليم	1848	تل أبيب	-	زراعية
٢	مكوية إسرائيل	1870	تل أبيب		
٣	بات يام	1878	-	مختلط	مدنية
٤	ريشون لتسيون	1882	-	مختلط	مدنية
٥	مزكيرت باتيا	1883	الرملة	أوروبا	مدنية
٦	نس تسيونا	1883	رحوبوت	أوروبيون	بلدية
٧	جديرة	1884	رحوبوت	أوروبيون	مدنية
٨	رحوفوت	1890	-	مختلط	مدنية
٩	موتسا السفلى	1894	القدس	أوروبا	مدنية
١٠	كفار سابا	1903	-	مختلط	مدنية
١١	بئر يعقوب	1907	الرملة	تونس	-
١٢	تل أبيب	1909	السهل الساحل	مختلط	مدنية
١٣	كفارأوروبا	1914	القدس	بلغاريا	مدنية
١٤	نحلات يهودا	1914	رحوبوت	اليمن	مستعمرة
١٥	قریات عنافيم	1920	القدس	أوروبيون	كيبوتس
١٦	ين شيمين	1921	الرملة	مختلط	زراعية
١٧	رامات جان	1921	-	مختلط	مدنية

١٨	كفار مالال	1922	بتاح تكفا	أوروبيون	مدنية
١٩	رامات هشارون	1923	تل أبيب	أوروبيون	مدنية
٢٠	براك	1924	-	مختلط	مدنية
٢١	كريات شاول	1924	تل أبيب	يونانيون	موشاف
٢٢	مجدنيل	1924	بتاح تكفا	ألمانيا	زراعية
٢٣	هرتسيليا	1924	-	-	مدنية
٢٤	جفعات هاشلوشاه	1925	بتاح تكفا	مختلط	مدنية
٢٥	عينات	1925	بتاح تكفا	أوروبيون	كيبوتس
٢٦	هدارراماتيم	1925	بتاح تكفا	مختلط	مدنية
٢٧	جت رمون	1926	بتاح تكفا	أوروبيون	مدنية
٢٨	جفعات تايم	1926	-	مختلط	مدنية
٢٩	رامات راحيل	1926	القدس	-	كيبوتس
٣٠	كفار جانيم	1926	بتاح تكفا	أوروبا . ألمانيا	زراعية
٣١	جفعات برنر	1928	رحوبوت	ألمانيا . إيطاليا	زراعية
٣٢	كفارأهارون	1928	-	اليمن	زراعية
٣٣	تل موند	1929	تل أبيب	أوروبيون	مدنية
٣٤	تل عشير	1929	-	-	-
٣٥	كفار نيتز	1929	هاشارون	أوروبيون	مدنية
٣٦	نتانيا	1929	-	مختلط	مدنية
٣٧	بيت حنان	1930	رحوبوت	بلغاريا . اليونان	مدنية
٣٨	حولدة	1930	الرملة	أوروبيون	كيبوتس
٣٩	حيروت	1930	هاشارون	أوروبيون	مدنية
٤٠	عين فيرد	1930	هاشارون	أوروبيون	مدنية
٤١	عيانوت	1930	رحوبوت	-	زراعية

٤٢	ناعان	1930	الرملة	العراق	زراعية
٤٣	طيرة شالوم	1931	هاشارون	اليمن	مدنية
٤٤	عين هاحورش	1931	تل أبيب	بلجيكا - بولونيا	كيبوتس
٤٥	كفارمارمورك	1931	رحوبوت	اليمن	زراعية
٤٦	ايفن يهودا	1932	هاشارون	أوروبا الشرقية	موشاف
٤٧	افياحيل	1932	تل أبيب	روسيا - الولايات المتحدة	زراعية
٤٨	ايفن يهودا	1932	تل أبيب	أوروبا الشرقية	موشاف
٤٩	تل تسور	1932	-	أوروبيون	مدنية
٥٠	جفعات حاييم	1932	تل أبيب	تشيكوسلوفاكيا	مدنية
٥١	رامات هاكوفيتش	1932	بتاح تكفا	أوروبا الشرقية	كيبوتس
٥٢	كفار يعبتس	1932	هاشارون	رومانيا	مدنية
٥٣	كفار بيلو	1932	الرملة	بولونيا - رومانيا	مدنية
٥٤	كفار آزار	1932	تل أبيب	بولندا	مدنية
٥٥	كفار أبراهام	1932	-	أوروبيون	زراعية
٥٦	كفاريونا	1932	هاشارون	أوروبيون	مدنية
٥٧	نطاعيم	1932	رحوبوت	أوروبا الشرقية	مدنية
٥٨	يركونة	1932	بتاح تكفا	المغرب	زراعية
٥٩	بيت يناي	1933	تل أبيب	بولونيا - الولايات المتحدة	مدنية
٦٠	بيت عوفيد	1933	رحوبوت	روسيا	مدنية
٦١	تسوفيت	1933	تل أبيب	شرق أوروبا	مدنية
٦٢	جفعات حن	1933	بتاح تكفا	أوروبا الشرقية	مدنية
٦٣	جفعات تسبون	1933	تل أبيب	أوروبيون	مدنية
٦٤	حاجلاه	1933	-	أوروبا	مدنية
٦٥	رامات هاشافيم	1933	بتاح تكفا	ألمانيا	مدنية

٦٦	قاديما	1933	هاشارون	أوروبيون	موشاف
٦٧	كفارحاييم	1933	هاشارون	أوروبيون	مدنية
٦٨	كفار هس	1933	هاشارون	شرق أوروبا	-
٦٩	كفار فتقين	1933	-	أوروبا الشرقية	مدنية
٧٠	موتسا العليا	1933	القدس	أوروبيون	مدنية
٧١	مشمارهاشرون	1933	-	بولينا	كيبوتس
٧٢	معبورت	1933	-	-	كيبوتس
٧٣	هدارعام	1933	تل أبيب	-	زراعية
٧٤	تل هاشومير	1934	تل أبيب	ألمانيا	مدنية
٧٥	جفعايم	1934	بتاح تكفا	أوروبيون	مدنية
٧٦	كفارهاروئيه	1934	هاشارون	اليمن - شرق أوروبا	مدنية
٧٧	بتسارون	1935	عسقلان	روسيا - البلقان	مدنية
٧٨	جان حاييم	1935	بتاح تكفا	أوروبيون - روسيا	مدنية
٧٩	حفسلت هاشارون	1935	-	أوروبا الشرقية	مدنية
٨٠	حولون	1935	-	مختلط	مدنية
٨١	رامات كيومكين	1935	-	-	زراعية
٨٢	شفاييم	1935	بتاح تكفا	مختلط	زراعية
٨٣	بيتان - أهارون	1936	تل أبيب	شرق أوروبا	مدنية
٨٤	جان هاشارون	1936	بتاح تكفا	-	زراعية
٨٥	جان يفنيه	1936	رحوبوت	أوروبيون	موشاف
٨٦	رشيون (أرسوف)	1936	هاشارون	أوروبيون	مدنية
٨٧	كفار سيركين	1936	بتاح تكفا	أوروبا الشرقية	مدنية
٨٨	تسورموشي	1937	تل أبيب	بلغاريا - اليونان	مدنية

٨٩	كفارمناحيم	1937	عسقلان	الولايات المتحدة. بولونيا. ألمانيا	كيبوتس
٩٠	كفارشمارياهو	1937	تل أبيب	أوروبيون - ألما	مدنية
٩١	بيت يهوشوع	1938	تل أبيب	بولونيا	مدنية
٩٢	تل اسحق	1938	تل أبيب	بولونيا	مدنية
٩٣	جبتون	1938	رحوبوت	مختلط	مدنية
٩٤	رامات هادار	1938	بتاح تكفا	إيطاليا - أفريقيا - أوروبا	مدنية
٩٥	سدية واربورغ	1938	بتاح تكفا	ألمانيا	عمالياً
٩٦	شيخونات بيلنسون	1938	بتاح تكفا	مختلط	زراعية
٩٧	قريات أونو	1939	تل أبيب	العراق	موشاف
٩٨	نحلات اسحق	1939	-	-	صناعية
٩٩	نيرا	1939	-	تشيكوسلوفاكيا	-
١٠٠	بارديسيا	1940	تل أبيب	مختلط	-
١٠١	شعار حيفر	1940	-	تشيكوسلوفاكيا	مدنية
١٠٢	كيرم يفينه	1941	رحوبوت	وسط أوروبا	زراعية
١٠٣	جفعات شموئيل	1942	بتاح تكفا	أوروبيون	مدنية
١٠٤	كفار عقودا	1942	هاشارون	-	مدنية
١٠٥	جليل يام	1943	تل أبيب	أوروبيون	زراعية
١٠٦	حفاتس حايم	1944	رحوبوت	ألمان	زراعية
١٠٧	كفار أوريا/ب	1944	رحوبوت	-	مدنية
١٠٨	بيت هاليفي	1945	تل أبيب	بلغاريا - اليونان	مدنية

١٠٩	جنوليم	1945	تل أبيب	كروستان	مدنية
١١٠	جيزر	1945	الرملة	الولايات المتحدة . فرنسا	كيبوتس
١١١	هامغفل	1945	-	بولونيا . ألمانيا	كيبوتس
١١٢	بتسرة	1946	تل أبيب	-	زراعية
١١٣	بني درور	1946	تل أبيب	مختلط	دينية
١١٤	بيت اسحق	1946	تل أبيب	ألمانيا الغربية . تشيكوسلوفا	مدنية
١١٥	بيت رابان	1946	رحوبوت	-	مدنية
١١٦	كفارموناخ	1946	هاشارون	أستراليا . غرب أوروبا	مدنية
١١٧	بني تسيون	1947	هاشارون	مصر . الهند . أوروبا	موشاف
١١٨	جؤولي تيمان	1947	بتاح تكفا	أوروبيون	مدنية
١١٩	حتسور اشدود	1947	عسقلان	أمريكا . ألمان . بولونيا	زراعية
١٢٠	مشميرت	1947	تل أبيب	-	مدنية
١٢١	هاعوجن	1947	تل أبيب	وسط أوروبا	كيبوتس
١٢٢	هداسيم	1947	تل أبيب	-	زراعية
١٢٣	ياقوم	1947	تل أبيب	-	زراعية
١٢٤	أودميم	1948	هاشارون	رومانيا . بولونيا . أوروبا	مدنية
١٢٥	أزور	1948	تل أبيب	أوروبا الشرقية . البلقان	زراعية
١٢٦	ايلانوت	1948	تل أبيب		زراعية
١٢٧	بثروت اسحاق	1948	الرملة	وسط أوروبا . شمال أفريقيا	

١٢٨	عطروت	1948	الرملة	وسط أوروبا	مدنية
١٢٩	بيت العازاري	1948	رحوبوت	بلغاريا - بولونيا - رومانيا	مدنية
١٣٠	بيت دجن	1948	الرملة	أوروبيون	زراعة
١٣١	تسرة	1948	تل أبيب	بولونيا	مدنية
١٣٢	تسوبا	1948	القدس	-	زراعية
١٣٣	تل شاحار	1948	الرملة	-	مدنية
١٣٤	جنالبا	1948	رحوبوت	بلغاريون	مدنية
١٣٥	دير عمرو	1948	-	-	مستعمرة
١٣٦	رامات لازيال	1948	القدس	أوروبا الشرقية	مدنية
١٣٧	رشاف	1948	-	أوروبيون	زراعية
١٣٨	رفاديم	1948	عسقلان	-	كيبوتس
١٣٩	زرفوقة	1948	رحوبوت	رومانيا	زراعية
١٤٠	شورش	1948	القدس	رومانيا - تشيكوسلوفاكيا	مستعمرة
١٤١	عميلم	1948	-	-	-
١٤٢	عين كيرم	1948	القدس	العراق	زراعية
١٤٣	كفار عقرون	1948	-	بلغاريا - اليمن	موشاف
١٤٤	مشممار دافيد	1948	الرملة	-	كيبوتس
١٤٥	نتسريريني	1948	الرملة	بولونيا	زراعية
١٤٦	نافي هداسا	1948	تل أبيب	مختلط	مدنية
١٤٧	نورديا	1948	تل أبيب	أوروبيون	مدنية
١٤٨	ناني إيلان	1948	القدس	-	زراعية
١٤٩	هارينل	1948	الرملة	-	زراعية

١٥٠	يهود	1948	بتاح تكفا	العراق - تركيا	زراعية
١٥١	يسودوت	1948	رحوبوت	بولونيا - رومانيا	مدنية
١٥٢	بتاح تكفا	1978	-	مختلط	مدنية
١٥٣	معليه هاحامشاه	19397	القدس	بولونيا	كيبوتس
١٥٤	برديس جان حاييم	-	تل أبيب	-	مدنية
١٥٥	رعنانا (معار)	1921	بتاح تكفا	امريكا	مدنية
١٥٦	كريات هدابسا		القدس		مدنية
١٥٧	نفيه ميخائيل				
١٥٨	جنيرو				
١٥٩	هودهشارون				
١٦٠	ياد بنيامين				
١٦١	تسورهداسا				

ملحق رقم (٣)

المنطقة الجنوبية

المصدر: المستعمرات اليهودية في فلسطين قبل عام ١٩٤٨، القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة، وزارة الدفاع، الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٧٠:

الرقم	اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	المنطقة	أصل السكان المستوطنين	وظيفة (نوع) المستعمرة
١	بئر طوفيا	1930	عسقلان	رومانيا . روسيا . ألمانيا	عمالية
٢	سدوم	1934	بئر السبع		مدنية
٣	كفارواربورغ	1939	عسقلان	أوروبيون	مدنية
٤	نجبا	1939	عسقلان	البرازيل/ بلجيكا . التشاد	كيبوتس
٥	جت	1942	عسقلان	-	زراعية
٦	جفار عام	1942	عسقلان	هولندا - تركيا	زراعية
٧	رفيفيم	1942	بئر السبع	أوروبا الشرقية	زراعية
٨	روحاما	1942	بئر السبع	رومانيون	كيبوتس
٩	بيت ايثل	1943	بئر السبع	مختلط	مدنية
١٠	جالوون	1943	عسقلان	بولونيا ومختلط	زراعية
١١	نتسانيم	1943	عسقلان	أرجنتين . رومانية	كيبوتس
١٢	نيرعام	1943	بئر السبع	أمريكا الجنوبية . رومانيا	كيبوتس

١٣	يادمردخاي	1943	عسقلان	بولونيا. بلغاريا . أمريكا	كيبوتس
١٤	أوريم	1946	بئر السبع	وسط أوروبا	زراعية
١٥	بئيري	1946	بئر السبع	العراق	كيبوتس
١٦	حتسريم	1946	بئر السبع	وسط أوروبا-شمال أفريقية	زراعية
١٧	شرشيرت	1946	بئر السبع	تونس	كيبوتس
١٨	شوفال	1946	بئر السبع		كيبوتس
١٩	قدما	1946	عسقلان		كيبوتس
٢٠	مشمارة هانيجف	1946	بئر السبع	بلجيكا . فرنسا . أمريكا	كيبوتس
٢١	نفاطيم	1946	بئر السبع	الهند . العراق	مدنية
٢٢	تسيليم	1947	بئر السبع	-	كيبوتس
٢٣	جيفيم	1947	بئر السبع	تركيا . أوروبا	كيبوتس
٢٤	دوروت	1947	بئر السبع	وسط أوروبا	كيبوتس

٢٥	سعاد	1947	بئر السبع	رومانيا-وسط أوروبا	كيبوتس
٢٦	بثروت اسحق	1948	بئر السبع	-	كيبوتس
٢٧	برور حاييل	1948	بئر السبع	البرازيل	كيبوتس
٢٨	حاتسيفا	1948	بئر السبع		مدينة
٢٩	روش زدهار				
٣٠	سوي ياشياه				
٣١	نفيه زوهار				
٣٢	يروحام				

ملحق رقم (٤)

- وثائق مصورة من صحيفتي "الدفاع" و"فلسطين"

الصادرتين في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني

جريدة فلسطين: حول زيارة بلفور إلى يهود مصر ١٩٢٥/٣/٣

« فلسطين في ٣ آذار سنة ١٩٢٥ »			
حول زيارة بلفور اليهود مصر نشرت جريدة امريتايل الفرنسية لقاء الى يهود مصر نشرت فيه القاءهم الى وجوب الاحتفال يوم وصول البورد بلور الى مصر في طريقه الى فلسطين احتفالاً كبيراً اعظم من الاحتفال الذي قاموا به في سنة ١٩١٢ حين قدم الوفد الصهيوني وحقق على وجوب تأليف وفود منهم تلعب الى فلسطين لحضور حفلة الترحيب التي يقوم بها البورد وتنم اتوف العرب ونشرت مجلة الجويش كرونكل ان الاحتفاء بالبورد بلور في فلسطين يجب ان يكون باهراً لتكابه بالغرب الذين قرروا استقباله بالاعراب - ثم قالت: ان الجامعة اليهودية قد تأسست رغم انهم وسكوت بيت العلي والعرقان الضروريان لخلق كيان الشعب اليهودي؟ الجريدة الرشيدة! استدعت جميع الصحف اليهودية جريدة لسان العرب وومعها بالجريدة الرشيدة لانها اشارت يوم الاعراب يوم وصول البورد بلور.	الاجتماع معرض وملي بلفور انما كان ولا يزال من المأرضين في المراتك المهيمنه قسم فلسطين من معرض وملي لاسباب ذكرها في جيبها وانما ان هذا القسم لم يتبع الا خدمة الدفاع الصهيونية وقد ذكرنا بعض الذين زاروا هذا القسم من الوطنيين ان كان كائناتنا ولكنة لم يصادف اهل اهل فلسطين مع ان اليهود قاموا بحملة كبيرة حوله وملاوا الصحف بأخبار تجلدهم الكبرية والظاهر ان الحكومة البريطانية قررت بناء المعرض سبب هذه السنة أيضاً املاً يجمع بعض حسارة السنة الماضية فيه وتقدر يلبوس من الجبهات ولكن مجلس النواب يارض في ذلك لم تنجح دماره تهدد جمعية الامم! قدمت جمعية الاتحاد عصبة الامم اليهودية الى سكرتير جمعية الاتحاد عصبة الامم الدولية العام مذكراً لقدمها الى لجنة الانتداب وهي احتياج شديد على قرارها بشأن مهاجرة اليهود الى فلسطين ونقول المذكرة ان لجنة الانتداب	بلفور انما كان ولا يزال من المأرضين في المراتك المهيمنه قسم فلسطين من معرض وملي لاسباب ذكرها في جيبها وانما ان هذا القسم لم يتبع الا خدمة الدفاع الصهيونية وقد ذكرنا بعض الذين زاروا هذا القسم من الوطنيين ان كان كائناتنا ولكنة لم يصادف اهل اهل فلسطين مع ان اليهود قاموا بحملة كبيرة حوله وملاوا الصحف بأخبار تجلدهم الكبرية والظاهر ان الحكومة البريطانية قررت بناء المعرض سبب هذه السنة أيضاً املاً يجمع بعض حسارة السنة الماضية فيه وتقدر يلبوس من الجبهات ولكن مجلس النواب يارض في ذلك لم تنجح دماره تهدد جمعية الامم! قدمت جمعية الاتحاد عصبة الامم اليهودية الى سكرتير جمعية الاتحاد عصبة الامم الدولية العام مذكراً لقدمها الى لجنة الانتداب وهي احتياج شديد على قرارها بشأن مهاجرة اليهود الى فلسطين ونقول المذكرة ان لجنة الانتداب	بلفور انما كان ولا يزال من المأرضين في المراتك المهيمنه قسم فلسطين من معرض وملي لاسباب ذكرها في جيبها وانما ان هذا القسم لم يتبع الا خدمة الدفاع الصهيونية وقد ذكرنا بعض الذين زاروا هذا القسم من الوطنيين ان كان كائناتنا ولكنة لم يصادف اهل اهل فلسطين مع ان اليهود قاموا بحملة كبيرة حوله وملاوا الصحف بأخبار تجلدهم الكبرية والظاهر ان الحكومة البريطانية قررت بناء المعرض سبب هذه السنة أيضاً املاً يجمع بعض حسارة السنة الماضية فيه وتقدر يلبوس من الجبهات ولكن مجلس النواب يارض في ذلك لم تنجح دماره تهدد جمعية الامم! قدمت جمعية الاتحاد عصبة الامم اليهودية الى سكرتير جمعية الاتحاد عصبة الامم الدولية العام مذكراً لقدمها الى لجنة الانتداب وهي احتياج شديد على قرارها بشأن مهاجرة اليهود الى فلسطين ونقول المذكرة ان لجنة الانتداب

المصدر: استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية،

دمشق، ١٩٧٨.

ملحق رقم (٥)

حول موقف يهود مصر من مشكلة فلسطين



جريدة الدفاع ١٤-٧-١٩٣٨ ص ١ -



جريدة الدفاع ١٤-٧-١٩٣٨ ص ١ -

ملحق رقم (٦)

موقف يهود مصر من قضية فلسطين



جريدة الدفاع ٢٣-١٠-١٩٣٨ - ص ٤

ملحق رقم (٧)

حول القبض على يهود مهريين ونسائهم عازمين على السفر إلى فلسطين



جريدة الدفاع الثلاثاء، ٤-٦-١٩٣٥-ص ٥



ملحق رقم (٨)

حول اعتقال ٦ يهود قادمين من مصر على شواطئ روبين في يافا



جريدة الدفاع- الخميس ٦-٢-١٩٣٨- ص ١



جريدة الدفاع- الخميس ٦-٢-١٩٣٨- ص ١

ملحق رقم (٩)

جريدة فلسطين ٢٦-٢-١٩٤٨ - ص ٤

حول تسلل ١٠ إرهابيين يهود إلى مصر للقيام بأعمال إرهابية



كثيراً بعد انتعاش العالم لم تكن شيا لم انواجه ناشكنا لم الاجه الجنسيه الى فلس ستزداد وتشتد ويجب ٦٢ في ثلاثة من مؤه هم من العرب الذين العرب ان يتعاونوا مع والله اعلم	تسلل ١٠ ارهابيين يهود الى مصر! الفاخرة في ٢٥ - و.أ.ع - كتبت جريدة الزمان تقول ان انباء المصادر الموثوق بها تقول ان عشرة من الارهابيين اليهود ارسلوا الى مصر للقيام باعمال ارهابية فيها وانهم قد نجحوا فعلا في الدخول اليها باستخدام جوازات مزورة وقد قام البوليس صباح اليوم بحملة واسعة النطاق في الفاخرة .	جاء لا محالة « هوجت في ضواحي جة ويعتقد انه قتل يهودي واحد ران جراح وود اليهود على النار هم اضطروا للهجرة الى مستعمرة ن تراا حوائه ثلاثة اطفال وجد مرفقا بالانار ت في لفيرة الاسلاميه في الموهبة حيفا جته يهودي مجهول الهوية
---	---	--

ملحق رقم (١٠)

حول اعتقال إرهابيين يهود تسربوا من فلسطين إلى مصر

جريدة فلسطين - الجمعة، ٢٠-٩-١٩٤٦ - ص ٣



تطويق وتمشيش ٥٠٠ فندق في مصر

واعتقال اربابيين يهود تسربوا من فلسطين!

القاهرة في ١٩ ايلول - لمراسل فلسطين
الحاض - ارسلنا اليكم امس نأ القاء البوليس
السياسي التفتيش على عدد من الارهابيين اليهود
الذين دخلوا مصر خلسة وقد فطنا ان حكمدار
بوليس العاصمة علم بتزوح ٣٦ شابا من
الارهابيين الى القاهرة وتزول بعضهم في
فنادق للدينية في القاهرة
وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم قامت
فرات من رجال البوليس قمت تنسها الى
اقسام وامررت الفنادق الكبرى والعمرى
على السواء، ثم اخذ رؤساء هذه القوان في
تمشيش الفنادق حيث تمكنوا من اعتقال بعض
الشخاس غير مرشوب فيهم ويقاتهم في التطر

للعمرى وآخرين دخلوا مصر بغير جوازات
سفر - كما ضبطت جماعة من الارهابيين - النازحين
من الاقطار الشقيقة وقد وصلوا الى هنا بلا
جوازات سفر مما اضطر رجال البوليس الى
القاء التفتيش عليهم
وقد بلغ عدد الفنادق التي فتشت خسارة
فندق كما اتخذت اجراءات سريعة فعالة مع
اصحاب الفنادق الذين ظهر انهم سهلوا
للارهابيين الاقامة في فنادقهم وسبقهم رجال
البوليس بمحلة اخرى وتمشيشات مستمرة
للبسيونات والفنادق .

ملحق رقم (١١)

حول عقد يهود مصر اجتماع لتسوية موقفهم (الحيادي) من الأحداث التي تتم على الساحة الفلسطينية

جريدة فلسطين ١٠-١١-١٩٤٥ - ص ١ -



الهند المسلمة لن تقف « متفرجة » على نضال عرب فلسطين يهود مصر يجادلون « ندير » موقفهم الأخير ورسالة الخاظم الأكبر الى رئيس الوزارة

لندن وفلسطين
برماني في ٩ - ١٠ - ١٩٤٥ أكد السيد جلد على جناح رئيس الجمعية الإسلامية يوم أمس لرب فلسطين أن مسلمي الهند لن يتأخروا في التفرج على النضال العربي ضد الاستعمار البريطاني والعقود اليهودية غير المشروعة التي تخلفها وقد غلب السيد جلد على في اجتماع إسلامي

لندن في ٩ - ١٠ - ١٩٤٥ كتب أحمد مرادلي وكالة الانباء العربية يقول انه ليس شك في ان تعيين القاتل جلد في الهند الآن كتهمة على اورد في وقت في منصبه في السامي وأجراء حكما وكانت الاشارة واضحة واجتازت في الاختيار سيح على موقفه مني ولكن اجراء كندا كان بلا شك سيده كثير من البريطانيين عملا لا يفتقر من مآخذ ، وكان قد تردد القول في خلف الأوساط بأن العرب سيخجلون تعيين

صدى تعيين كتنغهام مندوبا ساميا لفلسطين

لندن في ٩ - ١٠ - ١٩٤٥ كتب أحمد مرادلي وكالة الانباء العربية يقول انه ليس شك في ان تعيين القاتل جلد في الهند الآن كتهمة على اورد في وقت في منصبه في السامي وأجراء حكما وكانت الاشارة واضحة واجتازت في الاختيار سيح على موقفه مني ولكن اجراء كندا كان بلا شك سيده كثير من البريطانيين عملا لا يفتقر من مآخذ ، وكان قد تردد القول في خلف الأوساط بأن العرب سيخجلون تعيين

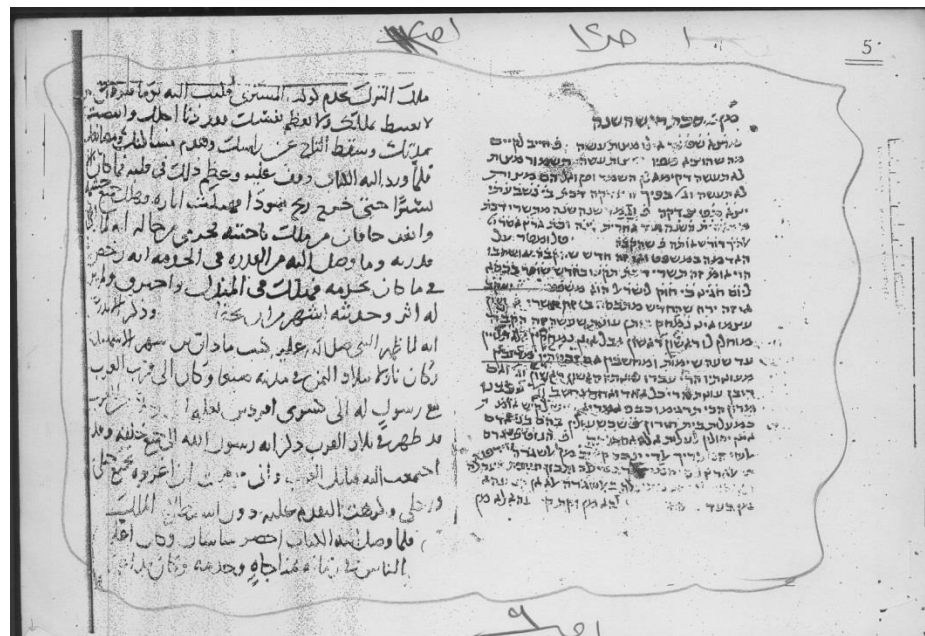
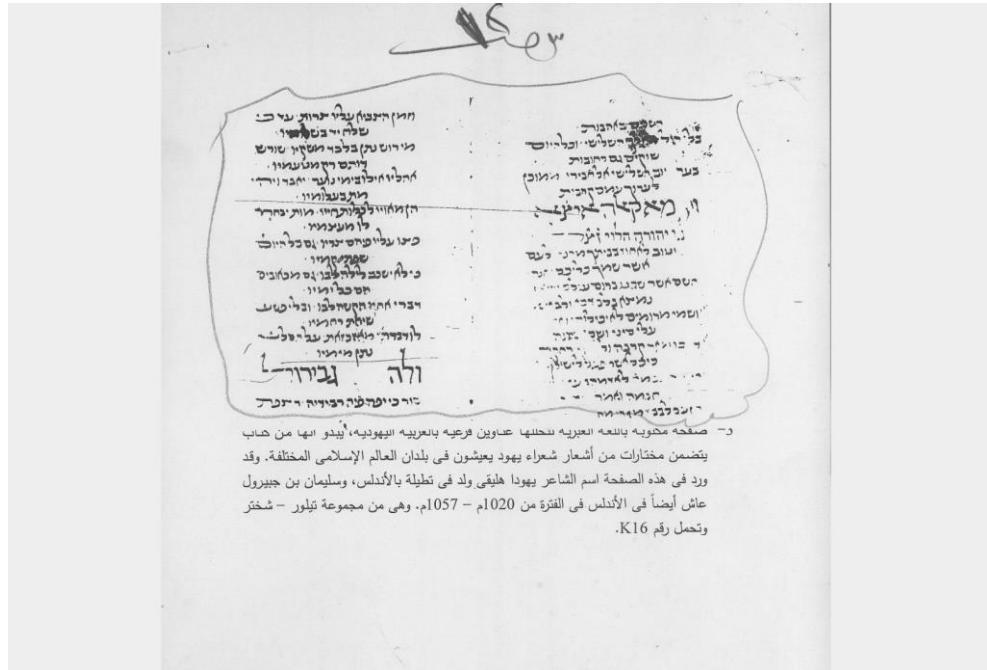
موقف له ماض عسكري جيد وان كان فريق من الصهيونيين يرون ان وضع الاختيار على رجل سياسي من اروع المآثر التي تروى من الجبال كتنغهام انه في حقله عام ١٩٤١ استطاع ان يفتح طرقه الطريق من نيويورك الى اوسا بسرعة سيرة وعشرين ميلا في اليوم وكانت اروع انتصاراته في كيرين واما الاخير وهي انتصارات مهتة الطريق الى العاصمة الحثية في نيا نيبان من ذلك العام

من ذلك العام

ملحق رقم (١٣)

صفحتان من وثائق الجينزا

حول أشعار شعراء يهود عاشوا في بلدان العالم الإسلامي المختلفة بين القرنين السابع والثامن عشر



ملحق رقم (١٤)

نموذج من اهتمام اليهود المصريين بتراثهم

موقع مركز تراث اليهود المصريين على شبكة الإنترنت

WWW.egyptiew.co.il

صورة عن غلاف الكتاب الذي صدر تحقيقاً لوثائق الجينزا

המרכז לאורשת יהדות מצרים

דף הבית | אודות הקהילה | מסורת חגגי | חברי המרכז | גלריה | עמוד חבית

אתר זה נועד לעמותת תורשת יהדות מצרים
על ידי ע"ד בני נהן
לזכר סבו אליעזר פניאס

"קהילה שהוקמה מפי רבות בני יעקב מצרימה ונד נרשם ממנה
בני באמצע צבד אל-כאנר, משנת לידתם כאמה על דודת האם,
ונד ראשית עצמאותה המודרנית דורות אחרים אלה עמדו בסמך
תחילתן של תקופות יכול אחת מהן התורה מסקן. מסמקני
ראשית מצד לידות מצרים.

לקהילה המקורית העתיקה
שהגיעה לשאהב באלכסנדריה
החלוצית העסרף מראשית המאה
השני עשרה ציגור מממריס ספרדי
משולחי המאה העשירי עשרה חבית
אסכנדים מפליטי האנטישמיות
בארצות.

אל תפארת העסרים נכנסה אם כן
ידות מצרים כקהילה רב-לשונית
רב-תרבותית, מן מיקרוקוסמוס
של חכם יהודי לתפארת. חיה
התבססו של ידות מצרים

חשבוש באזור
חברות

חברות חבית, חבית, חבית

ملحق رقم (١٥)

كنيس عدلي أو شعار هاشاميم في القاهرة



ملحق رقم (١٦)

كنيس بن عزرا في منطقة الفسطاط

